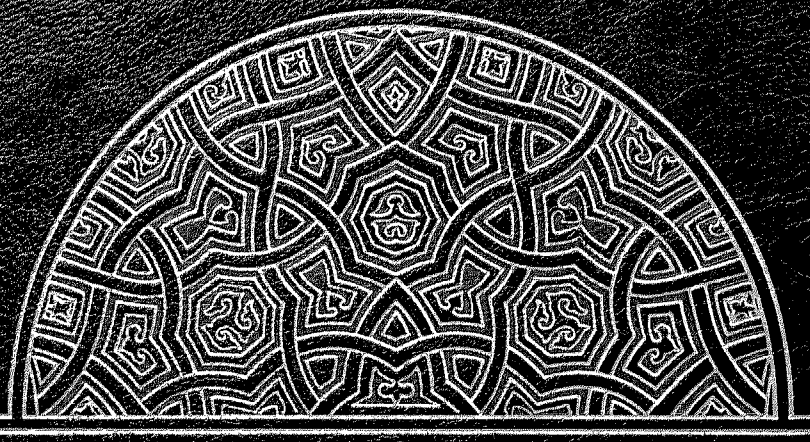
موسوعة الحكومة العالمية المثلى «٢»



القانون الأساسي

للحكومة العالمية المثلى الطبيعي والاجتماعي

تأليف

د. جواد جعفر الخليلي



دار الأضواء







Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القانون الأساسي

للحكومة العالمية المثلى الطبيعي والاجتماعي

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دَارُ الأَضوَاء
لِلطِّبَاعَة وَالنشر وَالتَوزِيع

حَارَة حُرَيك - شَارِع دكّاش - ص.ب: ٢٥/٤٠ - بَرقِيًا: غَبَيرِي - حسنكو - بَيرُوت - لبنَان

موسوعة الحكومة العالمية المثلى
«٣»

القانون الأساسي
للحكومة العالمية المثلى الطبيعي والإجتماعي

تأليف
د. جواد جعفر الخليلي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقـدمـة

بسم الله الأحـد الصمد ، والحمـد لله على ما ألهم وأمـد ، حـمـداً لا يحصيـه وصف ولا عد ، والصـلاة والسلام على خـاتم رسله المؤيـد ، وآلـه الميامين الطّاهـرين وصحبه الأوفيـاء المناصـرين ، وزوجاتـه الحافـظات لودّه والمخلصات لعهده ، ولعنـة الله على أعدائـه من كل كـافر وملحـد ومنافق ، وظالم معاند وفاسق .

وبعـد فقد أهـابتني الأنباء والحـوادث العالميـة القائمـة ، والمنازعـات والمخـاصمات الـدائمة ، فـولجت سبلها ومحصت عللهـا ، وإذا بي أهتدي لسرٍّ عساه أن يكون علة العلل في النزاع ، وغاية الأمـل لوقف الصـراع ، هو انحـراف البشر عن جـادة الـطبيعـة والفـطرة ، وتنـازع الشهـوات والآراء في فكـره وسيـره ، معـرضـاً عن سبـل مثبتـة، ووالجـاً أُخـرىٰ لشمله وقـراره مشتتة .

فـوضعت كتابي الحكـومة العـالميـة المثلىٰ في خمسـة فصـول، كـان الفصـل الأول عن الحيـاة الـطبيعيـة ، والثـاني عن أهـل الآراء والأديـان ، والثالث ربط المـاديـات بـالمعنـويـات ، والـرابـع حكـومـة النحلة والنملة والأرضـة ، والخامس : التـابعية والجنسيـة ، وأما هنـا ، فهذا هـو القـانـون الأسـاسي الرابط بين حكـومة الـطبيعة والحكـومـات الاجتمـاعيـة والتي أرى اتباعها على شـرط أن تكون هنـاك حكومـة عالميـة واحدة ، وعنـدها يصبـح البشـر كله في قرار وأمـان وينجو من الاضـطراب والهـوان ، أن اتبـع سبيـل الفطرة ،واتخـذ من الماضيات خبرة وعبرة .



الباب الأول

القانون الأساسي

ـ تمهيد .

١ ـ القانون البشري.

٢ ـ الصراع الصليبي مع المسلمين.

٣ ـ تطور الاستعمار.

٤ ـ الحكومات الأولى .



تمهيــد

لكي نوضح ماهية القانون ، علينا مبدئياً تحديد معنى القانـون ، وماذا يقصد به عند إطلاقه ، ثم البحث عن أنواع القوانين . وهل أن للبشر :

١ ــ وضع القوانين طبق مقاصده وأهدافه .

٢ ــ أم أن القانون موجود وعليه كشفه ثم السير عليه . وما هي الفروق بين القانونين القانون الموضوع والقانون الفطري الطبيعي[1] .

ولنقرب المعنى إلى ذهن القارىء الكريم نعود نلمح إلى ما لمحنا إليه في كتابنا الحكومة العالمية المثلى ، وحكومة الفطرة « حكومة الطبيعة » وبمعنى أعم حكومة الأحد الصمد المبدع الخالق المهيمن خالق الأكوان ، وموجد نواميسها في جمادها واحيائها في عناصرها ، ومركباتها في جواهرها وذراتها ، وضع لكل منها نظاماً وقواعد وأُصولاً وقوانين لا تحيد ، فعلماء الفيزياء لا يعزب عنهم دقة تماسك تلك الأصول وضوابطها عند البحث في شتى القوى المودعة في الطبيعة من قوانين الجاذبية وقوانين النور وما تحويه الذرة من الأسرار والطاقات الهائلة المتسقة وغيرها .

---

(١) ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ صدق الله العظيم ، وقال تعالى في كتابه المجيد : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله الذي فطرَ النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . . . ﴾ الخه من سورة الروم الآية ٣٠.

وعلماء الكيمياء يقفون مدهوشين في شتى النواميس والقوانين المتسقة في اتحاد العناصر والمركبات ، وعلماء الأحياء يقفون حيارى أمام الخلقة المنظمة الهائلة في كل جسم حي صغيراً وكبيراً .

هؤلاء العلماء يعرفون حق المعرفة أن نظام الكون لم يخلق عبثاً قوانين وأنظمة عشوائية ، بل لكل منها أصولٌ وفروعٌ وقواعد لا تحيد قيد شعرة في كل صغيرة وكبيرة ، ليس لإرادة البشر منها نصيب إلاَّ على مقدار ما يحمله هذا البشر من العلم والتجربة المودعة فيه إذا كان عاقلاً أو غريزة تحركه إليه في غيره من الأحياء هذا العلم أو الغريزة التي لا يتحداها متحدٍ إلاَّ ونتج عن تحديها أمر مقرر حتمي يعرف نتائجه ان وقف على أسرارها وان جهله قال صدفة وحاشا لنظام الكون من العشوائية المطلقة ، فكل شيء مُدبر ومُقدر ومُنظم وله أصل وقاعدة ثابتة هو قانونه .

وقوانين الكون وأسراره لا تعد ولا تحصى ، تَوَصَّل البشر إلى النزر النزر منها ، وسجلها وأدرك اتقانها في الطبيعة ، وهناك منها ما تحكم شؤونه الاجتماعية من : سياسية واقتصادية ، إدارية ، فنية ، علمية ، أدبية ، أخلاقية ، نفسية وغيرها . .

ولهذه النواميس أثرها في حياة الفرد والجماعة ، من هذه القوانين منها المتآلفة مع بعضها ، ومنها المتنافرة المتخالفة ، إرادية وغير إرادية سيان منها في الفرد أو الجماعة ، فالمرء مختار لحد ما فيما يعلمه ، وهو القليل وهو غير مختار فيما يجهله وهو الأكثر ، فالآفات السماوية والأرضية من الطاقات الموجهة من خارج الأرض والحر والبرد والأمطار والزلازل والسيول ، ومنها ما اتخذ لها حيطة ووقاية ، ومنها ما أخذته على حين غرة ، ومنها الأوباء والأمراض ، وما لها من آثار اقتصادية وغير اقتصادية ، لكل منها أثرها في الحياة ، بيد أن العلم في كل منها له أثرٌ فعالٌ للوقاية ، ودرء الأخطار ، وإذا استطاع الإنسان كشف أسرار الطبيعة من نواميسها كما اكتشف بعض أصولها فأمكنه من درء الأخطار ، لو أمكنه التوصل إلى

جميع ما هنالك من قوانين طبيعية واجتماعية مادية ومعنوية والرابطة الأصيلة بينها لاستطاع التحكم في حياته ، ولا يكفي ذلك العلم متى تغلبت الغرائز على العقول وحرفتها عن جادة الصواب .

فهلا ترى اليوم أن الدول العظمى في العالم كيف تتحكم وتتخبط في سيرها رغم علمها في كثير من الحقائق لمحض أن الغرائز تتحكم على عقولها ، كغريزة حب الذات ، وغريزة حب المال ، وغريزة حب الظهور ، ضاربة بكل القيم والمثل الأخلاقية الإنسانية المثلى عرض الحائط ، وكل منها تتمشى باتجاه معاكس للأخرى بزعمها لجر نفع ودرء ضر، ناسية أنها تعيش في مجتمع إنساني حي واحد إن أُصيب هذا لَحِقه الحيف والضرر ، ناسية أن اتجاهها في السلوك غير الطبيعي ، السلوك غير الإنساني ، السلوك المخالف لنواميس الكون هو علة شقاء بني نوعه الذي هو عضو فيه ، وان الكارثة تعمه متى عمت غيره ، وعوض البحث عن قوانين الكون الحقيقية لاتباعها ، كل يوم يصمم ويضع قواعد وانظمة قوانين جديدة وضعها لمجرد غاياته الشخصية لا تركن إلى حقيقة واقعية من نواميس الكون الواقعية ، وهذه المخالفة هي العلة لشقائه وشقاء بني نوعه .

والحق إن شاء إدراك السعادة أن يجدَّ كاشفاً عن قوانين الكون ونواميسه واتباعها دون تعويض واستبدالها بتوافه تخص أهدافه الشخصية يسميها بقوانين ، وما هي بقوانين، فالقانون في الواقع هو الناموس القائم في الخليقة منذ الفطرة والنشأة الأولى الثابت الدائم الذي لا يحق لمخلوق التلاعب به ، واتباعه يضمن السعادة والسلامة في جسم المجتمع الإنساني كالأصول والقواعد الموجودة في البدن الحي تلك التي لا يجوز التلاعب بها .

فالإنسان هذا الجسم الحي يحمل شتى القوى المادية والمعنوية طي جسمه ونفسه لكل منها له مفعوله فيه ويجب رعايته في حدوده بحيث لا تطغى على الأخرى ولا تتقاعد عن سيرها ، وفي كلا الحالتين يولد تخلفه

عنها فيه علة ، بل ولا يجوز فرض تجاوز هذه على تلك أو تلك على هذه أو خضوع إحداهـا لسلطة خارجة عنه ، ففي هـذا المجتمع الإنساني ومـا يجري فيه ينطبق على البدن الإنساني وتناسق أو تنافر قـواه وما يؤل إليـه من سعادة وشقاء .

فإذن لندرك السلوك السوي وسعادة الحياة علينا البحث عن نواميس الحياة الواقعية واتباعها كأصول في حياتنا وقوانين في سلوكنا لا نَمُد لهـا يد التبديل والتغيير ، بل تطبيقها حذو النعل بالنعل إن شئنا الحياة الرافهة المنظمة ، كما نجد ذلك في حياة الأحياء مثل النحلة والأرضة والنملة المار ذكرها في كتابنا الحكومة العالمية المثلى ، بل وأعظم ما بحثناه عن الحكومة العالمية القائمة في بدن الإنسان .

ولقد مرّت على هـذا الإنسان السنين والأحقاب وهو يسير متخبطاً في سيره على خلاف الفطرة ، وكلما ابتعد أكثر كان شقاءه أشد ، حتى ظهر ذوو الآراء من الحكماء والفلاسفة للإهابة به وهديه إلى حياة أقرب للاعتدال أمثال أفلاطون في جمهوريته المارة الذكر ، والفارابي في مدينته الفاضلة ، كما ظهر غيرهم .

كما ظهر فيهم مصلحون أمثال كوفوشيوس وبوذا بغية تهذيب النفس البشرية بالعظاة والنصائح ، وخير من ظهر من القادة الحقيقيين إنما اولئك الرسل المهيبين بالإنسان والإنسانية للعودة إلى الحياة الفطرية الطبيعية الواقعية ، من أولي العزم من الرسل ، وأشدهم كفاحاً ونضالاً هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتمهم محمد عليه وعليهم جميع الصلاة والسلام .

يتجلى لك ذلك الحق الناصع عنهم عندما تتلو بعض الآيات في القرآن الكريم[1] .

---

(١) سورة الشورى/ ١٣ ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذين أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ .

وفيها يعلن أن الإسلام إنّما هو أصل الأديان الذي دعا إليه أولو العزم[1] . وأن هذا الدين هو دين الفطرة الذي فطر الله النّاس عليه ، ولا تبديل له في الخلقة[2] ، وإنهم جميعاً يدعون إلى الله الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد[3] .

تلك كانت مقدمة موجزة عمّا يراد به من القانون ، ان يكون ناموساً فطرياً قائماً ثابتاً منفذ الفطرة في كل المجالات أدعَوْته قانوناً أساسياً ، جزائياً ، حقوقياً ، اقتصادياً ، أو غيره . وإن لكل هذه النواميس القائمة الدائمة لها أثرها في حياتنا الفردية والجماعية فراداً ومشتركة ، ومنها ما أوتيناه من عقل وغرائز شتى كل لها أثرها في الحياة ، فليس لفرويد أن يقول : إن الغريزة الجنسية هي المسيطرة على حياة الفرد ولا لجماعة آخرين أن يقولوا : إن السيطرة المتحكمة في الفرد والمجتمع إنما هي الحالة الاقتصادية ، وقد ثبت خلاف هذا ، فربما أن تكون حالة نفسية وعقيدة تسبب التحكم في ظروف مواتية لم يَبلغها الوضع الاقتصادي ، ويكفي نظرة بسيطة تاريخية إلى حياة الجزيرة العربية لقرون وأحقاب متطاولة ، وهي تسير في وضع اقتصادي واجتماعي بدوي منحط علمياً واقتصادياً وأخلاقياً لم تثب إلّا حينما اهاب بشعوبها ذلك اليتيم الأمي الفقير بعقيدته الفذة بالدعوة للتوحيد ، لوحدة الخالق ووحدة العقيدة ويعني

---

(١) سورة آل عمران/١٩ ﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلّا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾ ، و٨٥ منه : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ .

(٢) سورة الروم/٣٠ : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر النّاس لا يعلمون ﴾ .

(٣) قوله تعالىٰ في سورة آل عمران/٦٤ : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ .

الفطرة ووحدة الحقوق ووحدة النفوس والوحدة في كل المجالات ، وخلق نفسٍ مؤمنةٍ مريدةٍ مجاهدةٍ ممزوجة من الماديات والمعنويات ، وإذا به يوجد من الضعف قوة ومن الفتات كتلة ، ومن الوهن همة ، ومن العناء نعمة ، ومن الشتات لمة يفتح بها القوى المسددة ويدك الحصون والقلاع المشيدة ، ويهزم الجيوش المنضدة ، لا تمنعها ثرواتها الدائرة وخزائنها الوافرة ، ونفوسها الماكرة ، وعلومها وتجاربها الغابرة والحاضرة .

خرَّت جميعاً صاغرة مطيعة أمام قوى الإيمان وحكومة الفطرة ، ولولا العودة إلى القهقرى عن تلك العقيدة ونبذ الحقائق إلى الماديات القديمة ، وترك الأصول السليمة لعمت الأرض الحياة الرغيدة .

فالحياة الفطرية الطبيعية هي منبع السعادة في الحياة وقوانينها هي القوانين الأصيلة التي يجب علينا البحث عنها لتطبيقها وهي علاج الأدواء الاجتماعية والقائمة دواء النكبات الدائمة .

نجدها عند البحث والتنقيب في أحضان الطبيعة الوادعة ومنقوشة على صفحات الكتب السماوية الرائعة في متون التوراة والإنجيل الأصيلة الضائعة وما جمعه القرآن من حقائق ناصعة .

فالقرآن أهداها سبيلاً وأقومها دليلاً وأجمعها أصولاً ، والإسلام يقر بالأديان ورسلها جميعاً وينزه أنبياء الله وكتبه صنيعاً ، ومعجزة من معاجز الصنعة والاتقان ، ومفخرة من مفاخر الحكمة والبيان ، تذلل به العقبات وتشغر به النكبات ، وخير دليل لسبل النجاة ، فلدينا مصدران لاستقاء القوانين الطبيعية الثابتة :

١ ــ الكتب السماوية المنزلة التي يمثلها القرآن كتاباً ، والإسلام أُمةً وشريعة ، وما سنّه أنبياء الله أخص محمداً صلى الله عليه وآله .

٢ ــ العودة لمصادر الطبيعة والاستقاء من الجماد والنبات والحيوان كما مر وذكرنا نبذاً منها.

تمهيـــد

وما هو القانون الأساسي بعرف قانون الفطرة ، في عرف أهل الآراء ، وأهل الأديان ، والقانون الأساسي القائم في نظام الطبيعة من الجماد والأحياء ، والقانون الأساسي الذي وضعه البشر لتنظيم حياته الاجتماعية؟ ولا بد لنا للوصول إلى الهدف وتوضيح الحقائق البحث إما عن المبادىء الطبيعية الكونية القائمة منذ الخلقة لهذا القانون والسير بها تدريجياً إلى ذوي الآراء والأديان ، وأخيراً الحضارات الحديثة القائمة . أو العكس ، أن نبدأ بالقائمة ومنشدها ثم البحث عمّا سبقها من أزمان وأحقاب ، ثم المقارنة بينها وتمييز الحسن من القبيح وانتخاب ما يصلح لهذا البَشر واقعياً لبلوغ الحياة السليمة الممتعة ودرء السقيمة المفزعة .

لذا نقسم القانون الأساسي بل وبقية القوانين إلى قسمين (فصلين) :

١ ــ ما وضعه البشر وغيّر وبدّل فيه في مراحل وأزمنة كل حسب أهدافه وآرائه ومقاصده وغاياته وعقائده المتضاربة وأغراضه المتكالبة ، تسيره الأهواء والشهوات والغرائز المتضاربات .

٢ ــ ذلك القانون الأساسي الأصيل من روح الطبيعة والفطرة والعدل الإلٓهي ، ما أشار إليه ذوو الآراء السليمة من الحكماء وأقره الأنبياء المرسلون من أولي العزم في كتبهم السماوية وسننهم ، وما نجده من فطرة الله في خلقه .



١ ـ القانون الأساسي ـ البشري الموضوع

« الصادر من أهوائه وغاياته »

منذ مستهل التاريخ البشري حكمت الشعوب في الشرق والغرب دكتاتوريات يتزعمها ملوك ذوو سلطة مطلقة ، استخدموا الأهواء في سبيل بسط نفوذهم في الداخل والخارج ، لا يقف دون غايتهم الغريزية حكمة جامحة ، وعقول ناصحة ، وضمائر للحق صادحة ، يتحكمون في الداخل طغاة جبابرة ، وفي الخارج ذئاب كاسرة ، فالقانون في أقوالهم وأعمالهم ما داموا قائمين هو النافذ حتى بلغ بهم إلى دعوى الربوبية ، يتجلى ذلك لمتصفح التاريخ القديم في مصر ، وبابل وآشور ، ثم في الصين وفارس واليونان والرومان .

وقد بلغ الظلم مبلغاً كان الإنسان الحاكم أشد ظلماً على أخيه الإنسان من الضواري الكاسرة في تعذيب بني نوعه من الأحياء من فنون التعذيب والتنكيل ، مما دعا إلى ظهور ذوي الآراء من الحكماء كما ظهر في بلاد اليونان أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم ، ومعلمين حكماء في الصين والهند أمثال : كونفوشيوس وبوذا وبلاد فارس وروما ممن وضعوا المبادىء الإنسانية والقانونية وأدلوا بالآراء لحد سلطة الحكام وتقنين درجات للحكم تجاه المذنبين والمجرمين .

وقارن كل ذلك قيام الأديان السماوية الداعية إلى الله وتساوي البشر

في الحقـوق والعدالـة الاجتماعيـة ممـا وردت في التـوراة والكتب القـديمـة والإنجيل والكتب الحديثة .

ثم تجلت الحقوق البشرية والنهضة الإنسانية والعـدالة والمسـاواة على لسـان خاتم الأنبيـاء والمرسلين محمـد (ص) ، وكتـاب الله المجيـد القـرآن الجامع لأسس القوانين البشرية الحكيمة العـادلة مقـرونة بِـأَرَقِّ العواطف من البر والإحسان ، وأسمى الخلق الفـاضلة في الروح الاجتمـاعية الـرفيعة التي بلغت أقصى مـا تدعـو بالبشـرية إلى المنـطق السليم وروح الـرأفـة والمحبـة والتعـامل والتضحيـة الفرديـة والجماعيـة ، الفرد للفـرد والجماعـة ، وإعلان حقـوق الإنسان الـواحد لـلآخر والأسس المتينـة من الـروابط[1] التي يستنـد إليهـا فكـراً وقـولاً وفعـلاً في الكتـاب والسّنـة ، في الآيـة ٩ و١٠ و١٣ من سـورة الحجـرات حين يقـول : ﴿ **إنمـا المؤمنـون إخـوة فـأصلحـوا بين أخويكم واتّقوا الله لعلّكم تـرحمون** ﴾ ، ويقـول : ﴿ **يا أيُّهـا الَّذين آمنـوا لا يسخـر قومٌ من قـوم عسىٰ أن يكونـوا خيراً منهم ولا نسـاء من نساء عسى أن يكن خيـراً منهن * ولا تلمـزوا أنفسكم ولا تنـابـزوا بـالألقـاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئـك هم الظالمـون** ﴾ . و١٣ منه قـوله تعـالىٰ : ﴿ **يا أيُّهـا النّـاس إنـا خلقنـاكم من ذكـر وأُنثى وجعلنـاكم شعـوبـاً وقبائل لتعارفوا * إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ .

ترى كيف جاء بهذه الآية من التسـاوي بين كافـة الأمم وطوائف البشـر من ألوانها وعقائدها وأجناسهـا ودرجاتهـا ومختلف طبقاتهـا من روح التساوي الأصيل مستدلاً بالأصل الـواحد الـذي بدأ ويـؤل إليـه من آدم ثم من التراب وإليـه ومـا في هـذه السـورة سـورة الحجـرات من الـعـظـات والآداب والنصـائح ، ومـا اشتمل عليـه القرآن من روح الاجتمـاع والسلوك الأرفـع ،

---

(١) راجع القرآن والسُنَّة أخص سورة الحجـرات وخطاب محمـد (ص) في حجة الـوداع وعهد مالك الأشتر ونهج البلاغة .

ويدعو إليه من الروح الإنسانية الراقية ، وكيف يدعو لتهذيب النفس في الصلاة فكراً وعملاً والجد للوقوف على روح الإنسانية والعدالة الاجتماعية والتساوي في المعاملة ، ودرك حقائق التعامل البشري بين الأغنياء للتواضع في مراسم الحج ، ذلك الموقف النزيه الرفيع عملاً ، تلك الأصول الإنسانية والحقوق البشرية المتجلية في التفكير والأقوال والأفعال لصاحب الدعوة نبي الإسلام وأهل بيته الأزكياء وصحابته البررة المقتدين به والداعين إلى دينه ، تجدهم قدوة في سلوكهم ومعاملاتهم وأقوالهم وأفعالهم .

نعود إلى موضوعنا القانون الأساسي البشري . الذي تجلّى بادىء ذي بدء في أوروبا :

القصد من القانون الأساسي :

والقانون الأساسي يقصد به :

١ ــ أساس منهج الحكومة .
٢ ــ ومدى سلطاتها .
٣ ــ وما هي الحقوق التي تتمتع به أفرادها وما هي وظائفهم .

الحكومة؟! هل هي حكومة دكتاتورية مطلقة ذات ملكٍ مطلق السلطة غير محدود ، مثل الحكومات الانقلابية العسكرية الموجودة فعلاً تلك التي لا اختيار للشعب في تقرير مصيره ، أم ملوكية دستورية ، ذات ملك غير مسؤول يتولى سلطته طبق قانون يحدد مدى سلطته في دولة دستورية لها مجلس أو مجلسين .

١ ــ سلطة مقننة هي السلطة المقننة .
٢ ــ سلطة مجرية هي مجموع الوزراء المحددين بسلطة القانون .
٣ ــ السلطة القضائية : كالدول الملوكية في أوروبا مثل : إنكلترا وهولندا وبلجيكا والسويد واضرابها .

أم هي جمهوريات واقعية ذات سلطات مقننة ومجرية وقضائية وهي متنوعة ، في دول رأسمالية مثل : أمريكا وفرنسا وألمانيا والنمسا تستمد سلطاتها من روح الشعب ، أم جمهوريات اشتراكية أمثال روسية وهي تختلف فيما بينها من قوة السلطات المقننة والمجربة والقضائية وكيف استمدوا النفوذ والقدرة من مجموعة أفراد الشعب .

والحق يقال : إن هناك الجماعات الثورية في هذه الدول هي المتحكمة المستبدة والمتغلبة على مجموعة أفراد الشعب ، وهذه تختلف قوة وضعفاً في تحكمها الذاتي ، كما في روسيا والصين ويوغوسلافيا ورومانيا ، أو هي مسيرة ومكبلة تحت نير سلطة خارجة رغم أنفها وأنف شعوبها ، ولا يمكننا أن ننسى أو نتناسى ما حدث من اتجاهات قهرية في سير الحكومات والسلطات المجرية والحاكمة في المجر وبعدها في تشيكوسلوفاكيا بعد الحرب العالمية الثانية وللآن .

ويوجه النقد نفسه إلى الكتل الرأسمالية أيضاً فهي رغم قيامها على الحكومات الديمقراطية أي حكومة الشعب نفسه بنفسه بيد نجد اختلافاً بيّناً في واقع الأمر ، فأمريكا الرأسمالية الديمقراطية تجرها الشركات العظمى الرأسمالية ، وتتحكم في مصير الانتخابات لأعضاء المجالس المقننة والسلطة المجرية ، وتختلف دول الاسكندينافية ديمقراطية بأنها أطوع لإرادة الشعب ، وهناك دول أوروبا الأخرى المنقسمة بين الكتلتين الديمقراطية والشيوعية تختلف شدة وضعفاً لسلطة الشعب المطلقة والمنحازة قهراً أو شبه قهر إلى سلطات خارجية عن إرادة الشعب ، وأما الدول والشعوب القائمة في أمريكا الجنوبية وآسيا وأفريقيا فمهما أطلقت عليها ديمقراطية أو شيوعية فقلما تجد لإرادة الشعوب وسلطانها إلّا نفوذاً ظاهراً ، وتكاد تكون جميعاً مسرحاً لتلاعب الدول الكبرى الرأسمالية والشيوعية الأمريكية والأوروبيّة .

تلك حقائق لا يمكن إنكارها ، ذكرناها ذكراً خاطفاً ، وسنذكر شيئاً

من أدوار الحيـاة الـديمقـراطيـة (حكم الشعب نفسـه بنفسـه) في بعض الشعوب ، ومتى بدأ وتبدّل الحال من عهد إلى عهد حتى اليوم .

في إنكلترا : ـ

ربما كانت إنكلترا في طليعة الدول الأوروبية منـذ أوائل القـرن الثالث عشـر وثبةً نحـو الديمقـراطية والحـد من دكتاتـورية الملوك والحكم المـطلق هنـاك ، وذلك للتقـدم الصناعي اليـدوي ونفوذ رجـال الدين والأمـراء آنـذاك مما أمكن اتحاد العنـاصر الثـلاثة هؤلاء الكتـل الثلاث كـان لهم الأثر الكبيـر من الحـد والحكم الاستبـدادي لملوك إنكلتـرا كمـا صـادف هؤلاء الملوك ضعفـاً واندحـاراً في جهة مـا من جهة ارتفعت كفـة أولئك وتغلبـوا ووضعـوا للملوك حـداً يقف دون سلطتهم المـطلقـة على الشعب ، حتى نـرى سنـة ٢٥/٦/١٣٢٥ ميلادية ومـا حصل من انـدحارات داخليـة وخارجيـة وقف فيه ممثلوا الصنـاع ورجال الـدين والسنيوريـة مكونين جبهـة قـويـة تجـاه الملك وحددوا كثيراً في سلطاته في تشريع مكتوب كـان أهم المقررات الأولى لبنـاء الـديمقراطيـة ، وأهـم ما ورد بهـا أمور سنـذكرهـا أدناه بهـا تعرف من مفهـوم المخـالفة كيف كـانت للملوك من السلطات الجـائـرة على أفـراد الشعب من التعرض الجائر لهم ، والتلاعب بأنفسهم وأموالهم وعقائدهم ، وهـاك بعض ما ورد في ذلك العهد المسلوب من الملك :

١ ـ لا يجوز توقيف أو تبعيد أحد إلاّ بقانون وحكم صادر من المحكمة .

٢ ـ لا يجـوز فرض ضـريبـة إلاّ بعـد تصـويب مجلس الأسـاقفـة والأمـراء (المشكّل من الكونتات والسنيورية) .

٣ ـ ليس للملك حـق للمداخلة في الأمور المـذهبية وانتخـابات الكنيسـة بأي وجه من الوجوه .

٤ ـ لا يحق للملك غصب ملك من صـاحبـه إلاّ بشـرط وبقـانـون وحكم محكمة وبعد دفع ثمنه .

٥ ـ على الملك دعوة رجال الدين والأشراف للمجالس العليا وأمور المملكة المهمة .

٦ ـ لا يحق سلب مالكية من مجرم إلاَّ بحكم قانون وحكم محكمة يصدر بالغرامة إلى السلطة المجرية .

٧ ـ للثقة من حسن إجراء ما مر أعلاه ينتخب ٢٥ فرداً من رجال الدين والأشراف المار ذكرهم يكون لهم الحق متى جاوز الملك تلك الحدود استعادة الحق المسلوب من أمواله بالوقت الذي نفس الملك وأفراد عائلته في صيانة كاملة من أي تعرض .

ترى أي سلطة كانت للملوك آنذاك وكيف جددت وكانت هذه حقا نواة للحياة الديمقراطية ، بيد هل خضع سلاطين إنكلترا لتلك وظلُّوا يحترمونها؟ لا أبداً ونحن عندما نتصفح التاريخ نجد ذلك بدء المعركة بين الملوك والشعب من رجال الدين والأشراف وأقطاب الضياع والملاَّك ، فطوراً يتغلب الملوك وترتفع كفتهم ويشتد استبدادهم ، وأُخرى تتغلب الكفة الأخرى وضلت هذه الكفتان في صراع مستمر حتى القرن السَّابع عشر ١٦٨٩ وبعدها ، وقف خطر ذلك الاستبداد المرير لملوكها واكتفوا بمقام الملوكية تاركين كثيراً من نفوذهم الاستبدادي المباشر . بيد لم يتركوه للشعب بالصورة الديمقراطية العادلة بين أفراد الشعب ، بل تركوه لسلطات أُخرى من الرأسماليين وعلماء الدين والأشراف ، أولئك المتنفذين في الحياة الاقتصادية والسياسية الاجتماعية هناك . وعندها نرى تقدم نفوذ ذوي رؤوس الأموال وقيام الأحزاب وكفاحها لإحراز الأكثرية الحزبية ، ومتى تغلب أحد الأحزاب على الأخرى بأصواته ومجالاته الاقتصادية والسياسية نال زعيم ذلك الحزب مقام رئاسة الوزارة مرشحاً من قبل الملك حيث يعين هذا أعضاء الحكومة والسلطة المجرية المحافظة على منافع ذوي رؤوس الأموال .

هكذا أُسس القانون الأساسي والقوانين الأخرى الفرعية لنفس

الغرض والغاية ، ويحق أن يقال لها دولة ذوي رؤوس الأموال المتنفذة التي تسيِّر جميع الأمور وتضع الأحكام والقوانين التي تحفظ منافعها وأهدافها، وهذه الدولة تتمايز قدرة بدرجة الثراء الذي تتصف بها الكتل والجماعات من الأفراد والجمعيات ، وكلما زادت ثراءً زادت بسطة في نفوذها وسيطرتها ، وكلما قلَّت قلَّت حتى ترى أكثر أفراد الشعب محرومين من اعطاء الرأي وكسبه . حتى محرومين من أبرز المميزات الإنسانية .

هكذا استمر هذا القانون الديمقراطي الناقص حتى سنة ١٩٢٨ حيث وضع قانون خير من سابقه نسبياً ، وأكثر عدالة فقد أعطيت المرأة المحرومة فيه من أن تساوي الرجال في حقوق الانتخابات منها أن تَنْتَخِب وأن تُنْتَخب ولم تدرك المرأة هذا الحق إلاَّ بعد كفاح مرير ، كما ألقى صورياً شرط الثراء للمنتخِبين ، بيد نراه يضع قيوداً جديدة محورة ، فلا يجوز للمنتَخِب إلاَّ بلوغ الواحدة والعشرين من السن ، وعلى أن يكون عاقلاً ، وغير محكوم عليه بجنحة أو جناية ، وبموجبه يعطى للبعض حقوقاً أوسع في الانتخابات ويحرم آخر حيث نرى اعطاءه البعض حق رأيين ، فهو يمنح له رأياً في محل سكناه وآخر عن حرفته وعمله ، وهذا العمل يجب أن يكون مسجلاً في قائمة العمل الخاص به كما يشترط أن يكون لمكسبه وتجارته قيمة مالية محددة لا ينقص عن ذلك الحد ، وشروط أُخرىٰ لسكناه مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر في محل الانتخاب ، وتعتبر للبعض الجامعات الإنكليزية باعتبار مركزها الراقي لأفرادها حق رأيين مثل جامعة اكسفورد وجامعة كامبريج بينما الجامعات الأخرى ليس لها سوى حق رأي واحد .

وتوجه انتقادات كثيرة إلى الديمقراطية الإنكليزية بإنكلترا بنفوذ ذوي الثروة على المعدمين منها لعدة أسباب ، فعَدى عن قدرة ذوي الثروة من نشر الدعايات على أجهزة الراديو والتلفزيون والصحف ومراكز النفوذ بشتى الوسائل التي يسهلها المال . ترى أن هناك شروطاً مفروضة على الناخبين

من تقديم ١١٠ جنيه للمأمور الموكل بمراكز الانتخابات قبيل إعطاء الرأس وهذا المبلغ لا يسترد إلاَّ بشروط منها إحراز انتخاب العضو لمجلس العموم أو إحرازه ١/٦ الآراء العامة ، وغير هذه مما ترى أن كثيراً من الحوزات الانتخابية الكثيرة الأعداد يقل فيها المتخبون لفقرهم المادي بينما يتقدم عليهم أقلية قد تقل إلى النصف أو أقل عدداً ليكون نوابها في مجلس العموم أضعاف الأولى كما حصل سنة ١٩٣٥ حيث انتخب تسعة نواب من منطقة انتخابية عددها مليون ونصف المليون ، بينما انتخب ٢١ نائباً من منطقة عدد سكانها ٦٣٠ ألف نفر .

هذا نقد يوجه إلى طرز الانتخابات ، وهناك انتقادات موجهة إلى الفروق القائمة في نواب مجلس العموم المار ذكرهم مما يجب أن ينتخبهم أفراد الشعب بالتساوي وشروط عادلة ، نجد مجلس اللوردات تقوم فيه الانتخابات على شروط وراثية ، ورئاسة مجلسهم تحت سلطة وزير العدلية ويؤخذ على مجلس اللوردات نفوذه في الخارج والداخل ووقوفه غالباً حجر عثرة للقيام بكثير من الإصلاحات التي يجب أن يؤخذ بها رأي الأغلبية من الشعب . هذا وان أعضاء المجلسين عند ارتكابهم جنحة أو جناية لا يخضعون لقانون الجزاء العام ، وتتوقف محاكمتهم على موافقة مجلسهم الذي ينتسبون إليه .

نرى أن ما مرّ ذكره في كثير يُنافي العدالة الاجتماعية وحكم الشعب نفسه بنفسه ، وهناك كثير من الأجحاف والنقص وادعاءات كاذبة في تطبيق حكم المساواة وحقوق البشر .

فرنسا : ــ

كانت فرنسا إلى أواخر القرن الثامن عشر لا تزال تعاني الحكم الاستبدادي المطلق الجائر ، وقد كانت على أهبة انفجار شديد تبدل مجرى حياتها السياسي والاقتصادي والاجتماعي لتضافر العلل المهيئة لهذا

الانقلاب العظيم الذي بدّل مجرى حياتها رأساً على عقب ، وهزّ صداه كل شعوب العالم ، وكان إنذاراً لانبثاق انقلابات مماثلة .

وعلى سبيل الإيجاز نذكر أدناه العلل الموجبة لهذا الانقلاب : ـ

١ ـ تأثير الحركات التحررية القائمة في إنكلترا المار ذكرها .

٢ ـ تردي الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، الباعث على الاستياء العام .

٣ ـ ظهور عديد من الكُتّاب المصلحين المهيبين بضرورة الإصلاح وأثرهم على الوعي العام .

فالحركات التحررية المار ذكرها في إنكلترا وتحديد سلطة السلاطين المستبدين في إنكلترا أخص في أواخر القرن السّابع عشر كان حافزاً ومحركاً لأولئك المضطهدين أخص المثقفين الأحرار والكتاب الواقفين على البون الشاسع في أصول الحكم في داخل فرنسا من تمايز الطبقات البرجوازية من عمّال وفلاحين من الطبقات الفقيرة المستَغَلّة من أقلية حاكمة ومثرية ، والبون الشاسع في الحكم والثراء بين هاتين الطبقتين حيث ترى أكثر من ٩٠ في الماءة في أسوأ حال من الناحية المالية ، فقر متقع رغم أنهم الطبقة العاملة الكدودة ، ترهقهم الضرائب ، وتحدهم وتغلُّهم أظلم القوانين المدنية والجزائية والمالية ، وتمايز الولايات والمحافظات عن بعضها البعض في الضرائب الداخلية والخارجية وأصول الجمارك والقوانين على اختلافها ، وتحديد المهن والحرف والتجارة وقيود تكاد تكون موروثة من الآباء للأبناء ، وكثيراً ما نرى فرض العقوبات والضرائب غير عادلة على طبقة دون طبقة ، ومدينة وأُخرىٰ ، كما تختلف في فرنسا المقاييس والأوزان ، وتمنع بعض الطبقات بالوظائف والمناصب دون غيرها . كلها وكلها لا تجد فيها وفي أي جهة أي أثر للعدالة والمساواة ، بل على الخلاف كلها كيفية مأخذها القوة والسلطة والتحيز وتلاعب الحكام والأمراء بثروة البلاد ، حتى ليبلغ الاستبداد من يد السلطات إلى الملكيات

الخاصة ، بعد أن تشف خزانة الدولة من إسراف الملوك وأعوانهم ، وذوي المناصب ، وكلما مرّ زمان زادت الطبقات الكادحة فقراً واضطهاداً ولحق بهم المقهورون من الملاكين الصغار تحت مطاردة الأكبر والأثرى ، والتحق بهم في الفقر والفاقه جماعات من صغار رجال الدين المعدمين .

النتائج : ـ فكانت نتائج كل هذه المظاهر الانقلاب الفرنسي الكبير ، وتحطيم كل ذوي النفوذ من ملوك وزعماء وأمراء وأنصارهم ومعاونيهم ، وما جرته شبوب تلك النيران من حرق كثير من الأغصان اليانعة إلى جنب اليابسة ، ومن أبرياء إلى جانب الأشقياء ، وتوجيه التهم مما يحمله أفراد ضد آخرين والنكال بهم . وكم مرَّت من أهوال الأزمنة على الشعب الفرنسي حتى عاد إلى السكينة وتحديد القوانين والأنظمة وتطبيقها بصورة أكثر عدالة ومساواة حتى كان من نتائجها إعلان حقوق الإنسان . فقالوا :

١ ـ بأن الإنسان ولد حراً ويعيش حراً مدى حياته ومساوياً أفراده بعضه لبعض في كافة الحقوق ، ولا ميزة بينهم إلاَّ فيما يسديه الفرد للجامعة من خدماته .

٢ ـ الإنسان مصان نفساً ومالاً وله حق الحماية من الظلم .

٣ ـ السلطة والحكم للشعب ولا لفرد أو أفراد ذلك إلاَّ عن مجموع الشعب .

٤ ـ تعني الحرية أن للفرد القيام بما يشاء بشرط عدم الإضرار بالآخرين ، ولكل حدود يعينها القانون .

٥ ـ لا يمنع القانون سوى ما يضر ، وكلما لم يمنعه القانون مباح ، ولا يلزم أحد على عمل إلاَّ بحكم القانون .

٦ ـ القانون مظهر من إرادة مجموع الشعب ، ولهم جميعاً الحق في

وضع قانون عادل بالتساوي لكل منهم بدون ميزة سوى التقوى واللياقة .

٧ ــ لا يجوز اتّهام أو توقيف أو حبس أي فرد إلاّ بصراحة ونمط قانوني ، وكل محرك أو مشوِّق أو آمر أو منفذ لأمر غير قانوني يلزم مجازاته وعلى من أحضر أو وقِّف قانوناً يلزم الطاعة له .

٨ ــ لا يحكم قانوناً إلاّ فيما هو ضروري ، فلا يصدر حكم على أحد إلاّ بموجب قانون معين من قبل ومنطبق على الجريمة .

٩ ــ لا يقال الفرد مجرم إلاّ بعد ثبوت الجرم .

١٠ ــ كل العقائد حرة إلاّ المخلة والمصرحة قانوناً .

١١ ــ من الحريات القيمة الإنسانية حرية الفكر والعقيدة في القول والكتابة والطبع إلاّ ان أساء التصرف بصراحة قانونية .

١٢ ــ يلزم لحفظ وضمان الحقوق البشرية العامة إيجاد قوى عامة .

١٣ ــ ولتأسيس القوى العامة يلزم فرض ضرائب متناسبة للقوى المطلوبة وثروة أفراد الشعب .

١٤ ــ وللعامة أو نوابهم تعيين الضرائب ونسبتها والتحقيق والمحاسبة عليها .

١٥ ــ يحق للشعب محاسبة القوى المجرية وعمال الدولة رأساً أو بوسيلة نوابه .

١٦ ــ كل شعب يفقد فيه تعيين الحقوق لأفراد الشعب ويفقد استقلال السلطات الثلاث يفقد القانون الأساسي .

١٧ ــ الناس مسلطون على أموالهم لا يجوز أخذها إلاّ لمصلحة عامة يخولها القانون على أن يعطي صاحبها بدلها عدلاً .

القانون الأساسي الفرنسي : ـ

القـانـون الأسـاسي وضـع في ١٧٩١/٩/١٥ وبمـوجبـه استعيض عن الملوكيـة المستبدة والسلطة المـطلقة إلى سلطة عـامة ، وبـه احيلت السلطة المقننـة للقرانين لمجلس قـوامه ٧٤٥ نـائباً عن الشعب يتم انتخـابهم لسنتين لا يحق للملك حله .

بيد لم تجري الانتخابات بصورة عادلـة لفرض ضـرائب على الناخبين وفـرض شروط مـالية وثـروات خاصـة ، وادخلت تعديـلات في سنـة ١٧٩٢ و١٧٩٣ حيث الغيت الملكيـة وأُبدلت بحكـومة جمهـورية ، وينتخب مجلس للسلطة المقننـة أمده سنـة غير أنـه نرى شـروط مـاليـة للمنتخبين في دورتين في الـدورة الأولى تفـرض ضـرائب مبـاشـرة وفي دورة الانتخـابـات الثـانيـة فـرضت على أن يكون النـاخبين من ذوي الأموال الغيـر المنقولـة ، وفي هذا ما فيه من الاجحاف بالمعدمين .

وتغيّـر القانـون الأساسي سنـة ١٧٩٩ على أثر الانقلاب النابليوني وبه أُقيمت أربعـة مجالس لتهئيـة وتدوين القـوانين وغُيِّرت شـروط الانتخابـات ، ولكنها سنة ١٨٠٢ نرى تبديل القانون الأساسي واستبـدال النظام الجمهـوري بـامبراطـورية نـابليون ، ونصب نـابليون امبـراطوراً ، وفي سنـة ١٨١٤ سقط نـابليون من الحكم وتبـدل نظام الحكم والقـانـون الأسـاسي وشكـل للسلطة المقننـة مجلسين ، مجلس الأعيـان والمجلس النيـابي ، وفـرضت للنـاخبين والمنتخبين قيـود ماليـة وظلّت حتى ١٨٤٨/٢/١٤ حيث تغير نـظام الحكم عنـد خلع لويس فيليب ، وبـه الغيت الملوكية وأُقيمت حكـومة جمهـوريـة ، وأصبحت السلطة المقننة خاضعـة لمجلس واحد ينتخب لثـلاث سنين ، بيد لم تـدم طويـلاً واستعيض النظام الجمهـوري بـالنـظام الامبـراطـوري وتعيين لـويس نابليـون امبراطـوراً واستمر هـذا النـظام حتى سنـة ١٨٧٠ حيث عـاد النـظام الجمهوري ولم يـدم سـوى من ٤/١٨ حتى ١٨٧١/٥/٣٠ في هـذه الفترة استلم زمام الحكم العمال في باريس ، وأقـاموا حكـومة لم تـدم سوى

شهـرين وبضعة أيـام . سنة ١٨٧٥ بعـد اندحـار حكم العمال وضـع قـانـون أسـاسي جديـد بمـوجبـه وضعت السلطة المقننـة في مجلسين همـا الأعيـان والنواب ، فيشكل مجلس النـواب نواب المحـافظات والمستعمـرات عن كل ٢٢٥ ألف نفر نائب والمجلسان متساويان بالحقوق .

في الحـرب العالميـة الثانيـة : تغلّب الألمـان وعـادت فـرائسـه تحت سلطة المانيا يديرها مارشال بيتن حكماً مطلقاً تحت سلطتـه السلطة المجريـة والمقننـــة ، واستمـر الحكم المــطلق من ١٩٤٠ ـ ١٩٤٦ وفي إبـريــل من ١٩٤٦ بعـد خروج النـازيين تشكلت الجمهوريـة الرابعـة بعد استفتـاء عام ، وقـام المجلس التأسيسي لتـدوين القانـون الأسـاسي المؤقت حيث بُـدِّل في ١٩٤٦/٩/١٩ ، ووضــع القــانــون الأســاسي بعــد الاستفتــاء العــام في ١٩٤٦/١٠/٣ وبـه قرروا احتـرام حقوق البشـر المار في ١٧٨٩ مـع شروط جديدة اضيفت له منها تسـاوي حقوق النسـاء بالـرجال ، تلك النسـاء اللاتي كنّ إلى ذلـك الحين محجـورات ولآبـائهن أو أزواجهن كـالــطفـل لــه حق القيمومـة على تصرفاتهن حتى في أموالهن(١) .

كمـا أضافت لحقـوق الإنسـان السـابق إضـافـات فلكـل إنسـان طلب العمل الحر ، ودعوة المطاردين من الأجـانب للحياة الحـرة بفرنسـا ، التعليم المجاني ، والانتماء الحر في طبقات الأصنـاف ، وللأفـراد حق الاضراب ، كمـا لكل فـرد الاطـلاع على المعـاهـدات وشـؤون الـدولـة الاقتصـاديـة ، وتتعهـد فرنسـا عدم التجـاوز في الخارج على حقـوق الاغيـار ، بيـد نـراهـا عملاً ظلّت قاهرة .

وجـاء في القـانـون الأسـاسي أن نـوع الحكـومـة جمهـوريـة والسلطة

---

(١) بينما نجد المـرأة في الإسلام لهـا جميع الحقـوق المساويـة للرجال ، وإن قلت في ارثهـا فقد امتلكت حقـوق مضاعفـة سيأتي ذكـرها في وقتـه ، فقـد كـانت حـرة في تصرفاتها ومالها وحرة في عملها .

للشعب والأفراد يتمتعون بالتساوي فرادى وجماعات ، وحل الأمور طبق موافقة الأكثرية وللمرأة حق الانتخاب كالرجل ، ثم كيِّفت أعمال السلطة المقننة المشكلة من مجلسين ، وتشكيلها طبق شروط يمثلون أفراد الشعب وينتخب رئيس الجمهورية لمدة سبعة سنوات بواسطة المجلسين : المجلس النيابي والمجلس الجمهوري ، ولا يكرر انتخابه أكثر من مرّتين ، ولرئيس الجمهورية اختيارات محدودة تحت إشراف السلطة التقنينية ، وتأييده بعد تقديم الطلبات من هيئة الدولة (هيئة الوزراء) .

وهكذا نرى كيف أن القانون الأساسي الفرنسي أصبح أُلعوبة بيد الحوادث والأغراض البشرية في تذبذب وفي تقديم وتأخير وصعود ونزول ، وهذا الشر كلّه ناتج عن تلاعب البشر وتلاعب الغرائز والعواطف فيه وانحرافه عن المنطق السليم والأصول الفطرية الطبيعية ، وما يدرينا ما سيحدث من تغيير فيما بعد .

أمريكا (الولايات المتحدة) : ـ

هذه الحكومة الرأسمالية العظمى المتنفذة بشركاتها التريست المهيمنة على أعظم اقتصاديات العالم ، زعيمة الجبهة الديمقراطية التي كانت حتى سنة ١٧٧٦ إحدى مستعمرات بريطانيا العظمى . هذه التي نصبت تمثال الحرية عند مدخل ميناء نيويورك أعظم مدن العالم وتزعمت الجبهة المدافعة عن حقوق البشر ، وقبلها أعلنت في عهد أحد رؤساء جمهورياتها إبراهيم لنكولن حرية الجنس الأسود وتساويه بالبيض ، ومنع شرائهم وبيعهم ومعاملتهم كأرقاء ، هؤلاء سوف نرى نوع حكومتها الجمهورية وآثارها في الداخل والخارج .

مشروع التحرر : ـ سنة ١٧٧٤ انعقد في مدينة فيلادلفيا أول محاولة للحد من فرض ضرائب قامت بها إنكلترا على بعض المواد في مستعمرتها وهذه كانت نواة لحركة الاستقلال والتحرر تفاقمت من ذلك الحين إلى سبعة سنين حتى أعلنت استقلالها في ١٧٨٢ متضامنة بمعونة

بعض الدول أخص فرنسا . ولم تكن بين ولايات أمريكا الشمالية ما نجده اليوم من الوحدة ، بل كانت وسائل المعيشة والنظم والقوانين في كل ولاية والحالة الاقتصادية مختلفة ومتباينة والفروض الجمركية بين الولايات من المشكلات المثيرة التي طالما أدت إلى حروب وشجار بينها .

نواة القانون الأساسي الأمريكي : ـ تلك الاختلافات أدت لاجتماع ١٣ ولاية في فيلادلفيا ووضع النواة الأولى للقانون الأساسي بأن حكومة الولايات المتحدة جمهورية كل منها مستقلة داخلياً وواحدة خارجياً في الدفاع وحالة الحرب والناحية المالية تستمد سلطتها من الحكومة المركزية والقوانين الصادرة من مجلس الأعيان والنواب .

ولم يتجاوز عدد السكان حتى سنة ١٧٩٠ في الولايات عن أربعة ملايين بيد انضمت لها بعض الولايات وزادت الهجرة واشترت ما كان يعود لفرنسا من ولاية لويزانا كما اشترت من اسبانيا والمكسيك بعض المستعمرات ، فزاد عدد السكان وهكذا اشترت من روسيا السكا سنة ١٨٦٧ اشترتها بما يعادل سبعة ملايين دولار .

تحرير العبيد : ـ كانت الولايات الشمالية من البيض وقلما تستعين بخدمات السود بعكس الولايات الجنوبية التي كانت السود عبيداً أرقاء في مزارعهم ، وكل خدماتهم ، والدعوة إلى تحرر السود أقام حروباً طاحنة بين الشمال والجنوب وبعد قتلى تعد بـ ٧٠٠ ألف جندي تغلب الشماليون على الجنوب لتحرير السود بزعامة إبراهيم لنكولن رئيس الجمهورية ، وقد ذهب هذا الداعي لحرية العبيد مقتولاً ضحيَّة دعوته ، ورغم الدعوة لتساوي السود بالبيض ظل السود يعيشون في كل شؤونهم في التعليم والمعاملة والمعيشة والحالة الاجتماعية وحتى القضائية لليوم بصورة غير عادلة ، وهي من أبرز الموارد التي يؤخذ عليها الشعب الأمريكي[1] .

---

(١) راجع (رسالة العودة من أنازونا) تأليف الكاتب الروسي الشهير اليا اهرنبورك .

أصل مونرو : ــ مونرو هذا أحد رؤساء جمهورية الولايات المتحدة على أثر طلب الاتحاد المقدس الأوروبي الاستعماري لمد نفوذه إلى أمريكا أعلن أن أمريكا للأمريكيين وحذرهم من المداخلة في شؤون أمريكا ، ومهّد السبيل لمد نفوذ أمريكا أخص واستطاعت الولايات المتحدة من فتح قناة بنما التي بدأتها فرنسا ووصلت الشرق بالغرب ، وتحسنت أوضاعها السياسية على أثر توسعها الاقتصادي وبدت زعامتها في الحرب العالمية الأولى يوم دخولها الحرب بجانب الحلفاء والظفر بهذه المداخلة سنة ١٩١٨ وهكذا نرى أمريكا تتحدى نفسها أصل ما قال به مونرو وتتخطى ما استطاعت للمداخلة في كافة شؤون العالم ، حتى نراها طبق اقتراح مارشال تبسط نفوذها حتى على أعظم دول أوروبا من إنكلترا وفرنسا وألمانيا وغيرها .

ولا نرى من يقف دون هذا النفوذ سوى الدول الشيوعية . وكم رفعت أمريكا صوتها بالعدالة الإنسانية وحقوق البشر ، وقالت وتظاهرت كما مر حين وضعت تمثال الحرية على مدخل نيويورك ، وقالت : بحد لاستعباد السود والحمر من البشر، غير أنه لم يصح هذا الإدعاء عملاً في سلوكها وسيرتها منذ نهضتها في الداخل؟ ولا زال السود والحمر مقهورين منفورين في شتى شؤونهم السياسية والاجتماعية حتى التعليمية وحتى أمام القانون .

أما في الخارج فسل عنها الشرق والغرب ، سل اليابان في هيروشيما ونيازاكي والكوريين في كوريا والويتناميين، وسل عنهم الشرق الأوسط في إيران وكافة البلاد العربية ، أخص تحكمها باسم إسرائيل الصهيونية والمذابح والمجازر المستمرة في جنوب لبنان والحروب العديدة في شرق فلسطين وغربها ، وسل عن اسطولها المهدد الداعم لشركات التريست ومداخلاتها المستمرة في شؤون أمريكا الجنوبية ومختلف بقاع أفريقيا ، ودول أوروبا حتى أعوانها وأياديها في إنكلترا وفرنسا وفرض سيطرتها في

أواسط أوروبا سياسياً واقتصادياً ، وحركاتها الانقلابية في شتى أنحاء العالم تارة تحت ضغط شركات الترست وتارة لفرض مواردها الاقتصادية ونتاج معاملها الحربية ، وأخرى لاستغلال موارد البلدان الأضعف من نفط ومعادن .

وأنت إذا ما تحققت وجدت اليوم العالم في حرب دائم وصراع قائم منذ أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها بل قل منذ أن استفحلت شركات أمريكا وكلما ازدادت قوة ازدادت كيداً وطيشاً تكيل للعالم باسم الإنسانية كل حيف وظلم واجحاف ، وهل يستطيع العالم المتحضر والعقول المفكرة أن ترخي من أستارها على هذه الكتلة الغاصبة المتجاوزة في فلسطين لمحض إلتهام ما في الشرق الأوسط من الذهب الأسود ومعادنها وإقامة حصن لدك المدن والنفوس الوادعة وشل دفاعها عن نفسها ومالها وثرائها غير خائفة ولا هيابة! أحقاً أنها تدافع عن حقوق البشر؟ وهذه لبنان تدمَّر وتقتَّل أبنائها بأسلحة أمريكا وأياديها ، وتلك إيران وأعمال الجاسوسية الأمريكية ومستشاريها في السلب والتدمير والقتل والفتك بالنفوس البريئة الآمنة. ومعاهد العلم ومعاقل التربية ، هل تتساءل أمريكا هذه الحكومة الديمقراطية الداعية إلى حقوق البشر لمن تصنع هذه المخترعات الفتاكة والأسلحة المدمرة ، ألنفسها أم لبني جنسها من أبناء البشر ، أليست أنها تركت الشركات العظمى من الترست تتحكم لا في مقدراتها بل في مقدرات العالم الحر وإن ذلك سيعود عليها نفسها بالويل والثبور بعد حين .

وليس ما أقوله عبثاً فقد أحرزت أمريكا قبيل الحرب العالمية الأولى قصَب السبق في إنتاجها الصناعي وظل يستمر حتى ساوى ما تنتجه إنكلترا وألمانيا وفرنسا ، ثم زاد وظل يستمر من ٢٢٪ من منتوج العالم الصناعي ، وزاد في الحرب العالمية الأولى وبعده حتى بلغ سنة ١٩٢٩ ٢ ,٤٢٤٪ من منتوج العالم ، وخلاله أصيب بنكسة قوية وحذار ذلك فقد وجدت أمريكا

أن خيـر وسيلة هو اثـارة وتقويـة ألمانيـا الهتلرية بيـد نراهـا في ١٩٣٨ كادت تهـوي في سقـطة كبيـرة من حيث النـاتـج الصنـاعي ، ولم يُنجهـا من ذلـك الأمــر إنـدلاع الحــرب ودخـولهــا منتصـرة بعــد أمــد وهي تنتــج أضخم المصنـوعات الحـربية ولكي لا يعـود لها الانـدحار الصنـاعي وتكثر البـطالـة ظلّت تثير أقصى ما تستطيع من الاضطرابات والحـروب هنا وهنـاك بتحريـك شـركـاتهـا الضخمـة أخص الصـانعـة لـلأجهـزة الحـربيـة تلك التي أثـارت الحـروب بعد الحـرب العالميـة الثانيـة هنا وهنـاك ومنها في فيتنـام وأشد في الشـرق الأوسط وإلقـاء النفــاق بينهـا من جهــة وبينهـا وبين من خلفتــه في فلسطين باسم إسـرائيل ، سـالبة مـوارد النفط الضخمة من جهـة وملزمة تلك الـدول المسكينـة الإسـلاميـة بشـراء أضخم مـا تستـطيـع بتلك المـوارد من الأسلحـة الفتـاكـة وإشعـال نـار الحـرب فيمـا بينهـا لتـدميـر تلك الأسلحــة وتجديدها ، وهكذا نـرى الولايـات المتحدة أعـظم مثير للقـلاقل والحـروب في العالم .

القـانـون الأسـاسي وتـطوره : ـ اتفقت الـولايـات الـ١٣ لأمــريكـا الشمالية بتاريخ ١٧٧٨ في فيلادلفيا أنهـا تحتفظ كل ولايـة بشؤونها الـداخلية ولها مجالسها المقننة ، بيـد ترسـل ممثلاً يمثلهـا في المجلس العام ، الـذي يمثلهـا في الخـارج ، ولـه صـلاحيـات كمـا مرّ وكـانت هـذه الصـلاحيـات محـدودة في إعلان الحـرب ، وتجهيز القـوى البحريـة ، وحل الاخـتـلافـات بين الولايات ، بيـد بتاريـخ ١٧٨٧/٥/١٤ أقامـوا قانـوناً أسـاسياً أوسـع من سابقه لدولة ديمقراطية ذات ثلاث سلطات : مقننة ، مجرية ، قضائية.

١) **السلطة المجـريـة :** يجعـل المجلس الأعلى تحت إشـراف رئيس الجمهورية (بواشنطن) ، وهو رئيس السلطة المجرية .

كيف ينتخب رئيس الجمهـورية : يـرى لكل ولايـة انتخابـات لـرئيس الجمهـورية وينتخبـون نـوابـاً بـدورهم ينتخبـون رئيسـاً للجمهـوريـة لأربعـة سنين ، ومن هؤلاء يتقـدم ممثلون لمـركـز الجمهـوريـة الأم لانتخـاب رئيس

جمهورية الولايات المتحدة يجري ذلك تحت إشراف رئيس مجلس الأعيان ، وهذا تحت إشراف أعضاء مجلس الأعيان والنواب يبادر بقراءة الآراء ومن أحرز الأكثرية المطلقة كان رئيس جمهورية الولايات ، وهذا يعتبر رئيس السلطة المجرية في البلاد مع العلم أن في الولايات المتحدة ثلاث سلطات مستقلة الواحدة عن الأخرى .

حدود اختيارات الرئيس : ـ

١ ـ تعيين الوزراء وذوي المناصب العالية بموافقة مجلس الأعيان بيد له وحده عزلهم .
٢ ـ له حق تعيين قضاة الدولة المتحدة بيد لا يجوز تغيير مناصبهم إلاَّ بموافقتهم ، وفي بعض الجمهوريات ينتخب الأهالي قضاتهم مباشرة .
٣ ـ المعاهدات السياسية والتجارية تخص رئيس الجمهورية سوى ما يلحق ذلك من عهود مالية على كاهل الدولة يلزم فيه أخذ موافقة المجلسين .
٤ ـ إرسال وقبول الممثلين السياسيين يخص رئيس الجمهورية .
٥ ـ لا يحق لرئيس الجمهورية إعلان الحرب إلاَّ بموافقة المجلس النيابي .
٦ ـ إصدار اللوائح القانونية من اختصاص المجلسين .

٧ ـ لرئيس الجمهورية العفو وتخفيف المجازات سوى عن الوزراء وموظفي الدولة ، ووظائف وزارة المعارف تخص الولايات نفسها ، كما أن وزارة المستعمرات تخص وزارة الداخلية .

٢) السلطة المقننة : وهو البرلمان المشكل من مجلس الأعيان ومجلس النواب ، فمجلس الأعيان يتشكل من الأعيان ، فلكل ولاية حق انتخاب عينين لمدة ستة سنوات (بدون قيد عدد السكان) بحيث كل

ستتين تجدد انتخاب أعضاء مجلس الأعيان ، بينما ينتخب النواب حسب عدد الأفراد من كل ولاية .

أما السفراء والقضاة فيجري انتخابهم بترشيح مجلس الأعيان ، ورئيس مجلس الأعيان هو نائب رئيس الجمهورية .

التغيير في القانون الأساسي : بموجب المادة ٥٥ منه يجوز باتفاق ثلثي المجلسين تغيير مواد القانون الأساسي على شريطة أن تعرض على المجالس التقنية للولايات وتوافق ٣/٤ على ذلك .

الحريات في القانون الأساسي :

ومن أبرز ما نشاهده في القانون الأساسي للولايات المتحدة : حرية العقيدة والطبع والنشر والاجتماع ، بيد عملاً نجدها جميعاً تحت سيطرة قهارة من عدة سلطات ، منها شركات التريست العظمى والأحزاب المساقة لأغراضهم ، حيث تجدها تسيطر على المطبوعات والنشر والطبع والإذاعة ، فهي باسطة يدها بالإغراء وإلاّ بالتخويف والإرهاب ، بما تبذله من مال وتحرزه من قدرة إرهابية بوسائل علمية وفنية لا يعوقها عن اغراضها قانون وضمير ووجدان ، فهي ترى كل شيء مجاز لإدراك غاياتها الشريفة أو الدنية . (الغاية تبدد الواسطة) .

في الحين التي تنشر أباطيل وأكاذيب وتزيف الحقائق وتخفيها بشدة سيان منها في الداخل أو الخارج ولو بالقتل والتنكيل وسلب الحريات الفردية والجماعية ونشر الفساد والتدمير لبلوغ خططها وغاياتها ، وكثيراً ما تحيق بها كما حصل في فيتنام وإيران ، ولا بد وأن يحصل ذلك إن قريباً أو بعيداً في فلسطين ، إنها اليوم تركز قواها بيد أفراد كل همّها القوى المادية والثروة الآنية بعيدة عن المعنويات والخلق الإنساني الرفيعة ، أمثال الأقليات الدينية والأقليات الأخرى التي تسخرها لبلوغ مأربها حتى إذا طغت يوماً ما دمرتها دون رحمة أو شفقة ، كيفما تقضي بذلك مصالحها ،

فهي ومن تخالفه ينطبق عليها الآية القرآنية : ﴿ **الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلاّ المتقون** ﴾ ، فما كان لله ينمو وما خالف الطبيعة والفطرة الطبيعية فلا بد أن ينحدر ، ولا بد لهذا الجسم الإنساني وهذا المجتمع الإنساني أن يشد إزر بعضه بعضاً ، ويراعى بعضه بعضاً ليسعد ، ومتى سار لمقاصد وأغراض شخصية فلا بد له مهما بلغ من القوة أن يشقى وينحدر وينهار إن لم يكن من الغير ، فمما يحصل فيه نفسه من الفساد والآفات ، وهذا ما يجب إصلاحه قبل فوات الأوان . ولا يحيق المكر السّيء إلاّ بأهله . وهذه أمريكا الغنية المتقدمة في العلوم المادية متأخرة معنوياً وخلقياً وبحاجة ماسة للإصلاحات المعنوية .

روسيا : ـ

مرّ وذكرنا السير الديمقراطي (حكم الشعب نفسه بنفسه) في الدول الرأسمالية . وذكرنا أهمّها . والآن نشرح أُم الدول الاشتراكية الشيوعية كنموذج وكيف كانت وانتقلت إليه ، وكيف تطور فيها هذا القانون الأساسي وحتام يتطور . ونحن نستعرض أوضاع هذه الدولة من قبل الشيوعية ومن بعدها وعلينا أن نقارن بين الوضعين ، وما هي عليه اليوم ومقارنتها مع الدول الأخرى الرأسمالية ، والغاية المرجوة في هذه التطورات في حياة البشر وأي الأنظمة هي أصلح بعد المقارنة مع بعضها ، وما يؤخذ على كل منها من النواقص بعدما امتازت به على غيرها .

روسيا قبل الحكم الشيوعي : - حتى سنة ١٩٠٥ كان الحكم في روسيا حكماً استبدادياً مطلقاً، والقياصرة الروس يفعلون ما يشاؤون، وكل الحقوق الفردية والجماعية مضاعة، وكل الحقوق العقائدية في القول والرأي والنشر والطبع مفقودة ، وقد وجدنا الوعي العالمي في إنكلترا وفرنسا وتقدم العلوم والصناعات كما رأينا العالم الجديد في الولايات المتحدة ،ـ والنهضة الفكرية في الشرق والغرب ، ومهما كانت روسيا في حالة انعزالية فصلتها بأوروبا العالم المتحضر المتقدم وما ينشر

ويقال من الكُتّاب والمتحضرين أهاب بالشعوب الروسية أن تستيقظ وتستعد ، وحينما اندحرت روسيا في حربها مع اليابان في الشرق هذا الضعف سرى إلى أداة الدولة ورفع كفة المخالفين والمتحررين والمطالبة من حد استبداد القيصر ، وإعطاء بعض الحقوق للشعب ، وإقامة مجالس مشابهة لتلك التي تأسست في إنكلترا وفرنسا وغيرها . واعتمد الأحرار على العمال والمزارعين المستضعفين وتأزمت الأوضاع حتى لم يرَ القيصر إلاّ الحد من سلطاته وإعطاء بعض الحقوق للشعب ، فأعلنت حرية الأديان والطبع والنشر والاجتماعات والمجالس ، وبعد سنة ١٩٠٥ تعهد الامبراطور أن تكون وضع القوانين وفرض الضرائب حسب ما يرتأيه نواب مجلس الطبقات المختلفة . وسنة ١٩٠٦ اضطر من تشكيل مجلسين في هذه الفترة طالب النواب بالحد من نفوذ الاشراف وتقسيم أراضيهم بين الفلاحين ، وهذا أدى لتعطيل إحدى المجالس تحت نفس السلطة الاستبدادية السابقة بتحريض الملاكين من الأشراف بعد ٨٢ يوماً من فتحه وإحلال مجلس آخر ، إلاّ أنه نرى غلقه لقيامه بنفس الدعوة للإصلاح بعد أيام قلائل ، صمم القيصر في صم أفواه الأحرار وتعديل القانون الأساسي بحيث حدد كثيراً من الحريات ، وحرم كثيراً من حقوقهم ، ومنع كثيراً من إعلان آرائهم ، وحتى من دخولهم كناخبين ومنتخبين ، وحرم ولايات كثيرة من ذلك مثل سكان تركستان وازبكستان وتركمنستان وتاجكستان وقازاخستان وقرقزستان ، هذه سببت قيام الأحزاب المعارضة قياماً أكثر جدية وصلابة أخص المجامع الماركسية والجماعية الديمقراطية ، كل هذه مرت تشتد أخص في عهد الحرب العالمية الأولى حتى القيام الشيوعي الكبير سنة ١٩١٧ حيث حطّم جميع العناصر المستبدة القديمة وأبادها وأقام على انقاضها نظاماً جديداً في العالم .

وفي كانون الثاني من سنة ١٩١٨ وضع أول قانون أساسي يحفظ به حقوق الكادحين من قبل مجلس الأمة ، وظلّ هذا القانون الأساسي يحكم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للشعوب المنتمية لروسيا يتقدم نحو

التكامل حتى تم في ١٩٢٣/١/١٦ فكان أهم مصدر ومآل للهيئات المحلية الروسية الشيوعية منها الهيئة الاجرائية المركزية ، والمجلس أو الهيئة ، ويتشكل من مجلسين : الأول يتألف من أعضاء وكان آنذاك ٣١١ نائباً ينتخبون حسب عدد أفراد الولايات التابعة ، ومجلس آخر ينتخبون بالتساوي عن الولايات الروسية ، وضلَّ هذا القانون ساري المفعول حتى سنة ١٩٣٦ ، ثم عُدِّل وأُضيف له بعض الإصلاحات في ١٩٤٧/٢/٢٥ ، ولا زال لليوم ساري المفعول .

وينص بمادته الأولى أن هذه الدولة دولة شيوعية جماعية للعمال والمزارعين ، وفي المادة الثانية أنها تتشكل من نواب العمال والمزارعين القائمة على انقاض حكومة المالكين وذوي رؤوس الأموال ، وفي الثالثة أن الحكومة تخص الكادحين في المدن والقرى ، ويمثلهم النواب . والمادة الرابعة : تبين أن الملكية ملكية جماعية ، وكلّ ما في الدولة ملك الجميع (وليس فيها كما مضى ملكية فردية) بما فيها من منقول وغير منقول على اختلافها . ويشرح في المواد الأخرى أن الفرد يستحق على مقدار كدحه ويحدد الملكيات والعمل ، ويحدد ثروة الأفراد من منقول وغير المنقول ، والشروط المفروضة وان العمل احدى الأصول لإدامة وسعادة الحياة ، وبه يحدد عدد الجمهوريات الروسية إلى ١٦ كما يحدد بهذا القانون حدود وحقوق الدولة في الداخل والخارج .

القوى المقننة : يتشكل من مجلسين كما مرّ ، ويشكل أعظم قوة في الدولة ، ومدة انتخابها أربعة سنين . ولكل جمهورية على انفراد لها قانونها الأساسي ، ومجالسها على نفس الشاكلة أعلاه ، والمجلسين يعتبران أهم مرجع للدولة .

القوى المجرية : هم هيئة الوزراء وهي مسؤولة أمام القوى المقننة وتتألف من ٣٨ وزارة عامة .

القـوة القضائيـة : المرافعـات القضائيـة علنية إلاَّ في مـوارد خاصـة ، والمحـاكم محاكمـاتهـا تـدار من القضـاة ومختـاري المحلة . وتعتبـر الهيئـة العليـا لاتحاد الجمـاهير للدولـة أرفـع مقـام قضـائي في المـراكـز القضـائيـة للأشراف والتفتيش وتعيين المدعي العام لسبعة سنين ، ويشرف على تـطبيق القـوانين في أنحاء الجمهـورية ويعتبر مستقلاً استـقـلالاً كامـلاً على شريـطة اتباعه القانون .

وينتخب القائمون على إدارة المحـاكم الـوطنيـة على العمـوم بصـورة مبـاشرة وعلى نمط واحـد بتصـويت لخص لثـلاث سنـوات ، وللمتهم الحق الكامل للدفاع .

الانتخابات : يشترط في الناخبين بلوغ الثـامنة عشـر ومتساوين رجـالاً ونســاء ، ويشتــرط في المنتخبين بلوغ الثـالثـة والعشــرين ، ولا تختـلف الشـروط نفسهـا بين العسكـرين كنـاخبين أو منتَخبين . والانتخـابـات عـامـة وسـرية ، ولا يشتـرط فيها عقيـدة أو عنصريـة أو الدرجـة العلميـة ، ومـركـز الإقامة أو الثروة المادية ، عدد مجلس النـواب ٦٥٦ ومجلس الولايـات ٦٣١ ومـدة انتخابهم أربعـة سنوات ، وكـل يشكل مجلسـاً وكلاهمـا تشكل الهيئـة العليـا لاتحاد الجمـاهيـر ، وهـو أرفـع مقـام يشـرف على السلطة المجـريـة ووضع القوانين .

حقـوق أفـراد الشعب : محفـوظـة لمـطالبـة العمـــل لقـاء راتب معيّن منـاسب لنوع العمـل ، كما لهم الحقـوق الصحيـة للمعـالجـة والاستـراحـة والتقاعد والتعليم الابتدائي مجاني .

الحـريات : حـرية العقيـدة ، الحريـة البدنيـة ، وحريـة المطبـوعـات والمخابرات والمراسلات بيد لا تقر الـدولة بـالدين ، فهي عيـلامية ، وتعليم الـدين غير مـوجـود في المـدارس أو المعـابـد ، وهـذا من المـوارد المهمـة المـأخوذة عليهـا ، أخص وان حريـة الفكر وأخص نقـد جهاز الـدولة عمليـاً محذور ومخوف .

الصفات المميزة : يختلف الحكم الشيوعي ان كل شيء من أرض ومنابع طبيعية ومعامل من منقول وغير منقول ، كلها ملك الشعب ، والأصل العمل ، فالعمل هو الثروة الفردية ، وعلى قدر علمه وعمله يستفيد ، وليس للملكية الفردية والرأسمالية أثر يذكر ، وهذا أصل من أصول القانون الأساسي ، ولا نكاد نطلق على الأفراد أسماء مختلفة عدى اسم المكافحين من عمال ومزارعين وكل فرد مهما بلغ ، فهو يدخل ضمن هذا الاسم مهما بلغ من مقام وسلطة، هذا ما يعنيه القانون الأساسي ولكن هل صح ذلك عملياً في جميع شؤونه من الحريات والتساوي ونزع الطبقات والتساوي العادلة؟ .

وهل أن الديمقراطية الحقيقية وتساوي الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية مؤمنة بصورة عادلة؟ .

لقد مرّت السنون الطويلة على الدول الشيوعية والفرد فيها كآلة مسخرة عاملة كادحة يكاد يكون محجوزاً عليه ، مكمود الأنفاس ، تسيره كتلة تكاد تكون مستبدة ، ويكاد يكون لا حول له ولا طول ، وليس له حق الفكر والقول والكتابة والطبع والنشر والنقد والعمل الحر والنقل والانتقال والتجارة الحرة ، بل كل شيء مسلوب منه سوى منهج مخطط ومحصور لا يحق له أي للفرد ما نراه من الحرية في الدول الرأسمالية ، ورغم ما نسمعه ونراه عملاً وفروقاً بين الشعوب الرأسمالية التي وجهنا لها انتقاداتنا المرة نرى الدول الشيوعية ، تحكم الأفراد باسم العدالة الاجتماعية حكماً استبدادياً ، حكماً مغلقاً مقيداً على الأفكار والأبدان ، يفقد فيه الفرد ذلك الطموح والنهضة والرغبة والنزعة الحرة ، ونرى الدول الشيوعية تنقسم على نفسها وتستعبد القوية الضعيفة ، وتستغل نشاطاتها ، ونرى رغم ما يؤخذ على الدول الرأسمالية من نواقص مارة أن أفراد هذه الدول الرأسمالية أسعد حظاً لذا لا نرى أفرادها يوماً من الأيام تحاول الانحياز إلى الكتل الشيوعية كما تهوي أفراد الكتل الشيوعية من كسر القيود والهروب إلى الدول الغير الشيوعية ، رغم ما نجده من الدعاية الشيوعية الواسعة .

والعيب الكبير في الدول الشيوعية أنها تحرص على التقسيم المار بزعمها أنها تنقذ البشرية من ويلاتها ناسية أن السعادة مقسمة بين الماديات والمعنويات والسعادة والشعور بها إنما هي معنوية نفسية أكثر منها مادية ، فلا بد من اعطاء الفرد الحامل لشتى الطموحات والغرائز المجال للسعي واعطائه المجالات الحرة ، والعمل والتفكير الحر .

الواقع أن الرأسمالية والشيوعية كلاهما بحاجة إلى تعديل وتقريب وإصلاح ومزج وتفكيك واعتدال وانتقال إلى النظام الفطري الطبيعي الذي هو خير السبل وأسعدها وأجمعها ، والذي سوف نتحدث عنه كما أشرنا له فيما مضى .

القانون الأساسي في الحكومات الإسلامية :

لا شك أننا سوف نبحث مفصلاً في القانون الأساسي في الإسلام ، وأما الآن فنريد أن نذكر القانون الأساسي الذي بدأ في انكلترا وفرنسا وسار في البلاد الأخرى بعد أن كانت تطبق فيها الحكومات الاستبدادية ، وقد مرّ وذكرنا نمطين من تلك الحكومات التي سارت بعد الحكم الاستبدادي إلى الديمقراطية أعني حكومة الشعب ، ووضع حدود لحقوق الشعوب وقيام السلطات التقنينية التشريعية والسلطة المجرية والسلطة القضائية ، ورأينا كيف انقسمت إلى قسمين ، الحكومات الرأسمالية التي قوامها الحرية الفردية ولها الاختيار في التملك وباقي الحريات الجسمية والفكرية والمالية و . . . الخ . والحكومات الاشتراكية الشيوعية وقوامها ملكية المجتمع وكفاح الفرد وكل منها تشعبت إلى أقسام وحدود في سلطان الفرد وأثره وسلطان الشعوب وحدّها من فرض القوة والسلطة .

أما الآن فنتكلم كيف سرى ومتى سرى الحكم الديمقراطي الحديث بين الشعوب الإسلامية ، والشعوب الإسلامية لا تتعدى الثلاث :

١ ــ الامبراطورية التركية التي كانت تحكم الشعوب الإسلامية أخص البلاد التركية والعربية على اختلافها .

٢ ـ الامبراطورية الايرانية ومن كان تحت سلطانها المستبد من الشعوب .

٣ ـ الشعوب الإسلامية الأخرى التي خضعت لسلطات أخرى كالجمهوريات الإسلامية التي تخضع اليوم إلى روسيا الشيوعية يوم كانت محكومة مقهورة تحت سلطة القيصر المطلقة ، والأخرى في البلاد الأخرى .

ولقد كانت لصدى الثورات والانقلابات التحررية في الدول الأوروبية الواحدة تلو الأخرى وما نشره الكتاب المتحررون ، وامتداد الحكومات الأوروبية سلطانها في الشرق والغرب ، وما كانت تعانيه الشعوب الإسلامية من ظلم السلطان في تركيا نفسها والقضاء على النزعات الإصلاحية وقيام الأحزاب التحررية في سوريا ومصر وجور بعض الحكام كجمال باشا في سوريا ونزعة الحكام الآخرين للتحرر كمدحت باشا في العراق وغيرها .

ومحمد علي باشا في مصر واستقلاله وقيام رجال مصلحين للم الكلمة وطلب الوحدة ، وبث الوعي العام في الشعوب الإسلامية من خطب وكتابات كسيد جمال الدين الأفغاني (الأسد آبادي) وآثاره في بلاد فارس والبلاد الإسلامية أخص مصر وغير الإسلامية[1] . وقيام رجال الفكر في تركيا وإيران ومصر وسوريا والعراق . وأهابتهم بهذه الشعوب المستضعفة الخانعة المستكينة الراضخة تحت قيود ونير السلطان العثماني الجائر المستبد وشاهات إيران الغشم ، وما أدت إليه سلوك هذه الملوك إلى أعظم الفجائع من الفقر المتقع والجهل الضارب أطنابه في طول البلاد وعرضها ، وتفكك عرى الأقطار والمدن والقبائل وحتى في المدينة الواحدة والقرية الواحدة في تفرقة ونفاق خلاف ما ورد في الكتاب والسُنّة بأن المؤمنين إخوة .

ولا نرى للولات والحكام والأمراء سوى إرضاء شهواتهم واطماع

---

(١) ترى بعض آثاره الكلامية في العروة الوثقى

سلاطينهم لغرض الاحكام والضرائب مهمى نتج عن ذلك من الخراب والدمار والأمراض الاجتماعية والأوباء الجسمية والعقلية ، فكنت لا ترى أثراً للعدالة الإسلامية وسلطان أحكامها ونصوص الكتاب والسنّة ليست جارية إلاّ اسماً ولا قوانين مدوّنة ولا حرية فردية أو جماعية في كافة مجالاتها العامة والخاصة . فالسلاطين وما شاؤا وفرضوه لا يقف دون أمرهم ونهيهم أبداً شيء حتى الدين لأن الدين في البلاد الإسلامية العثمانية تسيرها السلطات الغاشمة لسلاطين آل عثمان الذين أسبغوا على أنفسهم اسم الخليفة ، فهم أولوا الأمر المطاعون ، وهم الذين ينصبون علماء الدين وأئمة الجماعة ويقسمون بينهم مقاماتهم ومساجدهم وقولهم لا يجوز بحكم شريعتهم مخالفتهم ، فهم أولوا الأمر بعقيدتهم المزيفة ، وبلغوا ما بلغوا من الظلم والغش والإلحاد .

ولم يبق من علماء الدين المعتدين بأنفسهم المستقلين عن البلاط القائمين على حراسه الدين سوى علماء الإسلام الجعفرية الفارضين في الحكام العدالة واتباع الشريعة ، وإذ كان السلطان في بلاد فارس يعلم بمقامهم كان إما جلب رضائهم الذي هو رضا العامة أو وضع فاصلاً وحائلاً بينه وبينهم ، وتقريب من صالحه وأقرّه ، وربما محاولة إدخال ما هو خارج عن أصول الدين من فروع لا تمس تزكية لأعمالهم وأقوالهم ، أو إطاعة أئمة الدين بما لا يمس كرامتهم . وكان الجميع من السلاطين والحكام في كلا البلادين العثمانية والفارسية لا يتمشون مع الأحكام الإسلامية ولا يخضعون لقانون يقيدهم ذلك قبل سرابه الحضارة الأوروبية الجديدة وظهور القانون الأساسي ، لذا ترى هذا الحكم الاستبدادي يتبدل من شدة إلى خفة كلما اسندت الوزارة إلى صاحب كفاءة وضمير ودين أو ظهر عالم ديني قدير مسيطر على المجتمع مطاع أمره يهابه الملوك ، ربما عدل نسبياً في سيرته وقلل مظالمه .

وكانت جباية الضرائب من أشدها جوراً على الشعوب إذ لم تركن

إلى قانون ونظام ، وما يعود بها للشعب من نفقاتها العامة في شتى المجالات سيان منها للمعوزين وفي سبيل بعض الإصلاحات العامة والخاصة كما نراه اليوم في العمران والصحة والتعليم وغيرها كل ذلك لا ينقاد لنظام أو قانون بقدر ما يعود لعلم وضمير السلطان والحكام والأمراء والولاة الذين ينصبهم وهكذا جبايتهم وروح القدرة والغلبة والقهر مظهر من مظاهر السلطان .

ولا تجد بين الوزراء والقواد والولات والجباة إلاَّ من يهتم أولاً بمطامعه ومقامه ثم إقناع أولي الأمر الذين فوقه دون رعاية حق العامة ، وسيأتي شرح ذلك في صدر الإسلام ، وكيف أن الإسلام لم يبق منه إلاَّ اسمه فقد كان بيت المال العائد للخدمات العامة بيتاً خاصاً للسلطان وما يجبى من الأموال للخدمات العامة والمعوزين والإصلاح العام ، إنما كان يفرض بدون قيد وشرط لصالح الطغمة الحاكمة فحسب ، ولا نجد في ذلك قصداً إصلاحياً أو جباية دينية بقصد البر والإحسان الذي جاء به الكتاب أو فرضته السُنَّة أو تحث عليه الإنسانية والفطرة أو العقل السليم .

وهكذا ترى الملوك دوماً تعين في المناصب أشد الحكام امتثالاً وأنزعها لجمع المال وفرض الأوامر وقهر الرعية دون قصد عدالة أو مساواة اجتماعية أو وجدانية أو دينية من كل ظالم جائر ، مكار محتال ، أشدهم مكيدة وأعظمهم جشعاً وأشدهم حرصاً وأوفرهم جمعاً للمال إرضاءً لسيده وثم لنفسه ، هذا على قدر سخاءه وطاعته للسلطان وأعوانه أقربهم إليه وإليهم .

يقول السيد محمد طباطبائي أحد رجالات إيران مخاطباً بها الملك القاجاري مظفّر الدين شاه ابن ناصر الدين شاه: « المملكة خربة والشعب حيران ومستعطي ، ايادي الحكام وجور المأمورين على أموال وأعراض ونفوس الرعايا ممتدة ، وظلم الولاة والأمراء لا يحد فيما شاؤ انتزاعه من أموال رعاياهم ، قهرهم وغصبهم وشهوتهم كيفما شاؤا من ضرب وقتل وبتر

مطيعون ، من أين جمعت هذه العمارات والأمتعة والنقود والأملاك في أقصر مدة . . السنة الماضية غصبوا النبات من محافظة قوجان حيث أعوزهم دفع الضرائب القاسية وباعوهم إلى التركمان وأرامنة عشق آباد (الداعدائهم) باعوهم بأبخس الأسعار ، عشرات آلاف من رعايا فوجان من شدة الظلم فرُّوا إلى أرض الروس » .

هناك لا نجد قوانين وأنظمة تحد من هذه التجاوزات وتحفظ حقوق الشعوب الإسلامية ، نعم كلما نجده من حياة غابرة وحاضرة ومستقبلة إنما يرتبط بما يحمله السلطان وامراءه وولاته وحكامه وجباته المسيطرون على أفراد الشعب .

هذه الكوامن الداخلية ، وتلك النوازع الخارجية دعت الأحرار والمفكرين والكُتّاب إلى النزعة والتحرر والإهابة بالشعوب والقيام في وجه طغيان هذا الاستبداد المرير ، إلاّ أننا كما ترى الملك الطاغي وأعوانه الخونة يشتدون كلما وجدوا حركة إصلاحية أو دعاة للتحرر حتى نجد أحد وزراء البلاط الفارسي في عهد الصدارة العظمى (رئيس الوزراء الايراني) عين الدولة يخاطب أعوانه الذين يريدون الانصياع لطلب الأحرار لإقامة ديوان تجري فيه أحكام العدالة يقول : « إن انصياعكم لطلب الاحرار هذا إنما تريدون إقامة محكمة يتساوى فيه الحكم المفروض على ولي العهد وابن بائعي الفواكه على حد سواء وعندها سوف لا يستطيع حاكم أن يجبي ضريبة »[1].

ولقد كانت الثروات الكبيرة من أرض وغلة ومال إنما هي احتكار المالكين وذوي الضيعات من ذوي رؤوس الأموال ، ولذا بسبب احتكار هؤلاء للغلاّت كانت تصاب البلاد من حين لآخر بالقحط وزج الشعب في انكد وأتعس الحياة المريرة.

---

(١) راجع تاريخ المسروطة لكسروى وهو كاتب فارسي متحرر .

وكـان الكـادحـون من العمـال والمـزارعين والمعـوزين من الـطبقـات الـفقـيـرة الأكثـريـة مـن الشـعب لـجهـلهم وفـقـرهم وتـفـرقهـم وعـدم إحاطتهم بوسائل الانقـاذ وقلة الوسـائل السـائدة اليـوم من صحف ونشريـات وإذاعات من راديو وتلفزيون ووسائل النقـل المقربـة والمواصـلات كل ذلـك كـانوا في عـزلة عن بعضهم ، وكـان من أشد مـوجبات ضعفهم إلاّ أنـه كلما زادت تلك وكلمـا ظهر من الأحـرار والمصلحين وفشت الحركـات التحرريـة في العالم المتحدث وطـرق سمعهم حرّضتهم بهمم ذوي الفكر من الرجالات لتوحيد كلمتهم ولتستفزهم للحد من حكم الطغاة المستبـدين ، وفرض حيـاة عادلة أو أقرب إليها ، ولقد بدأ تجار الصادرات والـواردات لما كـانوا يقـاسوه من ضرائب المكوس والكمارك ولوقـوفهم أكثر من سكـان القرى والمـزارعين على الحركات الإصـلاحية وتثبيت اقـدام اخوانهم من الصـارخين بالإصـلاح الاجتماعي من ذوي الفكر .

ومن عـوامـل النهضـة التحـرريـة من البـلاد الإسـلاميـة ، عـدى قيـام الكتـاب وذوي الـرأي من المصلحين في البـلاد الإسـلاميـة قيـام الكثيـر من رجالات إسلاميـة من الكتاب والتجـار والسياسيين الـذين اختلطوا بالشعـوب النـاهضة الأوروبيـة وأشرفـوا على النهضات التحـرريـة وتقلص الاستبـداد ، ودخول كثير من رجـالات الغرب من الفـرنسيين والانكليز في شمـال أفريقيـا بعنـوان غزو أرض أو غـزو مالي لعـرض بضائعهم وشـراء المواد الخـام منهم أخص في عهـد نابليـون ومـا اعتـور البـلاد العثمـانيـة في تلك الأزمـان تلك البلاد المجاورة لأوروبا وما بـرز في شبابهـا من اليقظة ومثله الشبـاب العربي في مصـر وسوريـا والعراق ، ومـا حصل في بـلاد إيران من اليقـظة على يـد رجالاتها السياسيين والتجار والكُتّـاب ، وما دخلهـا من رجالات الغـرب لغزو تجاري وسياسيين ومد خطوط المواصلات أخص الإنكليـز الذين وجـدوا في بـلاد إيران خـير سبيل لـربطهـا مع أهم مستعمـراتهـا أي الهنـد ، ومن جهـة أخـرى بدء الاستفـادة بعـد ذلـك من وقـوفهم على المنـابـع الـطبيعيـة للنفط وتنظيمهم طرق المواصلات البريدية واللاسلكية ، وامتداد مواصلات حـديديـة

بين أوروبا وآسيا وتزايدها وتقاربها من حين لآخر .

وبالتالي البعثات الدراسية القليلة التي قام بها ذوي اليسار ومحبي العلم من الطلاب ، والمرسلة من قبل الحكومات الإسلامية لما تقضيه الضرورة في هيئة الدولة أو التجارة أو المصانع القليلة الحديثة التي بدأت تنشأ في البلاد الإسلامية المشتراة من أوروبا الصناعية والتي تحتاج إلى خبراء في عهد الخلفاء العثمانيين المستبدين والمصريين في عهد محمد علي باشا وبعده وفي إيران في العهد القاجاري أخص في عهد بعض المصلحين من رجالاتها مثل أمير كبير رئيس وزراء إيران في العهد القاجاري الذي استخدم معلمين أوروبيين للتعليم ، وفتح المدارس وأرسل دورة تعليمية من الطلاب الإيرانيين إلى أوروبا وتأسيسه مدرسة دار الفنون والسماح بنشر جرائد في البلاد العثمانية والإيرانية والعربية ، ولقد رأينا بطش الخليفة العثماني عبدالحميد بالأحرار في تركيا وخارجها على يد ولاته وكذلك بطش السلطان القاجاري ناصر الدين بوزيره المصلح اميركبير وقتله في فين كاشان لمحض طلبه إصلاح الوضع وتحريض ذوي النفوذ من السلطات الأجنبية والإيرانية تلك التي كانت إنذار لتقلص نفوذهم وبقصد القضاء على روح النهضة الإصلاحية ، غير أن تدفق وسائل الإصلاح المتزايد إلى الشرق والنهضة الفكرية رغم ما قاست من المعارضة ظلت في تزايد ، أخص بفتح المدارس والمعاهد والطبع والنشر يوماً بعد يوم تلك الوسائل التي أزاحت الظلام الدامس من الأقطار المتحجرة وأزالت النكدات وأدخلت آمال وأماني جديدة أخص بعدما وقفوا على ما كانت عليه أوروبا في نفس النكبات وكيف تحرروا ، بدأت هذه الحركات التحررية أخص بعد انبثاق الثورة الفرنسية ووصول صداها إلى أحرار ومفكري الشرق الإسلامي فكانت بادرة إصلاح في كل الشؤون السياسية والاجتماعية والتعليمية والاقتصادية .

تلك كانت نواة لوضع القانون الأساسي في جميع الدول الإسلامية

والتقـرب من الحكم الديمقـراطي وتقليص نفـوذ السـلاطين والملوك وفـرض إرادة للشعوب ، وإقامة قوانين وحدود لتلك السلطات المطلقة الجائرة .

وبـالوقت الـذي كانت الحكـومات المستبـدة وأعوانهم تستنكـر إقـامـة حكومة ديمقراطية في البلاد الإسلامية كانت تؤيـدها الأيـادي الخارجيـة ذات المنافع الخـاصة في هـذه البلاد من إنكليـز وفرنسيين وتلتهـا إيطاليـا وألمانيـا وبالتالي الـولايات المتحـدة الأمريكيـة ولا ننسى روسيا القيصـرية والشيـوعية ومـا كـان يـدور تحت الستـار بينهـا وبين الـدول الأوروبيــة. أخص انكلتـرا وأحزابها وتكالبها على التهـام الشيخ المـريض ومستعمراتـه العربيـة (الدولـة العثمـانية) ، وبـلاد فارس ، ومـا قام من المعـارك في مصر في عهـد خلفاء محمـد علي باشـا وقبله بعد الثـورة الفرنسيـة في عهد نـابليون وبعـده وكيف بسـطت فرنسـا نفوذهـا على شمـال افـريقيـا في مـراكش والجـزائـر وتـونس وبالتالي إيطاليا بعـد الحرب العـالمية الثـانية على ليبيـا والحبشة ، وكم كـان لهذه الغزوات والمحاولات من أثر في الـدعوة إلى الحـرية والتحـرر والنزعـة من الحكم الاستبدادي الغاشم الوطني والأجنبي .

ثم نعود فنرى نجاح الحـكم الديمقراطي وإقامة قوانين أساسيـة ومدنيـة وحقـوقية وجـزائية ومـالية وفـرض سلطات برلمـانية ومجـرية وقضـائيـة قبيـل الحـرب العالميـة الأولى وبعدهـا في البلاد العثمـانية والعـربية وبـلاد فـارس وتنازع هذه القـوى التحرريـة مع الملوك المستبـدين ومن خلفهم من الحكام المستبـدين مـع الأحـرار الـذين بـذلـوا الغــالي والـرخيص في سبيــل تلك النهضـة ، إلّا أن هذه المـرة دخـول طغـاة غـازين من الخـارج لسلب ونهب خيـرات البلاد بشتى أنـواع الاحتلال في تـركيا قبـل الحرب العـالمية الأولى وبعدها وفي إيران وسوريا ومصر والعراق والجزيـرة العربيـة وشمال افـريقيا ، والمــلوك إذا دخلوا قريـة أفسدوهـا فمرة محتلين غـاصبين وتاركين منـدوبين عنهم لحكم البـلاد كمـا جـرى في بـلاد الجـزائـر وتـونس ومـراكش ومصـر وسوريا والعراق أو استحواذهم بـالنفوذ على البـلاط الملكي والجمهوري في

تركيا وبلاد فارس ، وافساد كل ديمقراطية نهض بها أحرار البلاد وغذوها بدمائهم الطَّاهرة تذهب سدى بتشكيل نظام ديمقراطي زائف أَمَرّ وَأتعس مما كان في عهد الحكومات الاستبدادية الغابرة ، تنصب بزعمها السلطات لحكومة دستورية في وقت يتنفذ بها ويقوانينها وسلطاتها سلطان لا حول له ولا قوة ، وكلما هناك مستشارون من الدول المستحوذة تفعل ما تشاء من قتل وتعذيب الأحرار وزجهم في قعر السجون والفتك بهم بأبشع ما تمجه الضمائر أشد فتكاً من الضواري المفترسة باسم الحرية والاصلاح كما فعلت في كافة البلاد الإسلامية وألقت الفتن بين هذه الدول دون جدوى وخلفت لهم مصائب لمحض امتصاص ثرواتهم ومدهم بالأسلحة الفتاكة التي تخرب ديارهم وتثير النزاع والفزع بين شعوبهم في الداخل والخارج وتشغلهم عن الاتحاد والوحدة والقوة ، وخلقت لهم من أنفسهم أعداء الداء باسم الدين والقومية وإذا اليهود والمسيحيون والإسلام في العرب ومن نسل واحد وأب واحد يتناحرون تناحر أشد الأعداء ضراوة يفتك الواحد بالآخر فتكاً يتشفى به دون وعي ودون أن يفكر أن هناك من بني نوعه هذا الإنسان الذي يدعي الحضارة والمدنية هو المحرض الوحيد بغية سلب هذه الثروة الطبيعية التي وهبه الله إيّاها من نفط ومعادن ، ليسلبها ويعيضه بأسلحته المدمرة يقاتل بها نفسه وأخاه ويمزقه أشلاءًا وعداءًا ولا يجد بعد الضعف سوى الخنوع ، كل ذلك بيد عصبة ضئيلة صغيرة من بني جلدته غلبت عليهم المطامع والامارة الزائفة ورضوا بالقليل من سلب هذه الثروات القائمة على سلبها الغزاة الطامعين من اخوتهم وآبائهم وأبنائهم وعمومتهم ، وهذه البلاد الإسلامية والعربية والفارسية والتركية كل يوم تشاهد مذابح باسم الدين واسم المذهب على عتبة هذا الغاصب الظلوم وترى بأم عينها ويمحص الحق من الباطل . وتحيد عنه فإلى متى؟!!..

روسيا وإنكلترا ثم أمريكا في إيران : ــ

كانت تحاول روسيا القيصرية التهام إيران منذ العهد القديم ،

فالتهمت أقسام مهمة من أجزائها الشمالية والشمالية الشرقية والشمالية الغربية ضامة تلك إلى امبراطوريتها القيصرية . بلى سلبت ولايات مهمة كانت تشكل أهم ولايات الامبراطورية الفارسية القديمة مثل تركستان وازبكستان وتركمنستان وتاجيكستان وقازاخستان وقرقزستان وكرجستان والقسم المهم من أذربايجان ، ويسكن أكثر تلك الأقطار شعوب إسلامية لها آثارها ومشاهدها ولا زالت محافظة رغم ما كانت روسيا القيصرية المسيحية تفقد فيها حرية العقائد ورغم أن الدولة الشيوعية الروسية لا تقر الدين مطلقاً وقد فصلته من سياسة الدولة ومدارس التعليم فالإسلام لا زال قائماً في تلك الأصقاع ، ولكننا نرى المسلمين هناك منقطعين كل الانقطاع عن اخوانهم المسلمين في العالم ، ومحرومين من الخروج إلى باقي البلاد الإسلامية ، تلك الحرية التي يتغنى بها القانون الأساسي الروسي رغم الحنان الذي يحمله اولئك أخص لمجاوريهم وبني وطنهم الأسبقين، ورغم ما بذلوه قبيل الانقلاب الشيوعي لإصلاح الوضع الدستوري الديمقراطي لإيران وطنهم الأصلي ومدوهم بكل عون مادي ومعنوي رغم كل ذلك فقد ضربت دولة روسيا الشيوعية حصاراً حول كل تلك الشعوب وعزلتهم عزلاً باتاً من التماس حتى مع الشعوب المجاورة .

أما إنكلترا للوصول إلى مقاصدها الاستعمارية في الهند وأهدافها الاقتصادية في نفط إيران فقد تحكمت في الشرق الأوسط ومدت شباكها على العراق والخليج واستعمرتها واستحوذت على أهم المراكز السياسية وأخص البلاط الملكي الإيراني وكبلتهم بمعاهدات قهارة وبثّت مستشاريها وجواسيسها للتفرقة والفساد والتضعيف والاستحواذ على أهم السلطات المقننة والمجرية وحتى القضائية وكل منابع الثروة في البلاد بما لديها من مهارة وقوة فكان لها ما شاءت وظلت سيدة البلاد حتى داهمتها الحرب العالمية الأولى وأعقبتها الثانية واضطرت لادخال أمريكا عوناً لها أخصّ في الخليج وإيران فكانوا كالذئاب الكاسرة لا يرضون بالتهام كل منابع الثروة في البلاد بل جر الويل والثبور إلى شعوبه قهراً والاستحواذ على البلاط

والجيش ومراكز الدفاع والهجوم من الجيش والشرطة والدرك وأهم المراكز الحساسة المالية والاقتصادية والمواصلات وتسليمها إلى خبراء ومستشارين منهم يتقاضون عشرات أضعاف ما يتقاضاه أمثالهم من علماء ومهندسين وفناني نفس البلاد ، ويذلوا بما لهم من قوة وسلطة لافساد هذا المجتمع بشتى أنواع الفساد وسحق قواه المادية والمعنوية وإفساد أخلاقه بالرشوة والتجسس وفرضوا للأحرار أشد أنواع المطاردة والقتل والتنكيل والتعذيب في زنزانات السُجون المستحدثة بأرقى وسائل القسر وأهول أدوات الزجر ومطاردة كل الطبقات ؛ فالطلاب في جامعاتهم وعلماء الدين في مساجدهم والتجار في أسواقهم لا يسلم منهم أحد ، ولقد قامت قائمة الأحرار في زمن الحزب الوطني (المحلي) للدكتور مصدق وصاح بأعلى صوته اغلقوا آبار النفط ، لا نريدها ولا نريد خيراتها ودعونا نعيش في أمن من أهوالكم غير أنه سرعان ما عادوا واستحوذوا على البلاد بأشد من أوله وسلموها بيد أقلية من الخونة كانو عمال المستعمرين وألدّ أعداء الوطنيين ، وكأنهم لا يصلون بصلة لأبناء جلدتهم ولا يصلون بصلة للخلق الإنسانية ، قساة مردة يقتلون ويسلبون ويغدرون ويزجرون ويحبسون ويطاردون الكبير والصغير والرجال والنساء وحتى الصبيان وحتى الطلاب في جامعاتهم وفي صفوفهم وحتى الثانويات لم تسلم منهم ، ومدوا أيديهم في كل صغيرة وكبيرة ، واستحوذوا على كل المرافق الاقتصادية والأخلاقية والدينية حتى ثارت ثائرة الشعب وبلغ السيل الزبا وانفجرت النفوس تريد العزة والكرامة أو الموت ، وكانت التضحية عظيمة وأكثر عظمة والإيمان كبيراً لتحطيم قوى الشر والمكائد الغربية وتوحيد كلمة الإسلام وخلق الروح المعنوية . فهل تحقق ذلك؟! .

في مصر :

في الوقت الذي تتوحد كلمة المسلمين من العرب والعجم ضد الحركات التعسفية في الشرق الأوسط ويتقارب الزمن للقضاء على البؤرة

الانتانية في فلسطين ، تلك البؤرة الانتانية التي خلفها الاستعمار الأمريكي والإنكليزي لاشعال نيران القلاقل وزعزعت أركان الشعوب المتنامية بثروتها بقصد سلب تلك الثروة وتحطيم ما يؤل لها من قوى مادية ومعنوية بتطاحن وتفرق وضرب الواحد بالآخر ، وخلق عناصر أعمت بصائرهم واندفع لحتفها بضغرها باسم الدين والدين منهم بريء لإقامة دولة بزعمهم تجمع شتاتهم وتقيم قناتهم وتعيد كرامتهم وتجدد سلامتهم ، ناسين أنهم بعملهم هذا يخلقون لأنفسهم عوامل الفناء ومناهل الفساد والشقاء ، وما يزيد اليهود في العالم ألم يكونوا المسيطرون على أهم موارد الثروة في العراق وإيران وأوروبا واليوم في أمريكا؟ وهل الله هو في فلسطين ومن منعهم عن عبادتهم ومعيشتهم مع أبناء عمومتهم العرب ، ألم يكن دينهم ودين الإسلام من منهل واحد هو دين أبيهم إبراهيم ، فما الذي أغراهم أن ينكلوا بأعز عنصر كان يحميهم ويدافع عن كيانهم ويعيشون معاً آمنين ، أليس هو الاستعمار ، فما الذي حداهم أن يركنوا إليه وهو ألد أعدائهم الذي طالما أهانهم ونكل بهم وقتلهم وحرقهم ومزقهم ، أَوَجدوا من الإسلام ما قاسوه في أوروبا ، أكان هتلر عربياً؟ أكانت محاكم التفتيش عربية إسلامية؟ تلك التي كانت تحرقهم حرقاً ! أكان الذين منعوهم من التعاطي بأية مهنة وحرفة أفي أوروبا أم في البلاد الإسلامية؟ وغداً سيندم هؤلاء كما ندم من قبلهم أولئك الذين أشرب في قلوبهم حب العجل وذلوا عن طريق الصواب وعن طريق دينهم وثوراتهم حتى سلط الله عليهم نبوخذ نصر فمزقهم وذبحهم وأسرهم وأحرق مقدساتهم ، وبعدها ملوك الروم وما صنعوا بهم وبعدها هتلر ، وسوف يرون حسابهم في المستقبل شاقاً عسيراً ، وعسى أن لا يكون بيد المسلمين بل بيد نفس من يحرضهم كما قال الله الظالم جندي انتقم به وانتقم منه ، وما ظالم إلاَّ سيبلى بظالم . لقد أبطرتهم الراحة والمال ، ما بالهم وهم سادة أمريكا اليوم وسادة أوروبا فوالله لينزلن بهم عذابه وليخرجون منها ، بل من سلم من الفتك المريع أذلة خاسرين ، ولا يحيق المكر السيء إلاَّ بأهله .

سبحــان الله إنهم في سكــرتهم غــافلون وعن نعمتهــم زائلون وإلـى الـدرك نـازلـون ، يعلم الله أنهم مـا أنصفـوا قـومهم ومــا نصحـوا كبــارهم وشبابهم وصغارهم ، وأضاعوا نعم الله واستباحوا حـرم الله وجاهـروا بالـظلم وابتعـدوا عن المنطق السليم والـرأي الحكيم ، وسيلقـون من الأهـوال أشـد ممـا انصرم ومـا لا ينفع معـه ندم ، إلاّ إذا انصـاعو إلى الصـواب قبل نـزول البلاء وثابـوا إلى الحقيقة وتـابوا لـرب الأرض والسماء ، ويـا للأسف لمصـر وهي كادت تبلغ المرام بـزعامتهـا وأحرزت قصـب السبق لبلوغ كـرامتها وإذا بها تعتزل الأخرى وتتقاعس عن التفـوّق ، أكان ذلـك مكيدة بـالعدو والحـرب خـدعة أم صـافحتـه مصـافحـة من أعمــاه روعـه اني لأشهـد أنهـا الأولى ، فالعقل السليم يحكم بذلك ولقد وجدنا مصر مجـدَّة بزعـامتها وحـريصة على كـرامتهـا ، فقـد هتكت العـدو مـادة ومعنى ، وصنعت بعملهـا من الـدول العـربية المتفـرقة وحـدة متراصـة اسنى وأهنى ، وسنـرى المستقبـل كـاشفـاً لصدق النية وحسن الطوية إن شاء الله .

الانقلاب المعنوي : لو تصفحنا الانقلابات في العـالم كله لوجـدناهـا مادية رأسمالية ، أو مادية شيوعية كالدول الحـاضرة ، أو مـادية دكتـاتوريـة ، لا تمت إلى الرأسماليـة أو الشيوعيـة وربما كـانت دكتاتـورية مـطلقة كـالدول القديمة في مصر وبين النهرين وبلاد فارس وأوروبا قبل المسيـح ، وقد كـان للنـزعة الـدينية التي وردت في التـوراة والإنجيل والقـرآن حملة مـوجهـة إلى تلك السلطات المـطلقة المـادية الـظالمة ، التي أرادت إعـلان حقوق البشـر وتـوجيه البشـر من الماديـات المطلقـة المليئـة بـالقسـر والـظلم والاجحـاف والاعتـداء ، إلى الضمير الحي إلى الـوجدان إلى المنـطق بل إلى الله ، إلى الخلق الفاضلة ، إلى البر والإحســان ، إلى تزكيـة النفس والمساواة بـل إلى أبعـد من ذلك إلى العفـو والـورع النفسي وجمـح الغـرائـز النفسيـة من حب المال وحب الجاه وحب الـذات وتعديـل الغرائـز الجنسية ، تلك التي نـادى بهـا الأنبياء والـرسـل ، على لســان نـوح وإبـراهيم ومـوسى وعيسى ومحمـد عليهم الصـلاة والسلام ومن تخللهم ودعى إلى هـديهم أولئـك الـذين دعـوا

للحياة الفطرية للحياة الطبيعية للاعتدال إلى الصراط المستقيم برائد العقل والحكمة والعلم ، إلى ترفيع الحياة من المادية الدنيئة إلى المعنويات البريئة ، وجميعها كانت دعوة عامة شاملة إلى خير البشر ، وجمع البشر بالعدالة والتساوي وعدم تفكيك هذه العصبة ووضع الفوارق بين الأفراد والجماعات والحدود والامتيازات باسم السلالات ، باسم اللغات باسم اللون باسم الأرض وبأي اسم وميزة أخرى إلاّ الميزة الأخلاقية الرفيعة وميزة البر والاحسان وإسداء الجميل والتواضع والخدمة العامة والخاصة لبني النوع هذا بروح نكران الذات الحريصة المتكبرة ، المستبدة ، المعتدية ، القهارة الفتاكة . بسمو المعنى بسمو العقل بسمو النفس برحابة الصدر ، بالمعونة والالفة والصداقة والحب ، تلك الأصول الإنسانية السامية بالعلم والحكمة والحلم والحنكة والجد المتواصل والسعي الحثيث لكسب الفضائل والخبرة والتجربة والعلم والتعليم وفتح حجب الظلام وجمح الهواجس وشهوات الغرائز الرذيلة ، والمادية الخسيسة السافلة .

من المؤسف أن نجد دين الإنسانية هذا والدعوة إلى السلام العام يستغله غير أهله كلما دعى الله صاحب الرسالة إليه لدعوة الحق ، فترى ما قام به اليهود بعد موسى وكيف لعبوا بهذا الدين القويم ، وما عمله طواغيتهم من الملوك بالخروج عن أصول الدين القويم واستباحة المحرمات وقتل الأنبياء والداعين إلى الحق والحقيقة وظنوا بنشر دعوة الحق وتعميم أسس السلام ورفعوا كفة الماديات على المعنويات فانتقم الله منهم بأن دمرهم وقطع دابرهم وسلّط عليهم من لا يرحمهم فاستغاثوا واستجاروا وما ان استغفروا الله فنصرهم حتى عادوا بالمنكرات وزادوا بالأباطيل وزيفوا في الكتاب وفتكوا بالصادحين إلى الله فعاد غضب الله عليهم بعد خيرة أنبياءه ورسله وما قاسوه من جورهم وكيدهم بروح الله ورسوله الرؤوف الرحيم السيد المسيح فكانوا بعده هدفاً لسخطه وعرضه لذلته مهانين مشتتين ، وعرضه لبلاء القياصرة قبل السيد المسيح وبعده فانتقم الله منهم لظلمهم وكيدهم ، وسلط الله عليهم من لا يرحمهم بأقسى

العقـوبـات ، ولم يكن من ظلمهم قـد احتضن دين الله بسـوابقـه وأجـراه بحقائقه ، بل اتبع من شوه أصوله وحرف فصوله ووضع أحكامـاً ما أنـزل الله بهـا من سلطان ، فتبلبلت أفكاره وكثـرت أخطاره فمـزقتـه مـذاهبـه متنـاحـرة وعادت به مادية متنافرة ، حتى هتف الله بعون من أعوانـه ومعجزة من أكـوانه يتيمـاً أميًّا فقيـراً من بيئة يكتنفهـا الجهل المـطبق والعادات المـزريـة والخلق المخـزية ، يتنـابزون بـالألقاب والأوهـام ويعبـدون الأوثـان والأصنـام أعمت بصائرهم تقاليد فاسدة وشتتهم أنانيات كامدة لا يـركنون إلى منـطق سليم ولا يـرعـون لنـاصـح حكيم هـذا اليتيم الأمي يخلق بعـون الله من شتـاتهم أمـة صامدة ومن تنافرهم روحـاً وعزيمـة موحـدة مجاهـدة، وبعد الجهـل والتنافـر حكمة ونخوة صـامدة ، والضعف والفقـر قوة وثـروة . انهارت عنـد عزائمهم شـامخـات قصـور الأكـاسـرة وذلت لقـوة إيمـانهم أبهـة تيجـان القيـاصـرة ، فـأصبحوا بعـد عزتهم صـاغرين وأمنهم خـائفين لم تسندهم قـواهم المـاديـة الطائلة وتحميهم شوكتهم الهائلة أمام هذه الروح المعنـوية المنبعثـة من روح الله وسلطانـه ، وقدرتـه وإيمانـه ، على طبيعتها البسيـطة السمحاء وفـطرتهـا الـزكية من الأهـواء . ولولا الخيـانة العـظمى والانحراف بعـد موت صـاحب الدعوة عن حـدود الكتاب والسُنّة والأصول والفـروع وقيام الفتنـة والاعراض عن وصاياه ومخالفة نـواياه لأكلوا من فـوق رؤوسهم وتحت أقدامهم وسـادت الأرض النعمة والرخاء والسعادة والهناء فعاد الجهـل والفقر والتشتت والـوهن وسلط الله عليهم من لا يرحمهم وقد جـار الظالم وزاد في جـوره واعتدَّ بـزيه وطوره فهل من مدَّكرٍ داعي وذي بصيرة يراعي، ويرى السعادة ليس بالتكالب على الماديات وليست بكيد الكائـدين وتدبيـر الظالمين ، بـل هناك لله مبـادئاً وأصولاً وقوانين في طبيعته وفطرتـه وحلولاً ولكل منهـا جزاء حـاصل وسلطان عادل يحيق بمن زل عن الصراط المستقيم واتبع الهوى والشهوات.

ولقد قسمنا الدول من بدء التـاريخ لهـذا اليوم انهـا ثورات مـادية على اختـلاف عقائـدها من رأسمـالية وشيـوعية وفـاشية ودكتـاتوريـة على اختلاف مسالكها ومبـادئها كلهـا ماديـة محضة خـارمة وخـارجة عن الهـدف الإنساني

الذي يرمي حقاً إلى السعادة المعنوية والعدالة الفطرية الطبيعية وتساوي أفراد البشر على حد سواء تلك الدولة الإنسانية التي جاء بها أولوا العزم وأخص القرآن وسُنّة محمد (ص) ، ووصايا الكتاب ما جاء من وصايا بعيدة المدى في التربية الخلقية الاجتماعية والبر والاحسان ، وما وصى به من الصدقات في حدودها والزكاة من الأغنياء للفقراء والخمس من الغنائم لصرفها على المعوزين ، وعدم كنز الثروة بل صرفها في المداولات التجارية والصناعية ومساعدة الضعفاء والمساكين والمحتاجين بالوقت الذي يوصي بعدم الإسراف وبذلها للسفهاء وفي كل شيء يوصي بالاعتدال والوصايا الثمينة في أكثر سوره وآياته أمثال ما جاء في سورة الحجرات والنحل والإسراء ولقمان وغيرها ، والدعوة إلى الايثار والتواضع والبر والإحسان والرحمة والرأفة والمحبة والتآلف والعفو والتدبير والحكمة في الأمور والسلامة والسلام ، والتروي واتباع العقل السليم والابتعاد عن الشهوات الممقوتة والرذائل والتعدي والظلم والتجاوز والقساوة ، ووضع حدود وندب وأوامر ونواهي للسلوك والسيرة للنفس والغير والفرد والمجتمع ، والتجرد كل يوم خمس مرات للصلاة اصغاءً للضمير والوجدان ومحاسبة النفس والتفكير العادل ورعاية الله الواقف على السرائر في الكبيرة والصغيرة المحاسب عليها بالحساب العادل الطبيعي الفطري والعقل المنطقي ، في هذه الدنيا ويوم الجزاء يوم العدل هذه هي المعنويات وهذه دولة المعنويات حكومة الله الحكومة الطبيعية الفطرية العادلة القائمة على العدل والتقوى بالبر والإحسان والعفو في قوله عند العدالة وان تعفوا أقرب للتقوى تلك وصية لذوي الحقوق عند الغلبة بعد فرض العدالة للقصاص فمن ضربك فالحكم العادل المقابلة بالمثل أمام القاضي العادل ومتى أعطاك الحق لأخذ حقك يقول الله سبحانه عز وجل : لك أن تأخذ حقك ولكن أن تعفو فهو أقرب للتقوى .

لماذا ؟ لأن ذلك يزيد المحبة والالفة وسلامة النفس والهناء والمسرة ، تلك التي هي الهدف الواقعي للحياة السعيدة والاجتماع الصالح

الهانيء البعيد عن العقد النفسية والكراهية والمنابزات . هذه الصفات المعنوية والخلق الفاضلة رغم سمو البشر في الحياة المادية والتوسع في العلوم المادية لا تجدها في الدول المادية اليوم هذه الدول المتناحرة الباعث إلى تكالبها إنما هي قضايا مادية والأغلب اقتصادية وفرض القوة والسطوة لمحض سلب حرية ثروات الأفراد والجماعات والشعوب والحكومات بكل عامل من عوامل الفساد والرذيلة من بث الفتن والحروب وزج الأفراد والجماعات بأنواع العذاب من تهم وأكاذيب وتعذيب وسجون وقد تجد شعباً بكامله أو دولة بكاملها تئن من جور فرد حاكم مطلق أو أمير جائر ، أو سلطة دولة أخرى على هذه لمحض سلب ثروتها كما تفعل اليوم الدول الأوروبية والأمريكية (الولايات المتحدة) تحت سلطة وسيطرة شركاتها الضخمة لفرض إرادتها على الشعوب الأضعف لسلب ثروتها بشتى الوسائل من أخذ المواد الخام بأبخس الأسعار وفرض مصنوعاتها المدمرة من أسلحة بالغلبة والقوة بعد خلق فتن وعداوات داخلية أو خارجية بينها وبين جيرانها ، كما هو قائم في الشرق الأقصى والأدنى وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ويا ليت شعري وإلى متى وهذه الحرب لا تنتهي وكلما خمدت في جهة أشعلتها عوامل الماديات في جهات اخرى غير آبهة بما تفرضه من ويلات وتعاسة على شعوب كانت آمنة مستقرة ، فهلا لنا أن نرعوي بل هل لهم أن يفيقوا من هذه السكرات والخبطات الوحشية المذهلة .

كما قال كتاب الله المجيد : ﴿ **يا أيُّها النَّاس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ .

وكما قال رسول الله (ص) : (كلكم من آدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، ثم زاد ورجح ما هو يزيد العدالة جمالاً والإنسانية فخراً ، حين يقول : وإن تعفو أقرب للتقوى طالما أن التقوى خير ميزة للإنسان والإنسانية ان ما أقوله بعض ما سوف أذكره من أصول القانون الأساسي لحكومة السلام والحكومة العالمية المثلى .

القانون الأساسي المعنوي : ولقد ذكرت بعض القوانين العالمية المار ذكرها وقد ذكرت قبل هذا ما يفرق بين الحكومات المادية والحكومات المعنوية ، وضربت مثلاً أن الحكومات المادية لا يمكنها أن تدرك السعادة والهناء لأفرادها وشعوبها لمحض طلب المادة دون العناية بالأصول المعنوية الفطرية الطبيعية والعقلية المنطقية وقلت إن الحكومات السعيدة هي التي كانت تبني أصولها على الماديات والمعنويات والخلق الفاضلة ولم نجد بين جميع الحكومات سوى فترة قيام أولي العزم من الرسل وأخص منهم محمداً (ص) وكتابه وسننه من فرض ربط الماديات بالمعنويات في كتابه وسنته حين يقول : « إنكم لم تسعو الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم»[1] وحين يوصي بالصدقة وعمل الخير ، وثم يقول : إن الإصلاح بين متخاصمين خير من كافة الصلاة والصيام (طبعاً الغير الواجبة) ثم يقول من الصدقة القول المعروف وهداية الضال في طريقه ورفع القاذورات والأوساخ عن طريق الناس ، وإدخال السرور على كل ذي روح بأية صفة أمكن وأمثال ذلك من المعنويات التي لا مجال إلاّ بالتلميح إليها في هذا الكتاب ولمن شاء المزيد فليقرأ كتاب الله (القرآن) ونهج الفصاحة من كلمات محمد (ص) ونهج البلاغة من كلمات علي عليه السلام القصار وبعدها سيرة محمد وآله وصحبه البررة ، الذين اتّبعوا كتاب الله وسنّة نبيه وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . تلك المعنويات العظمى .

وما حصل مما لا مجال إلى ذكره الآن[2] ، ولا شك بعد ذكر هذا

---

(١) وكم جاء في القرآن من الوصايا الثمينة مثل قوله تعالى: ﴿مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين. .﴾ الخ. وقوله تعالىٰ : ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة. .﴾ الخ. وقوله تعالىٰ : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تبطلو صدقاتكم بالمنّ والأذى ﴾ . وقول رسول الله (ص) : « كل معروف صدقة » .

(٢) ومن شاء المزيد فليراجع موسوعتنا الولاية في الإسلام والمحاكمات.

القـانون ونقـده سنضع القـانون الإسـلامي العظيم وقـانون الفـطرة الـطبيعيـة الإلّهيـة التي نص على اتباعهـا أولو العـزم من الرسـل صدحـاً بـأمـر الله عـز وجـل تلك التي جاء بنصـوصهـا العـادلـة كتـاب الله مجملة وفسـرتهـا السُنّـة النبـوية مفصـلاً تلك التي أجمعت عليها الكتب السمـاويـة وأيـدتهـا الأنبيـاء والمرسلون ، هداية للبشر وسعادة للإنسانية .

٢ ـ الصراع الصليبي مع المسلمين

لم يقف الصراع الصليبي الذي بدأته أوزوبا المسيحية باسم الأرض المقدسة وانتزاعها من يد المسلمين ، ويا للأسف ان النهضة الإسلامية التي مزقتها المذاهب والحزازات العنصرية الجاهلية التي أمر الإسلام بنبذها والقضاء عليها بقصد توحيد العقيدة ونشر السلام وإقامة العدل والمساواة مما جاء في كتب الله المرسلة على لسان رسله وأنبيائه أخص القرآن المجيد في شتى سوره أمثال سورة الحجرات وما ضمنه من أبلغ الأوامر والنواهي لإقامة حكومة عادلة حكيمة كل تلك ما كاد نبي الإسلام أن ينتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية حتى زلت عن الصراط المستقيم والكتاب والسُنّة وبدؤها بمنع تدوين السُنّة بعد أن صدقوا الآية النازلة : **﴿ وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . . . ﴾** وقد قال (ص) : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا » . وقوله (ص) : « إني تارك فيكم كتاب الله وسنتي . . . »الخ . .

وقد وجدنا كيف عملوا بآل رسول الله من قتل وتشريد وتعذيب وغصب حقوق وما لا يعد من المنكرات .

كما رأينا كيف أن سنته منعت أن تدون ولا يخفى ما للسنّة في تكميل الكتاب وتفسيره وتهذيب النفوس وتكميل العقول من أثر لا يمكن

بدونها أبداً من تأويل الكتاب وشرحه ، وكيف ان رسول الله أودع مكنونات علمه إلى أقرب فرد له في حياته هو علي بن أبي طالب حيث قال : أنا مدينة العلم وعلي بابها . وقال : إن علياً مني بمنزلة هارون من موسى ، وقال (ص) : لحمه لحمي ودمه دمي أنا منه وهو مني وهو الفاروق بين الحق والباطل[1] .

ومن تصفح التاريخ وجد كيف ان بني اميّة أخص منهم معاوية بعد أن منع الخليفة الأول والثاني والثالث (رض) تدوين الحديث والسنّة ومرت نحو ٣٥ سنة بل اكثر فيها قتل من قتل من صحابة رسول الله (ص) وتفرقوا في الأمصار ونسوا بعد هذا الأمد الطويل الذي حضر عليهم الرواية والحديث ، جاء معاوية ليدون ما شاء ويضع ما يشاء ويزيف ويغير كيفما يهوا ولا يستطيع أحد أن ينكر ما كان يكنه هو وآباؤه لرسول الله ودينه وبنيه من العداء وكيف سب أعلم وأتقى وأسبق رجل في الإسلام وأقربه لرسول الله (ص) هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكم قتل هو وابنه يزيد وآل مروان من الصحابة والخيرة والتابعين ، كل تلك وما سار عليه خلفاء بني العباس على نفس النهج الظالم والكبت على الآراء والسياسة الغاصبة وما آل بسبب ذلك من تمزيق شمل الإسلام إلى مذاهب وطوائف وفرق مما فتت في عضدهم ومزقهم شر ممزق في الشرق والغرب وقيام دول في الغرب والشرق عربية وفارسية وتركية وتترية تتلو الواحدة الأخرى ، وتكيد الواحدة بالأخرى، مما جعلهم لقماً سائغة لأجهل الشعوب وأقساها وأوحشها وأعداها من مغول سفاحين وأتراك وصليبيين فأصبحت البلاد الإسلامية مطمح الغزاة ومأوى البغاة يغزون في عقر دارهم ويذلون في أوطانهم ويُصلَون بالكوارث والنكبات وظلت تترى وفي كل بقعة منها فاجعة على مرّ الزمان وما أشبه بعضها ببعض وما أن نهضت واحدة إلاّ وكانت عرضة لنكال الشقات من الداخل والخارج إذ لا زالت تتعثر منحرفة عن

---

(١) راجع مؤلفات الكاتب المصري الشهير محمد أبو رية

سبيـل الحق الواقعي تقـودها عصـابات لا تعـرف من الإسلام إلاَّ اسمـه ومن الحق والعـدالة إلاَّ هضمـه ، ومـا أشبـه المـاضي البعيـد بـالحـديث ، فتلك البلاد العثمانية العاتية تقسم أشلائها الأعداء فلا تجد بعـد حضاراتهـا الراقيـة ودواهيهـا الماضيـة وثرواتهـا المترامية إلاَّ جهل متقـع وفقـر مصقـع ومـرض مـروِّع لا تطيق عن نفسهـا دفاعـاً وعن حياضهـا صـراعـاً ، ومـا أشبـه مصـر وتكـالب المستعمرين على قنـاة سويسهـا وبـلاد الـرافـدين والخليـج وإيـران وتكالبهم على نفطها ونفسها ونفيسها .

ومن طالع تاريخ الغزاة في مصر على عهود محمد علي بـاشا وخلفـائه وقبلها وبعدها والتلاعب في استثمار قناة السـويس وقاس ذلـك بما جـرى في إيـران لاستثمار نفـطها وكيف خلفت هـذه الغـزاة شتى النكبـات على البـلاد وأهلها لإشغالهم عن السالبين المستعمرين بالمحن والاحن الداخليـة فهاتـان مهبط الأفـكار العاليـة ومسرح رجـالٍ طالمـا نهضت بشعـوبهـا وتغلبت على خطوبها .

٣ ـ تطور الاستعمار

كانت الحكومات القديمة القوية تمد نفوذها على الشعوب بقوة العدة والعدد لفرض القوة وسلب الأموال واستعباد سكان البلاد وكانت أكثر الأحيان تتطاحن القوى الغازية مع المغزوّة وتقوم الحروب الطاحنة وبعدما يصيب الطرفين من الخسائر البشرية والمادية تغلبت احداها فقتلت ونهبت وخربت وعادت بالأموال والأسرى والثراء . والحرب سجال بقوة الذراع والسلاح بيد نجد الغزاة تطورت أفكارهم ومراميهم فهم عوض دحر البلدان والممالك والشعوب على تلك الشاكلة عادوا إلى مكائد معنوية لا يكلفهم مشقة وعناء ، وهو دس أفراد محنكين إلى بلدان حسبوا فيها بغيتهم من الثراء والأموال لنشر التفرقة والشقاق والفتن والفساد والتغلغل في إدارات الدولة والاستحواذ على بلاط الملك بالترغيب والترهيب وابعاد الرؤوس وتقريب الأذناب . والضرب على أيدي رجال الفكر وتحطيم المخلصين وتصنيع الدولة من الأراذل والأدنياء الانتهازيين الجشعين من كل من فقد الضمير وتذلل للقوة وفرض نفسه وسادته على ذلك المجتمع مهمى احتوى من قريب وصحيب وحبيب هكذا سارت انكلترا وفرنسا والدول الاستعمارية وتابعتها أمريكا ، متغلغلة في أعماق الحكومات وتسخير رجالها بشتى أنواع الكيد والاغراء في الشرق والغرب كما فعلت في البلاط الإيراني والعثماني والمصري والهندي والصين وغيره في آسيا وأفريقيا وغيرها ، فإننا بعد ذكر قانونها الأساس ، ندلي مختصراً مما دسته أيادي الاستعمار لإفساد أسس هذا القانون بيد حكام البلاد نفسها لمحض سلب ثرواته .

٤ ـ الحكومات الأولى

فقد كانت الحكومات الأولى تتجلى بين العوائل حيث يسيطر بها الأب على أفراد عائلته وهو قريب منهم عطوف عليهم بحكم الغريزة يشاركهم بما يحمله من حنان أبوي وإحساس وشعور غريزي لأبنائه ، ثم انتقلت العائلة إلى أسرة تباعد أطرافها وظل نفوذ الأب وربما انتقل النفوذ عند عجزه إلى الأقوى من بنيه وفيهم الابن والحفيد وأولاد العم والأقارب والأباعد ولم يبق ذلك العطف الأبوي بل زال وقل بالنسبة للصلة القريبة والبعيدة والطاعة والمعصية وكلما توسعت الأسرة إلى القبيلة وتشعبت هذه إلى أسر وامتدت أطرافها قل شعور الأفراد الأباعد بالنسبة للأقارب وتقسم النفوذ وتغير العطف الأبوي وحكومته الأبوية إلى حكومة ابتعدت عنها المشاعر العاطفية وزاد بها نفوذ الغرائز الأنانية لاستخدام القوى للضعيف واستغلال الضعفاء حتى بلغت درجات الامارات وامتدت السلطات إلى ضم وتغلب اسرة على أسرة وامارة على امارة ومدينة على مدينة ونزاع وحروب طاحنة واستغلال واستعباد وغارة وفتك وقتل وقامت سلطات دكتاتورية مطلقة فقدت بها الانسانية حكمة العقل والمنطق تحت حكم الغرائز والشهوات ولم يخل هذا المحيط الغالب والمغلوب من أفراد موهوبين بالفكر والشعور والتأمل والحكمة مما جرهم لتدبير وحدٍ للإنسان من استغلال بني نوعه ، من وضع أنظمة ورسوم بدأت في الحكومات الأولى في وادي النيل والرافدين والهند والصين واليونان ، ولا ننسى فراعنة مصر ورسومها وحمورابي وسلفه وقوانينه ودعوات ذوي الأديان من البشر من

أهل الكتب السماوية في بلاد الرافدين على يد إبراهيم الخليل وفي مصر وفلسطين موسى الكليم ، ثم قيام الديمقراطية في اليونان وهذه الديمقراطية التي كان يراد بها حكومة الشعب نفسه بنفسه استغلتها بعض الطبقات دون الطبقات الأخرى ووجدنا دعوة أفلاطون في جمهوريته لإقامة حكومة يحكمها الحكماء المجربون وكيف كان يرى الحكم والحكومة الأصلح وظهور سيدنا المسيح بحكومة الرحمة والمساواة بين البشر ، وإذا بهذه الدعوة تنقلب إلى حكومة رجال الدين في القرون الوسطى واستغلال الكنيسة الحكم والسيطرة الروحانية الجائرة وخنق الحريات ، في الوقت الذي نرى روح الحرية والدعوة إلى الإنسانية والمساواة والعدل تتجلى بأجلى مظاهرها من صوب جزيرة العرب الفقيرة الجاهلة من منبع حكمة وفيض عدل جامح مسيطر بأجلى حقائق إنسانية وعدالة ومساواة بين طبقات البشر بكلمة الوحدة والتوحيد وتساوي الحقوق وإعلان الحقوق البشرية بقول نبيه المبعوث رحمة للعالمين الصادح بأمر الله .

قال تعالى في سورة الحجرات من القرآن الآية ١٣ : ﴿ **يا أيُّها النَّاس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ ، وفي ١١ منه : ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا لا يسخر قومٍ من قوم عسى أن يكونو خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن * ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** ﴾ .

وما جاء في هذه السورة والسور الأخرى من الدعوات القائمة على أقصى أسس العدالة والمساواة والحكمة ، بل وأبعد من ذلك من البر والتقوى والإحسان حتى قال : وإن تعفو أقرب للتقوى .

وترى في الآيتين السابقتين تجلي الحقوق البشرية والإنسانية وأصول العدل والقسط قائمة جلية ، تلك الحقوق التي يتغنى بها الدول العظمى اليوم والتي قامت على أسسها أعظم الانقلابات البشرية لحكومة الناس في

إنكلترا وفرنسا وأوروبا وروسيا وأمريكا ولم تدرك بعد بعض ما حققه نبي الإسلام في عهده وما جاء به في القرآن المجيد وسنته وما سار عليه أئمة الإسلام من بعده أخص ابن عمّه علي عليه السلام في أقواله وأعماله .

وما جاء في إعلاميات حقوق البشر بإنكلترا وفرنسا وروسيا وأمريكا وغيرها المار ذكرها ما هي إلاّ شذرات وتلميحات من بعض ما قام في صدر الإسلام وما حققه إلاّ النزر اليسير الذي طبقه نبي الإسلام في حياته .

الحقوق : ومما قيل في حقوق الأفراد أن هناك حقين :

١ ـ حقوق عامة التي يتساوى فيه أفراد أمة أو شعب أو دولة رجالاً ونساءً على اختلاف ألوانهم وسنيهم ، وحقوق سياسية أفسدت الأولى حينما وضعت حواجز من التابعية والسن والسكنى وغيرها .

الحرية : والحرية التي يريدها البشر ويدعو لها باسم الحقوق الإنسانية البشرية هي الحرية الشخصية في النفس والمال والعرض ، وحرية الاجتماعات وحرية السكن وحرية الانتقال وحرية العمل وحرية الفكر وحرية تشكيل الأحزاب والهيئات ، حرية الصحافة والتكلم والطباعة والنشر، حرية العقائد من ذوي الأديان والآراء ، حرية التعليم والتربية ، حرية المراسلات والمخابرات ، حرية البيع والشراء والتملك والاقتناء من منقول وغير منقول ، هذه الحريات فرض للفرد والمجتمع على شريطة أن لا تخرج عن نطاق العدالة والمساواة والتجاوز على الحقوق الفردية والجماعية الأخرى.

وكما ليس للحكومات الحد من هذه الحريات للتمتع بها من قبل الأفراد والجماعات ، فليس للفرد أن يتمتع بحرية مطلقة تؤل لسلب حريات فردية أو جماعية أخرى ، وهذا أمر يقره العقل بناءً على العدالة الفردية والاجتماعية ، وفي غير ذلك كانت الحكومات المطلقة

والدكتاتورية وما تقوم به من أعمال تعبر عنها بالقسر والجور والاعتداء كان حقاً مشروعاً إذ أنها تقوم بأعمالها بكامل حريتها إلاّ أنها تتجاوز بها على حرية الأكثرية الساحقة غير آبهة بالعدالة والمساواة ، وهذا التجاوز له صور ودرجات وهو بكل أنواعه لا تقبله العدالة والمنطق السليم متى تجاوز هذا الحق من الحرية وسلب قليلاً أو كثيراً من حرية الأفراد الآخرين المادية والمعنوية صغيرة كانت هذه أو كبيرة ، فالماء والنار والكلأ الطبيعي العام للفرد اكتسابها ما شاء ولكن إذا كان هناك أفراد أرادوا الاستفادة منه فليس للأول منعهم فإن كان واحد فله ما شاء وإن اثنين فلهما بالمناصفة وكلما زادوا انقسم بينهم بالتساوي ، وللفرد أن يعمل ما شاء في غرفته المجردة بيد إذا كانت الغرفة مشتركة بين جماعة فعليه أن يراعي كل شيء من إحساساتهم المادية والمعنوية ، فهو لا يستطيع أن يشغل من ساحتها ومرافقها إلاّ على قدر ما يشغله الآخر بحد سواء وليس له أن يزعج الآخرين عند نومهم ويقظتهم بالقول والعمل والمطالعة والغناء والاستفادة من أمور ميكانيكية أو صوتية أو أي أمر آخر يؤثر على أي جارحة من جوارح وإحساسات الآخرين طالما هم متساوون في الحقوق المشروعة بينهم .

ولكل فرد الحرية التامة على أن لا يضر الآخرين غير أن هناك فرضاً على الآباء والمربين الفرديين كالآباء والمعلمين أو المنظمين العامين من حكام وإداريين وموظفي الدولة أن يقفوا سداً أمام أي تعدي أو إرهاق أو ضرر لأمن الفرد لغيره فحسب بل حتى على نفسه ، فمنعه من استعمال المسكرات أو المخدرات أو الاعتياد المادي أو المعنوي المضر كالقمار وما يجره للطرفين اللاعبين من الأضرار وعدد ويلاته على المجتمع وأعمال وأقوال أخرى مضرة للفرد والجماعة من كذب ونفاق واعتداء أو استمناء أو مطالعة ما يسبب انحرافاً شاذاً في عاداته وأخلاقه أو تلقيه عقائد تخرجه عن السلوك السوي والحياة الإنسانية أو تلقيه في المهالك مهمى كانت ، فهذه حريات على المربين العامين والخاصين صيانتها للفرد والجماعة تجاه غيره

ونفسـه ، ولذا نـرى أن الظلم والتجاوز على الغير هـو خروج من الحـريات يعـاقب عليه كمـا أن ظلم الفرد نفسـه له عقـاب وقصاص . تمنعـه العـدالـة الإنسـانية وتحـرمـه وتقـاصص عليـه الأديـان السمـاويـة ، فمن أراد أن يلقي بنفسـه في النار أو من أعلى الجبـل أو ناطحـات السحـاب أو الـذي يعـرض نفسـه للمهالـك الأخرى مهمـا كانت أو الـذي يريـد أن ينتحر بـأي وسيلة أو يضـر نفسه مـادياً أو معنـوياً ليس حـراً في ذلك بـل على الأغيار منعـه وعلى المربين مراقبة هؤلاء والوقـوف تجاه ذلـك وصده ولا يقـال أي أحد حتى من الفـرد نفسه أنـا حر فيمـا أريده بنفسي أو مـالي، لا أبداً لا يجـوز ذلك حتى في الأمـور المعنـويـة ، وإليـك الآيـة القـرآنيـة في خيـرة الكتب السمـاويـة القـرآن ، حينما يخـاطب الذين يـظلمون أنفسهم سلبيـاً لا إيجابيـاً بقـولـه : **﴿ ولا تؤتـوا السفهـاء أمـوالكم ﴾** وقـولـه : **﴿ إن المبـذرين كـانـوا إخـوان الشياطين ﴾** ، وقوله تعالى : **﴿ إن الـذين تتوفـاهم الملائكـة ظالمي أنفسهم قـالوا فيمـا كنتم قـالـوا كنـا مستضعفين في الأرض قـالـوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنّم وساءت مصيراً ﴾** .

فأقل تقدير على المرء أن يصد التعـدي عن نفسه ويعيـد لنفسه الحيـاة العادلة ممن يرهقه بـالتجاوز على حقـوقه المشـروعة وحـريته وإن لم يستـطع فـاليهاجـر من هذا البلد الـذي بلغ به الأمـر انه لا يستـطيع فيـه الـدفـاع عن نفسـه ويتحمل التجـاوزات ، هنا على أقـل تقديـر أن يغير محـل إقامتـه إلى بلد يعيش فيـه حـراً آمنـاً ان استـطاع ومن لم يفعـل فقـد ضيق على حـريتـه وظلم نفسـه واستحق عقـاب الله ، ألا تـرى ان من حق الأب والأم والأخـوة الكبـار أن يحافـظوا على الأطفال فهم بـالـوقت الـذي يمنحـوهم الحـريـات المشـروعة يـراقبون أعمـالهم من عـدم استعمـال تلك الحـريـات لـلاضـرار بغيـرهم والاضـرار بـأنفسهم ، وهكـذا المعلمين والأسـاتـذة وهكــذا أُقيمت أصـول العدالـة ومحاكمـات العدليـة ورجال القضـاء وليس لفرد أن يعتـرض على الحاكم العادل بقـوله : إنني إنمـا استعملت في الأمر حـريتي المطلقـة

بالتجاوز على الغير فسلبته ملكه عمداً أو غدراً أو حيلة بالنصب والاحتيال أو أردت هدم بيتي أو استعملت المواد المخدرة وما جنيت إلاَّ على نفسي وما شاكل.

والذي نقصد به من الحريات تلك الحريات المفيدة أو على الأقل الغير المضرة بالغير والنفس ، وهناك التجاوز على الحيوانات والنباتات ، فليس للفرد التجاوز على الحيوانات المفيدة لدرجة يسبب فناءها لجهتين فمنها أن للغير فيها سهماً كالطيور والغزلان وغيرها ومن جهة ثانية إنما يسمح لذلك إما أن تكون مضرة ليتخلص من شرها وإذا هي مفيدة فله منها ما يسد رمقه وحياته ولا يغالي بالتعرض لها دون نفعٍ لها أو لغيرها مجرد هواية خاطئة ، فيحرمها من الحياة دون أن تكون كلاًّ عليه ويحرم الأجيال والآخرين من منافعها مهما كانت .

وأما الظلم الذي يحاربه العالم المتحرر والحرية التي ينادي بها الحكماء والأنبياء والمصلحون فهي كل تلك المارة الذكر التي تفيد الفرد والجماعة ولا يمتد ضررها للأجيال الحاضرة والقادمة مادةً ومعنى بما يحكم به المتخصصون من كل طبقة من العلماء والمجربون ، كعلماء الفيزياء والكيمياء والأحياء والأطباء والميكانيكيون وعلماء النفس وعلماء الاجتماع والأخلاق وعلماء التربية والتعليم وغيرهم كل في علمه وتجاربه دون أن يكون إرهاقاً وتحيزاً لفرد أو جماعة على أخرى ولا تجوز المغالطة في الحقائق والعقائد والعادات والطبائع وعلينا في الواقع محص الحقائق قبل منعها أو حدها واختيار الأصلح ، أيٍّ العقائد أحسن ، أهي الرأسمالية أو الفاشية أم الشيوعية أو الحكومات المطلقة؟ أيّ الأديان أحسن الأديان السماوية أو التعاليم الأدبية في الهند والصين ، المذاهب التوتمية أم غيرها ، أيّ قسم مفيد وأيّ قسم مضر وانتخاب الأحسن من جميعها دون تحيز وترك المضر ، أيّها أحسن العقائد المادية ، أم العقائد المعنوية أم الجمع بينها أم نبذها جميعاً؟ وهل يمكن ذلك؟ أي سبيل هو الأصلح؟!.

لقد قال الشاعر :

وكل يدعى وصلاً بليلى   وليلى لا تقر لـه بذلك

وحتّام يبقى البشـر يسيِّـر رغبـاتـه وشهـواتـه منـافقـاً بـاسم الحـريـات الديمقراطية من الرأسمالية والشيوعية والفاشية ويـطلب الحريـات بمكافحتهـا ويـطلب العدالـة من طريق الـظلم وسلب حـريـات الآخـرين ، يـدعـو للبـر والاحـسـان ويرتكب أشنـع وأبشع الجنـايات بلسـانه ويعمـل بأفعـاله خـوارق الفساد ، يبجلٍّ الحق ويحيد عنه وينكر المنكر ويزيد منـه[1] هذه الأفـراد هذه الجماعات هذه الدول العـظمى ، أي إنسان هـذا الجسم الحي العاقـل وأي سلوك منه ومهازل .

الـعـــدالـة المضـــاعـة : ذلـــك هـو القــانـون الأســـاسي في البـلاد الـديمقراطيـة الرأسمـاليـة والشيـوعيـة والإسـلاميـة ، يقـولـون مـا لا يفعلون ويفعلون ما لا يقولون ، في كل جهـة شوّهـو وزيفوا وكتبـوا وما فعلوا ودسـوا غـاياتهم ومـوّهوا أغـراضهم واستبدوا بـالأكثريـة وكلهم من أب وأم ومن طينة واحـدة متشابهـون باللحم والـدم والإحسـاس والشعـور ، والـروح والمنـطق والضعف والقـوة والحاجـات والرغبـات والآمال والأمنيـات والتنفس والغـذاء والتركيب والبناء ، بدؤا متشابهين ويعـودون للتربـة راجعين ، في هذه الـدنيا الزائفة واللحظات الخاطفة ، يتنابزون بالسلالات البائدة ويتفاخـرون بالأوهـام الشـاردة ويتناحـرون بالأدلـة الفاسـدة ، لا يـردعهم عبـر المـاضي ولا يعيهم عقل قاضى .

إنك ترى وضع الحريات المارة الذكر واحتـرامها ولكن ذكـروا لا يجوز تجـاوز ذلك إلاّ بمـوجب قانـون ، ومن يضـع القـانـون غيـر المجلسين ومن يصـدق عليهـا غيـر الملك ومن يجـريهـا سـوى السلطة التنفيـذيـة المجـريـة وأفرادها ومن المؤسف وكل الأسف أن القوى المقننـة ، لا ترى واحـداً منهم إلاّ وهـو منتخب انتخابـاً من قبل السلطة الاستبـدادية (الملك وأعـوانـه ومن وراءه القوى الخارجيـة التي وضعت في كل جـزء من الدولـة مستشاريهـا ولا

---

(١) لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر والعاملين به .

يجري إلاّ باختيارها فهي ذات الاختيار واستثمار واستغلال ثروات البلاد ولأفراد معدودين في رأسهم الحاكم مرفهون ومسيطرون جشعون لا يكتفون بأن المملكة والكل ملكهم والأفراد عبيدهم كأنهم خلقوا وخوّلوا وسيخلدون من غير ما خلق أفراد هذا الشعب وانهم يحملون لحماً ودماً وعظماً ونفوساً وأرواحاً وآمالاً لا تمتّ بصلة لأفراد هذا الشعب وإن هذه الثروات الطائلة مهما زادت لا تسد رغباتهم وكل منهم يقول : هل من مزيد وكأن الشاعر حينما قال :

ملك كسى تغني عنه كسرة وعن البحر اكتفاءً بالوشل

إنما يعني هذا البشر الفاني لا هم الخالدون ، يترفعون ترفع السماء عن الأرض من أفراد هذا الشعب وليس لفرد من الشعب حق الكناية والإشارة ولا أن يئن أو يتألم أو يجزع أو يستغيث ان طعن وعذب وسلب وأهين وأي تجاوز آخر ، ويا ليتيهم ادخروا ما ادخروا وجمعوا ما جمعوا واستخدموا هؤلاء العبيد الأذلاء بهذه الثروات الطائلة ، لا أبداً فهم يخرجونها ملؤا الداخل ويريدون ملء خزائن[1] الدول العظمى لهم ولأعوانهم دون حس رحمة لهؤلاء المكافحين في الوطن الأم ، بل زادوا وشاركوا الاغيار في وطنهم في مصانعهم وأراضيهم وثرواتهم لمجرد بسط أيادي هؤلاء لاستغلال ما شاؤا وقهر الشعب بفروض صناعية وتجارية وزراعية . وما كانوا بهذه المشاركة ليضعوا سهاماً أو مالاً لا بل حماية واعتداداً ومنعة تجاه الدولة لمنع الضرائب أو تقليلها وإمكاناً للمقاومة من الاعتداء والتجاوز وهل هناك تجاوز واعتداء إلاّ منهم ومن أسيادهم وأسياد أسيادهم على حساب هذا الشعب واستغلال مواهبه وثرواته الطبيعية لعصابات السادة الخارجيين والمترفين الداخليين وأعوانهم ، هنا صدقت الآية ، وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها العذاب . . الخ .

---

(١) اولئك أهم دول الذهب الأسود أخص الشرق الأوسط

الباب الثاني

القانون الأساسي للدولة

١ ـ الطبيعي والاجتماعي.

٢ ـ أصول القانون الأساسي الإسلامي .

٣ ـ الأصول الاجتماعية .



١ ــ الطبيعي الاجتماعي

ما هو القانون الأساسي للدولة طبيعياً واجتماعياً؟ : هو النظام الأساسي للحكومة والشعب . بغية الوصول إلى السعادة الفردية والاجتماعية بتنظيم وتصميم مادي ومعنوي . وكمثال من القوانين الأساسية الأقرب للمجتمع البشري هو :

القانون الأساسي في البدن الإنساني : هي الأصول العامة والخاصة المادية والمعنوية لحجيرات وأجهزة البدن الحيّة لإدامة الحياة الإنسانية وسلامتها وكرامتها وسعادتها ويتم :

١ ــ بقيام كل حجيرة وجهاز بما عهد لها من وظيفة طبيعية فطرية قياماً تاماً حراً وعدم تجاوز الأخرى عليها ولا تجاوزها على وظائف الأخرى ، إلاَّ على قدر الرابطة الطبيعية الفطرية التعاونية المحددة فيما بينها من المكان والزمان .

٢ ــ الاشتراك التضامني للبدن كله المشكل من مجموعات الحجيرات والأجهزة متحملاً كل منها جهده في وظيفته الخاصة لنفسه والأخرى ، وآخذاً نصيبه وسهمه العدل كالآخرين من مجموع الحاصل الكلي . دائباً على وظيفته باستمرار لما تتطلبه هذه الوظيفة بصدق وإخلاص دون ملل وكلل وأنانية أو تحايل أو تمارض، ولا

يقعده أو يثنيه إلاّ مرض مداهم أو عارض داخلي أو خارجي مزاحم ، وآنذاك تشاطره الكفاح والنضال كل قدرات وطاقات البدن لإرجاعه إلى الصحة فتحمله كل حجيرة وكل جهاز نصيبها العدل من البذل والخسارة بجهد طبيعي وكوظيفة مفروضةٍ فطريةٍ للنهاية حتى العود للصحة الكاملة باستمرار النضال أو العطب الجزئي أو الكلي والموت خاتمة المطاف ، وعلى قدر أهمية العضو يزيد أو ينقص البذل وتحمل العناء وعلى قدر النوع والعدد المهاجم يتغيَّر التغير العام شدةً وضعفاً .

٣ ـ عدم وجود المنابزات العنصرية والطبقية والعصبيات الفردية أو الجماعية التي تسود البشر ، بل كلها متضامنة متعاونة متكافلة متساوية .

٤ ـ سيرة فطرية متساوية ومماثلة بين أصغر أفراد الحجيرات والأنسجة والأجهزة وسلوك طبيعي واحد غير متأرجح بين العقول والشهوات والنزعات البشرية ولا دوافع العاطفة والغرائز المتضارية والميول النفسية من حرص وجشع ، لثريٍ جامع لا يقنع أو مملق جائع لا يهجع ، فهي كما تشابهت بالمادة تساوت بالمعنى بالأخذ والعطاء والفقر والثراء ، تضامنها بالتعاون غريزي أصيل ثابت وحسُّها لغيرها كحسها لنفسها إذ كان مصدره واحد في الانزعاج والابتهاج والاستغناء والاحتياج .

٥ ـ كل منها حر في تصرفاته الغريزية ومطيع لإرادة واحدة طوعاً دون إكراه مشرفة على حفظ مصالحه ودفع أضراره ، يستوحي سلوكه ويستمد احتياجاته منها صادقة للأخذ والعطاء كمنبع واحد أميناً على مكاسبها وملبياً مطالبها إذ الكل شركاء بالخير والشر والنفع والضرر ، فالمشرف على الجميع مسيطر صادق والطاعة من الكل والحس لذلك مطابق .

٦ ـ الكمال القائم بين الحجيرات والأنسجة والأجهزة لحياة هـذا المجتمع الاشتـراكي ودوامه صحيحـاً إن اعتدل صـاحبها واستقـام ولم ينحـرف عن الفـطرة ولن تغلب عليـه الشهـوات فتـذلـه عن الصـراط السـوي وعنـدها يجني على نفسـه وعلى الحجيـرات وعلى الأجهـزة القـائمـة على الفطرة الطبيعية .

٧ ـ دفـاعـه عن كـل مـا يتعـرض لـه هـذا المجتمـع على الأكثـر لهجـوم خـارجي من الجلد أو من طـريق الجهـاز الهضمي بسبب مكـروبي أو غير مكروبي بعلل غيـر إرادية أو إراديـة أو من إفراط خـارج عن ميزان الفطرة في عادات الأكـل والشرب والسلوك أو تقـاعس مما يلزمـه منها فالبدن يجاهد لدفع الضـرر وترميم الخلل الحـاصل فهـو إما في حـالة وقاية من العوارض أو علاج متى أُصيب .

٨ ـ اختـلاف الأجهـزة في البـدن حسب وظيفتهـا وأهميتهـا تختلف أمـداً لمدة الحياة(١) وغذاءً(٢) وحماية وحفظاً(٣) وعناية وكرامة(٤) .

مـا تمتاز بـه الحيـاة الفـطريـة لحجيـرات وأجهـزة البـدن إذا قـورنت بالإنسان في اجتماعه؟ :

١ ـ قيـام كل حجيـرة باختصـاصها في الجهـاز العاملة فيـه بصورة منـظمـة دائمة عادلة .

---

(١) فحيـاة حجيرة المــخ مديـدة وأضعاف مضـاعفة عن حيـاة حجيرة الجلد ، وتختلف مع الحجيرات في الأجهزة الأخرى .

(٢) ما يقدم لحجيرة المخ كطعام يختلف عمّا يقدم لغيرها .

(٣) وحجيـرات المخ محفـوظة ومصـانة بـطبقات شحميـة وأنسجة وعـظام قويـة وطبقات عديدة أخرى من الشحم والجلد واللحم .

(٤) يعـدلها من العنـاية الفـائقة والكـرامة البـالغة لشـرف وظيفتها وجـلال ما يُسنـد إليهـا وسيطرتها الخاصة والعامة .

٢ ــ عدم مداخلتها الشخصية بأعمال الأخرى[1] رغم وجود الرابطة والصلة في العون والمساعدة .

٣ ــ أخذها بصورة متساوية للأخرى احتياجاتها .

٤ ــ عدم ادّخارها شيئاً لها دون الأخرى وما يدخر فهو للجميع .

٥ ــ نقل أخبارها صحيحة إلى مراكز الحس مما يلم بها من إحساس بالألم أو الجوع أو غير ذلك .

٦ ــ تلقيها أخبار صادقة من مراكز الحس لتنفيذه .

٧ ــ عدم تلاعب الأهواء والشهوات والغرائز المتضاربة والمتناقضة في حياتها ، واعتدالها في كل ذلك كما توحي لها الفطرة . فهي تسير سيراً مستقيماً متزناً .

٨ ــ ثبوتها في مركزها منذ البداية إلى النهاية سوى ما تراه في الكريات الدموية الحمراء والبيضاء اللنفاوية ان أردنا أن نعدها جزءًا من هذا البدن .

٩ ــ طريقة تكاثرها .

١٠ ــ طريقة إفرازاتها .

١١ ــ اشتراكها مع بعضها بالخير والشر والفرح والترح والجوع والعطش .

١٢ ــ وأهمها وضعها المنظم وسلوكها المصمم .

١٣ ــ طرق وقايتها ودفاعها واسعافاتها السريعة المنظمة .

١٤ ــ شمولها جميعاً بالموت من الناحية المادية .

١٥ ــ لانتهاء مشاطرتها وعدم فائدتها كما يحصل ذلك في مملكة النحل والنمل والأرضة .

---

(١) لخلوها من الأنانية المثيرة للعناصرية والمنابزات مبعث الحروب والشحناء والعداء .

فروق الحياة البشرية عن حياة الحجيرات وطرق علاجها :

إن أهم الفوارق بين حياة الحجيرات والأجهزة المنظمة في البدن الإنساني مع الحياة البشرية فرادى وجماعات تكون على أن البشر ذو غرائز شتى متفاوتة بين أفراده وجماعاته ، وهذه الغرائز كثيرة وكثيراً ما تتخالف وتتناقض مع بعضها من جهة كما تؤثر على سلوكه الطبيعي الفطري بخلاف تلك التي تسير عليه الحجيرات سيراً منظماً ومصمماً في البدن ، وكون الإنسان ذو حاسة مفكرة وعقل مدبر نرى في الغالب تتغلب عليه قوى الغرائز فتستخدم هذه القوى المفكرة النامية التي يجب أن تنقاد للعقل الواعي وحسب ، بيد تنحرف مستخدمةً لها بتبعيدها عن جادة الصواب تلك التي تعتبر الجادة الفطرية الطبيعية التي إن أتبعها اعتدلت حياته ولم يتجاوز وظيفته وحاجته لمسالك هذه الحياة ، ولما خرج عن حياة المساواة والتعاون الاجتماعي الذي يزيده قوة وسعادة .

طرق علاجه : هو بتحكيم الإرادة والاصغاء للمنطق السليم والاعتدال في السلوك الفطري وعدم الانجراف لاشباع نهمة الغرائز بالحد المفرط الخارج عن الاعتدال أو إهمالها وإصابتها بالصدمة الخبيثة والقلق ، وجعل القوى المفكرة والغرائز ممتثلة للسيطرة العقلية الحكيمة المرشدة بالمساواة والتعاون بين أفراده وجماعاته ، بالعاطفة والحب والحنان والرأفة والسير الوسط .

تمّ الاستعادة من المسالك الطبيعية الفطرية الجارية في تنظيم وتصميم حياة الحجيرات في حكومة البدن المثلى واتخاذه منها منهجاً لسعادته ومساندة الفرد للفرد والمجموع للمجموع والفرد حذو النعل بالنعل ، واتباع التخصص في الاجتماع البشري لكل موضوع كما هو قائم في حكومة البدن وبالتالي الكل تحت إشراف الأقطاب المفكرة المدبرة المتخصصة المخلصة المجدة كما هو في البدن الإنساني في مراكز الحس من المخ والمخيخ وايجاد مجتمع بشري كله فراداً وجماعات يخدم فيها

الكل الكل أفراد وجماعات، وادامة كل جماعة بدأ بهم المستمر على ما خصص لهم دون مداخلتهم في الأعمال الخاصة لغيرهم إلاّ على حدود الرابطة بين هذه وتلك وحسب . واعداد كل منهم حسب مكانته وحاجته من الضروريات النامية المنشطة لقيامه خير قيام في ممارساته وإحاطته حسب أهمية مكانته بالمحافظة والصيانة كما تُحَافَظْ المراكز المهمة في البدن وتُصان من التعرض والتلوث ، والحفاوة والكرامة اللائقة كل بمقامه كما هو فطري في مراكز البدن الإنساني الحساس أمثال المخ والمخيخ والقلب كل بحسبه وكل حسب الخدمة التي يقدمها للمجموع ، وعلى هذا نكوّن مراكز الخدمة في المجتمع الإنساني حذو النعل بالنعل كالموجودة في البدن الإنساني من حجيرات وأجهزة ورابطتها ببعضها . والدأب المستمر على نموه ونشاطه واعتداله ، وخطط التموين والدفاع والوقاية والعلاج وتزويده بالضروريات والكماليات وابلاغ كلٍ حقه ومكانته وحاجته والحرص المشترك لحياة الكل من الكل .

وبعد أن عرفنا القانون الأساسي للبدن الإنساني ثم للمجتمع الإنساني وأعطينا المميزات لكل منها وقارنّا بينها ووجدنا الاعتدال هو باتباع الفطرة والابتعاد عن الافراط والتفريط وتحكيم المنطق السليم في التنظيم والتصميم القائم في البدن الإنساني لانتهاجه في المجتمع الإنساني ، نبسط بعدها موضوعاً ضرورياً آخر هو مراحل ما يلزمه القانون الأساسي للبدن الإنساني ثم ما يلزمه للمجتمع الإنساني .

ـ المراحل اللازمة للقانون الأساسي في البدن : ـ

١ ـ ما يلزم لابقاء البدن حياً .

٢ ـ ما يلزم لإبقاءه سالماً وسعيداً .

٣ ـ حفظه من الأخطار في الصحة كوقاية وفي المرض كعلاج ومنه ترميم النقص .

٤ ـ حفظ موازنته واعتدال من الضعف المؤدي به إلى الانهاك وربما

للمـوت . أو السمنة المفـرطة المؤديـة للبطر ومـا تؤدي إلى ادواء تلك في البدن الإنساني .

ـ المراحل اللازمة رعايتها في قانونٍ أساسي للمجتمع الإنساني :

إن مـا مرّ ذكـره من المراحـل الـلازم رعـايتهـا في البـدن فيمـا يخص القانون الأساسي ونفسها يلزم رعايتها في المجتمـع الإنساني ، ولكي تكـون هذه السيطرة كاملةً منتجة ويكون بالإمكان تطبيقها يجب قبل كل شيء :

١ ــ ضمّ المجتمع الإنساني تحت لـواء واحد وقيـادة عليا فـذة متحدة متعـاونة على أسـاس التخصص لكل جهـاز كما هي في مجمـوعة مـا يضمه البدن الإنساني ، حـريصة على الافـراد وحياتهم سـالمة سعيـدة ، وأن تكون هـذه القيادة ذات فـروع للتخصص في جميع مصـالح ومتـطلبات أجـزاء هذا المجتمـع في مختلف شؤونـه الاقتصـاديـة والاجتمـاعيـة والصحيـة والشؤون العامة والخاصة . وأن تكون هذه القيـادة من ذات المجتمع غيـر منفصلة منه يـرجع لهـا الكبير والصغيـر للمشـورة والاستعـانـة ويستمـد منـه كـل رغبـاتـه واحتيـاجاتـه ويثق بمشورتـه ومعونتـه ويطيعـه طاعـة صادقـة ويمـده بـالعـون ممتثلاً بما لديه من طـاقات عنـد الحاجـة وإن حكم الفرد في هـذا المجتمع كحكـم الحـجيـرة فـي البــدن الإنــسـاني ، وحـكـم الــوزارات والإدارات والشـركات وكـل مجموعـة بشريـة من شركـة ونقابـة وحزب وطـائفة وغيـرها كحكم الأنسجة والأجهزة القائمة في البـدن الواحـد العاملة لمصلحـة الأفراد والجمـاعات ، وحـدة في هذا المجمـوع بالسيـرة والطاعـة والقصد والـرغبـة والجُهد والاستفادة ، تؤدي وظيفتهـا بصورة دائبـة كما يُؤدي الفـرد وظيفته في شركة تعاونيةٍ تتحمـل الأضرار وتكسب المنـافع بحـد سواء كغيـرها من هـذا المجموع ولكل مقـامه ومـركزه مهمـا كان لا يشعـر كبراً ولا صغـراً ولا ضعفاً ولا قوة ولا حرصاً ولا كرمـاً ولا تعسفاً أو تـرحماً لا بـل هي الوظيفـة والعمل المناط لا يقعده كفرد أو مجموعة إزاء ما هو مناط به إلاّ مرض مهاجم أو خطب مداهم .

٢ ـ اقامة مؤسسات أو وزارات لكل منها تخصصها ومنشآتها وفروعها الخاصة على شاكلة أجهزة البدن حذو الجهاز بالجهاز والوظيفة بالوظيفة وربطها ببعضها لشد إزرها على قدر ما تحتاجه من طاقة لا تزيد فتخل ولا تنقص فتمل ، ثم ربط المجموعات من هذه كربط الأجهزة بعضها في البدن الواحد على قدر حاجتها الواحدة للأخرى ، ولتتقرب أكثر فأكثر ، شرح وظائف كل جهاز في البدن الإنساني وأعماله الدائبة عليها خدمة لمجموع البدن ، والخدمات التي تؤديها ، وحصر منشطاتها ومثبطاتها ، وكل أعمالها صغيرة وكبيرة تحت مراقبة دقيقة دائمة من الجهاز الأعلى للمخ والمخيخ والجهاز العصبي المنضم والمصمم الدائب الواعي في جميع الأحوال الشعورية واللاشعورية ، حذو نظام ما هو سائر في البدن الإنساني .

٣ ـ ولبسط النفوذ ، وتعميم الخير للمجتمع الإنساني ، يلزم التغلغل في أسرار ومكنونات البدن الإنساني من الناحيتين المادية والمعنوية للوقوف عليها ، وتطبيقها على المجتمع الإنساني والتغلب على الخلق والعادات المستهجنة الموجودة في المجتمع الإنساني القائم على حدٍّ إفراط الغرائز عن احتياجاتها أو تقاعسها عن وظائفها وعودها إلى الحد الوسط والاعتدال على حد ما قاله الإمام الباقر لابنه الصَّادق حفيد رسول الله (ص) بقوله عليه السلام : يا بني : (خذ الحسنة من بين السيئتين) أي الحد الوسط ما زاد سيئة وما قل سيئة .

وهذه الجملة لو دققنا في معناها لوجدناها بلغت من الحكمة أوجها وأوجزها ورعايتها ودراستُها من أمس الضرورات للحياة الاجتماعية البشرية السعيدة ، والابتعاد عن الرذائل والموبقات وبالتالي حد الشقاء القائم على اتباع الغرائز والخروج عن حد الاعتدال والخروج عن الفطرة والطبيعة ، ومنها ادخار الفرد الإنساني واكتنازه الذهب والفضة والثروة في كنوز مطمورة دون حاجة إلَّا إرضاءً لغرائزه وترك أفراد البشر أمثاله يتضاورون جوعاً وحاجةً ماسةً للضروريات في تعاسة وشقاء ، تلك التي لا تجدها في

مجتمعات البدن الإنساني كحجيرة من الحجيرات ، أو انغماسه باللذة والترف والنعيم لحد البطر والكسل المتمادي المنهك وتكديس الجماعات من أمثاله يتضورون من عناء الجهد وفي أرذل وأتعس حياة هم وأفراد عائلتهم لا قوت يشبعهم ولا سبيل إلى راحة تسليهم وتؤنسهم بين افراط وتفريط تلك الطبقتين العليا المسيطرة على القوة والمال وهي الأقلية والأخرى الأكثرية المتعثرة المقهورة الفقيرة تحت نير واستعباد الأولى ، وكلاهما خارجان عن حد الوسط بين سمينة مفرطة ثقيلة عليلة أو هزيلة منهوكة نحيلة وذليلة ، وكل منهم فقد الحد الوسط وابتعد عن العدالة الطبيعية الفطرية القائمة بحياة البدن الإنساني من حجيراته وأجهزته .

دولة البدن : تتشكل من ورح مسيطرة ، وأجهزة مسيرة ، كل جهاز ذو تخصص دؤوبٌ في وظائفه حريص على مواقفه ، مطيع لأمر الناصح الأمين بطوائفه ، مناهجه معينة ، ومسالكه مبيَّنة ، الأمانة والوفاء معدنه والطاعة والاخاء ديدنه ، فتلك خير قدوة للمجتمع البشري إن شاء السعادة الاجتماعية ، يحذو حذوها ويخطو خطوها ، حذو النعل بالنعل ، لا يثنيه بادر ، ولا يعدله خاطر عن سيرتها المنظمة ومصالحها المصممة .

فلا غرائز مفرطة أو مثبطة ، ولا أهواء على العقول مسلطة ، بل لكل صغيرة وكبيرة في البدن تنظيم ولعملها تصميم لا تحيد عنها ، ولا تذود إلَّا بها ، قطب رحاها روح محركة ، وحواس مدركة تليها أجهزة متعاونة ، متضامنة متشابكة ، تلك ضرورية اتخاذها قدوة لسلوك البشر ووحدته وتعاونه إلَّا أنه يلزم إضافة أخرى لصد عاديات الغرائز .

وكلما ندعوه إلى مكارم الأخلاق في حياة البشر الاجتماعية في الإسلام ، من التوحيد والكمال والعدل والاعتدال بشير ونذير ، وسلام وأمان وبر وإحسان ، والدعوة للفضائل والتحذير من الرذائل ، لكظ جماح النفوس حذر الخروج عن الحياة الفطرية العادلة المجبولة عليها أجهزة البدن ، والانصياع للعقل السليم ، عن التفريط والافراط والتهور أو الاثباط

عن الحد الوسط الطبيعي ، ووقف جماح الغرائز والأهواء حذار تسخير العقول لغاياتها المنحرفة عن الأصول والقواعد الأمنية ، وقد مرّ ذكر الأصول المتينة القائمة عليها الحياة الطبيعية لحجيرات وأجهزة البدن الحية من الخدمة والتعاون الصادقين المنظمين فيما بينها دون انحياز لعاطفة أو استجابة لشهوة زائفة أو نعرة جارفة ، فإن كانت الغرائز عادلة في حكمها داخل الأبدان فهي قاسية مشينة في اجتماع الإنسان ، إلاَّ إذا انصاعت للحكمة والحلم روية وازدانت بالعلم ودانت للعقل في كل قضية ، واتخذت سبيلها في أمرين : ــ

١ ــ تنظيم وتصميم كما سارت عليه أجهزة البدن الإنساني .

٢ ــ الإيمان وهو بمثابة الروح في البدن والتسليم والعمل بأصول إنسانية وما حواه من مباني ومعاني (هي الأصول الإسلامية) .

١ ــ تنظيم وتصميم ما سارت عليه أجهزة البدن الإنساني للمجتمع البشري : ــ

وبالأحرى لتشكيل دولة عالمية مثلى تستمد تصميمها وتنظيمها من أجهزة البدن الانساني وأصول تشكيلها علينا البدء بذكر أدقها صنعة وأشدها متعة وأجلها في الوظائف حكمة وأشملها لباقي الأعضاء خدمة ، وهو الرأس الجامع للمخ والمخيخ وما يتبع ذلك من غدد صماء وحق أن يقال انه السيد المطاع والخادم المشاع والمدير المدبّر الصغيرة والكبيرة ومصدر الوصايا والأوامر ، ومآل الشكاوي والمستشار الأمين المناصر ، مقر الحواس والمشاعر ، وحافظ الذكريات والخواطر ، مهبط العقول والأفكار ، وينبوع الإرادة والأسرار ، والمسيطر على أدق مكنوناتها والمسير لأفرادها وجماعاتها ، محروسة بأنسجة دقيقة ، وشحوم رقيقة ، تليها عظام منيعة النفوذ متينة ، في أغطية من الجلود الكثة دقيقة ، حراسة تليق بسمو ما أسدته وظائفُها، ومناعة تقيها من عوارض تصادفها . وتزود بطعام يناسب فطرتها ويساير مهمتها ويروي غلتها ويراعي ندوتها ويجانس ذروتها ،

لتكون أفرادها أمد حياة وأقرب نجاة وأصح ذوات وأبعد ممات من غيرها في الأنسجة الأخرى ، وهكذا يجب رعاية الحيطة والدقة بالسير لاختيار الصفوة الإنسانية المدبرة من أقطاب رحى الدولة العالمية المثلى ، وتزويدها وإمدادها بما يليق بها ، ويسدد خطاها في مهمتها والمحافظة عليها بما ينشط أفكارها ويطيل أعمارها ويرفع أطوارها ويدفع أخطارها ، وتقسيم وظائفها كما في الرأس وما فيه من شتى الوظائف والروابط ، حذو الاختصاص بالاختصاص والصنف بالصنف ، والعمل بالعمل ، مستعينين بذلك بعلماء الطب وعلم النفس والاجتماع والقانون والتربية وغيرها من العلماء المختلفين في الاختصاص بما يزيدنا إحاطة ودراية ويبعدنا عن الخطيئة والذلة آخذين من الأحوال الفطرية الطبيعية للبدن الإنساني وتثبيت مثله في أصول وفروع أنظمة وأجهزة الدولة العالمية المثلى ، والرأس هذا مقر الفكر النامي والعقل والإرادة ومستودع الذكريات ومهوى العلم والتجربة ومخزن الآثار من أقدم الأجيال لليوم ومخبأ الأسرار النفسية ومجمع العواطف والحواس والمشاعر والإحساس به يتم التنظيم في مختلف أجزاء البدن والتصميم في سيرها المطرد وهو مبعث السعادة والهناء إن أحسن تدبيره والشقاء والعناء إن أساء تقديره مصدر نور البصيرة والحكمة في الحياة ، وكانون قوى النفس من لمس وذوق وشم وسمع وبصر وغيرها والحركات والنزعات .

هكذا يلزم أن يكون مقام الرأس من المجتمع الإنساني في جسم الحكومة العالمية المثلى ، مجمع ومركز القيادة والقوى بروح وطاقة فطرية طبيعية منيعة مدبرة دائبة متنامية متناسقة منظمة مصممة حكيمة وبصيرة وقادرة لها السيادة المطلقة على بقية الأفراد والاجتماعات سيدة وخادمة ومخلصة في سعيها جازمة .

فقد وجدنا لليوم امكن ترميم أهم الأجهزة الأخرى من البدن حتى القلب والشرايين والكبد ان اصيبت بضائعه إلاّ الدماغ لم يتوصل بعد إلى

ترميمه كلاً أو بعضاً ، ولو قدر وأمكن ذلك فما يدرينا أنه لا يختلف أثراً ويجري في سيرته هدراً عمّا كان يحمله سلفه من الوراثة والتربية والعادة وربما غايرها على قدر ما يحمله الثاني في سفطه من المكنون ويحويه من الشؤون ، قد تكون أسمى مثالاً أو أدنى خلالاً ، أدق سيرة وأنصع سريرة ، أو متخبط في سلوكه في حيرة ، وفي كلاها خارجاً عمّا اعتادت عليه رعاياه من الجهات وتدرجت عليه من الصفات فهو وإياها في اختلاف لما لزمه وإياها من انحراف . وأقر بها إلى الاستقرار أقربها للفطرة انصياعاً وللطبيعة اتِّباعاً ، فهي صنيعة الله في الإنسان الممتاز عن باقي خلقه بسجاياه والمتشابه بخباياه ، فإن شذ عن خلة ثبتت الأخرى ، بيد لم يخرج عن المجموع ولم يستثنى من النوع فهو منها سامياً أو دانياً ، إمّا محلّىً بخيرة خُلُقِهَا أو منجرفاً إلى مضيق طرقها أو ذميم خِرَقها ، واننا إذ نريد الاسترسال بالقياس فعلينا الأخذ بأجمعها وأكملها وأصحها خصالاً وفعالاً لتكوين مثلها دولة عالمية جامعة كاملة سالمة أفراداً وجماعات ، والاستفادة مما انتجه خبراء البشر من الأدوات والآلات المساعدة أمثال الأدمغة الالكترونية الحافظة والحاسبة والكاتبة والعاملة الدقيقة وغيرها مما يسهل لنا العصيب ويبدل البعيد إلى قريب في كل شعبة من شعب هذا المخ وهذا المخيخ الجامع والمسلّط على الحواس المختلفة والمترابطة وكل فرع من كل شعبة ، كم يجتمع في كل وحدة من آحاد متعاونون من الحجيرات وسرعة ودقة ما يبثون ويصممون لشتى نقاط البدن وأجهزته أفراده وجماعاته فيما يخص كل واحد ومجموعة من شؤون وكيف يربطونها لمجموعة مشتركة المنافع متعاونة متكاثفة متساوية ، كل بحسب حاجته ، وكل بحسب وظيفته بين مُسلِّمة ومُتَسَلِّمة وخادمة ومخدومة ، لا تظن كل منها على الأخرى ولا تشمخ الكبيرة على الصغيرة أو العالية على الدانية أو أية حجيرة أينما كانت ومهما حفتها واسندتها أخرى على غيرها . فلا نزعة ولا عصبية ولا أنانية ولا استكبار ولا استصغار ولا استكثار ولا استنكار ولا انتظار مدح أو شكر أو ذم أو نكر بل هي الوظيفة والسلام والانصياع

والانسجام ، خلت من الغرائز كحب النفس والشموخ والجمع والجشع دون رضوخ تلك التي سيطرت على البشر وحرفته عن العدالة الفطرية والمساواة الطبيعية التي سوف نتكلم عنها في الأمر الثاني .

وكيفما كان فالعدالة الاجتماعية لكل جهاز بالنسبة لأهمية وظيفته للبدن الإنساني مميز بالمناعة والمكانة والعناية والطعام كما نشاهده بالنسبة لجهاز الدماغ والقلب والكبد والكلية والعضلات والجلد فالجلد لو قسناه بالدماغ لوجدنا بوناً شاسعاً بينهما في الامتيازات المارة فالجلد معرض للصدمات الخارجية غير ما نراه في أمر المخ والأجهزة الأخرى ، وهكذا حجيراتها مع بعضها على أن كل منها تأخذ نصيبها وما تحتاجه بصورة موفورة متساوية لغيرها لسد حاجتها وكلها متعاونة وكادحة وخادمة الواحدة للأخرى ، غير أنها تمتاز بشأن قدمتها وتتفاوت هذه الخدمة تفاوتاً بيناً بالنسبة لنظام واستدامة وحسن قيام الأجهزة وحياتها السالمة السعيدة السديدة ، تحتلف في نوع عمل الجهاز ، فقصور الدماغ في عمله قد ينتهي بالموت أو علل عصبية لكل البدن على خلاف الجلد وقصوره فهو أقل ضرراً وأبعد خطراً ، ويلي الدماغ القلب والدورة الدموية ، ويليه الكبد ولكل منها أثرها على الأخرى بيد على قدر شمول الفائدة والضرر ونوعه يتميز الجهاز بالمناعة والعناية وبالعكس على قدر المناعة والعناية المعطاة للجهاز نعرف سموه بنظر الفطرة والطبيعة وبقول رجال الدين الموحدين على قدر أهمية العضو بالنسبة للبدن وهبة الله الخالق المبدع العناية بالمنعة والمكانة الرصينة ومدَّة بالضروريات لإدامة للحياة السليمة وزاده بتلك كلما أحاطته المخاطر والملمات والعاديات ، وعلى هذه الأسس وهذا النمط والأساليب علينا إقامة الدولة العالمية المثلى .

وقد يلي الرأس في الأهمية جهاز الدورة الدموية ومتعلقاتها وما يتصل بها مباشرة وبصورة غير مباشرة . من قلب وأوردة وشرايين وأوعية شعرية ورأتين وكليتين وما تحويه من دم وما يحمله من عناصر حية دائمة من

الكريات الحمراء والبيضاء والمواد ، ومد البدن وأجهزته حتى الدماغ بالغذاء والمواد الضرورية من أكسجين والضروريات الأخرى وتطهيرها من المتخلفات في الحالات العادية أو مده بالعناصر اللازمة تجاه المخربات والأعداء المهاجمة بما يلزمه من دفاع حتى يبلغ إلى النفير العام وقيام الأجهزة المساعدة الأخرى اللنفاوية للكفاح وصد العوادي المداهمة ومثلها يحصل للمجتمع الإنساني بهذا كان للطبيب على اختلاف تخصصه ومعرفته بدقة لأجهزة البدن وضرورياته ودفاعه وهجومه علماً وحكمة يستفاد منه في علم الاجتماع ومثله علم النفس والرابطة بينه وبين علم الطب الفردي وعلم الاجتماع للنوع البشري ، وكما نرى ترابط الأجهزة في البدن الواحد وحاجة كلٍ منها للأخرى هكذا يكون ذلك في الحكومة والدولة العالمية المثلى على حد قول الشاعر :

النـاس للناس من عـرب ومن عجم　　　بعض لبعض وإن لم يشعـروا خـدم

فبخدمة الرأس وسهره على الأجهزة الأخرى وسلامتها وحسن قيامها بسلامة بأعمالها إنما هذه الخدمة منه خدمة له في الوقت الذي تقوم الحجيرات والأجهزة كل منها بنفس الجهد والنظام الدائب المنظم لا فقط لنفسها بل للأجهزة الأخرى تلك التي تتوقف حياة الواحدة على الأخرى وسعادة كل منها على الأخرى وشقائها عليها ، فالجسم الإنساني إذا أُصيب بأي ألم مثلاً في السن تألم المخ وكافة الأجهزة الأخرى وعانت ألماً وشقاء لا يقر قرارها إلاّ بإصلاح ذلك السن فهي في الحال الذي تشاركه في آلامه تشاركه في الصراع والجهد والكفاح لصد المهاجم العاتي وللقضاء عليه وإصلاح ما تلف باذلةً كل منها المعونة والطاقة بحد سواء وبصورة تعاونية وتحملت الخسائر والأضرار بصورة دائبة حتى دور النقاهة وعود الصحة والاعتدال للبدن ، وهكذا يجب رعاية ذلك في الحكومة العالمية المثلى والاقتداء بهذا البدن الإنساني القائم بأساليب الفطرة ، العادلة المنسجمة

بل حكومة الله المتسقة المتضامنة المتعادلة في خلقه[1] .

وإننا لو شرحنا أعمال الجهاز الدموي ونظامه في البدن وخدمته لنفسه وللبدن وما يقوم به في الأحوال العادية وغير العادية وما يبذله كل قسم منه لكل قسم وما يحمله من عناصر في الأحوال العادية وأخرى في الأحوال الغير العادية ، وما يقدمه من تعبئة للترميم وصد العوارض الغير العادية الكيماوية من مواد قد تضر بالبدن وأخرى عضوية مكروبية تختلف عن الأولى بكونها تتكاثر وتزداد وكيف عليه أن يجابه هذه الأخطار وكيف يوازن مدى خطورتها ويقوم بشل فعل الأولى بخلق ما يعادلها والثانية بصد ما يقابلها فتارة يزيد مواد كيماوية معاكسة وأخرى يزيد مواد عضوية من الحجيرات البيضاء والمواد اللمفاوية لصد الأعداء المهاجمة والقضاء عليها وإرسال مواد وإيعازات تفتح الشرايين والأوردة والأوعية لولوجها وخلق حرارة مصطنعة لتشريع حركتها وعلى قدر الخطر المداهم تبعث النفير العام وعلى قدره تبعث العقاقير الشافية للبدن والقاتلة لإعداءه ، وقد اشتركت أجهزة البدن كلها بحكم الدماغ المسيطر والقدرة الفطرية الحكيمة، وهناك مواد وأجسام غريبة تدخل البدن لا هي مواد كيماوية أو غذائية أو عضوية مكروبية يمكن تخليتها أو قتلها أو دفعها خارج البدن، وإذ لم تجد بداً وقدرة على دفع الجسم المداهم كشظية من قنبلة أو شيئاً غير مذاب أو جسماً أعياها إخراجه أو التهامه ، حبسته محيطةً إيّاه بألياف وأنسجة متينة منيعة حاجزة إيّاه عن أعضاء البدن محبوساً في مكمنه ، هكذا شأن الفطرة وسلوكها في البدن الإنساني تلك التي يجب علينا أن نأخذ منها عبرة . وهذه الدورة الدموية إذا ما درسناها بدقة أمكننا إيجاد جهاز في هذه الحكومة العالمية المثلى ووصلنا بنفس الروابط التي ترتبط به بالرأس وباقي الأعضاء ، وسمها ما شئت من مؤسسة تلك التي تقوم على مسند عدة

---

(١) ٥٣ من سورة فصلت قوله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ .

وزارات مترابطة مع بعضها كوزارة المواصلات والمؤن والإسعافات والاقتصاد وقسم من المالية والدفاع والصحة والخ . . وربما دخلت فيه أمانة العاصمة وغيرها وتلي ذلك الأجهزة الأخرى كجهاز الهضم والكبد وما يتصل ويرتبط ويتشعب منها والجهاز العصبي والعضلي والعظمي والجلد وما في البدن من غدد صماء وغير صماء والجهاز التناسلي .

وما تقوم كل واحدة منها من خدمات ووظائف عامة وخاصة وكيف يجب إقامة أجهزة مشابهة في جسم الحكومة العالمية المثلى على غرار كل منها هذا إلى إضافة ما اكتشفه الإنسان من شتىٰ الابتكارات والاختراعات في شتى المجالات الفيزيكية والكيماوية والميكانيكية والاحياء وغيرها وسهل بذلك على نفسه كثيراً من مشاكل الحياة ولا يزال يتقدم على شريطة أن لا يخرج بها عن الفطرة والطبيعة وأن يراعي دوماً نفس الاعتدال الطبيعي والاستفادة من غرائزه بحد الاعتدال الطبيعي والذي يلي ذكره في الأمر الثاني حاداً إياها بالعقل الحكيم والمنطق السليم من الانجراف والتهور أو التلكع والتوقف أو التقهقر عن الحد الوسط .

٢ ـ الإيمان : وهو بمثابة الروح في البدن الحي والتسليم والعمل بأصول الأديان السماوية وأخص الإسلام ذلك الدين الحنيف وما يحويه من مباني ومعاني :

فكان الأمر الأول المارّ ذكره يتمركز على الأمور المادية والثاني يتمركز على الأمور المعنوية لإقامة مجتمع إنساني حي على غرار البدن الإنساني الحي يتألف من مراكز مادية تشمل الحجيرات والأجهزة وروح معنوية هي المحركة الدافعة للأولى لقيامها بأعمالها ، والروح هذه لها محركين في البدن الإنساني إما نافعة مفيدة للفرد والمجتمع أو ضارة لهما .

فالأولى : وهي التي تستمد حركاتها من العقل السليم في الحكماء والعلماء وذوي الرأي الصائب والخلق الفاضلة والتقوى والإيمان العميق

عند ذوي الأديان السماوية الموحدة ، وهم ذوي الأرواح الطيبة الطّاهرة .

ويتبع هؤلاء كثير من الأحياء السائرين فطرياً بنظم واعتدال ومسالك متسقة دقيقة متينة كالنحلة والنملة والأرضة وحتى في الوحوش كالأسد ونخبة أخرى مثله فهي رغم تجاوزها على غيرها تفترسها وتلتهمها بيد أن ذلك على حد إشباعها الغريزة وسد الجوع ومتى اكتفت وشبعت فلا تراها تتجاوز على حيوان حي والقضاء عليه أبداً ، وعكسها الذئب والضبع فدأبها الفتك والتعرض والتجاوز فوق ما يكفيها من حاجتها وهناك أمثالها من الحشرات والطيور وأحياء البحر وحتى في الأحياء الأخرى من النباتات والأجسام الغير المرئية .

والثانية : على نقيض الأولى وهي المستمدة حركاتها من غرائزها المتناقضة والمضطربة التي لا تقوم على وزن ولا تنسيق أو عدالة واعتدال ، وهي تكون في الإنسان الأهوج الخارج عن النظم والمنطق السليم والجاد في إشباع شهواته ورغباته دون انصياع لوحي الضمير والوجدان والعقل ، وذوي الآراء والخارج والمارق عن الدين القويم والخلق الفاضلة وضبط النفس ، والإنجراف لما توحيه له غريزة نهمه ورغبة غير منسجمة ممن لا يرعوي للصواب ولم يردعه ثواب وعقاب ، ولأن هذا الإنسان في الوقت نفسه يجمع في معنوياته إلى جانب غرائزه تفكيراً نامياً ونفساً مريدة وعنده الوعي والتمييز إلّا أنه بحكم الوراثة والمحيط والتربية قد ينجرف مع الشهوات ويستخدم قواه التفكيرية ورغباته وإرادته النفسية للخروج عن جادة الصواب إلى مغريات الهوى والشهوات والنهم النفسية وينساق لأشباع غرائزه دون عدالة واعتدال ويستولي عليه الجشع والحرص كغريزة حب الذات حب الجاه وحب المال والغرائز الجنسية العاتية والمتع الزائفة وللوصول إلى اغراضه ومراميه يسلك طريق الموبقات والرذائل والظلم والاجحاف والتجاور والاعتداء والمكر والخداع والكذب والنفاق ، فتراه راح منغمساً في خلق سافله وعادات منكرة ، ولم يرعوي لقول حكيم

وعقـل سليم وحـاد عن الصـراط المستقيم والشـرع القـويم ، تلك التي لا تجـدها بين أفـراد حكومـة البدن في أفـراد حجيراتهـا واجتماعـات أنسجتهـا وأجهزتها .

فبـدت نتيجـة خبـرة ذوي الـرأي السـديـد من العلمـاء والحكمـاء والمجـربين وأهل الخبـرة ، أن تلك خـروج على الحق والحقيقـة وعـاقبتهـا الخسـران ، فجدوا في نصـائحهم كمعلمين للبشر لتعليم الجـاهـل وتـذكيـر الغافل وإعانة العاقل بالنصيحة والإرشاد للسير المعتـدل واتخاذ جـادة الوسط دون إفراط وتفريط فقالوا خير الأمور أوسطها .

وجـاء الرسـل والأنبياء بـالتوحيـد والعدالـة والاعتدال والعـظة والإرشاد كمعلمين من السمـاء من الله لهـدايـة البشـر وأمـروا بـالمعـروف ونهـوا عن المنكـر ونشروا السـلام وكـرائم الأخـلاق ودعـوا لكـل فضيلة ونهـو عن كـل رذيلة .

ولكي ينقـاد البشـر على الفـطرة والـطبيعـة وينتهـج الصـراط السـوي والاعتـدال في سلوكـه كـالحكـومـة في نفس جسم الإنسـان من التعـاون والخدمة الصادقة والجد والإخلاص ومساواة اجتماعية وفرديـة ، وإعطاء كـل ذي حق حقـه من المنعة والكـرامة والاهتمـام بالصحـة والسلامـة واستجـابـة رغبته ومرامـه تعاونـاً متقابـلاً وتكاتفـاً متبادلاً ، ولا تتغلب على عقله وإرادتـه النزعات وتجره إلى الموبقـات والشهوات ، تلك الشهـوات والنوازع لغـرائزه العديدة التي طالما أطاحت به إلى الهوات السحيقة وأبـدلته من إنسـان رحيم إلى شيـطان رجيم ، لا يكبح عن المـظالم جمـاحـه ، ولا يخفض للرحمـة جناحه .

لكل ذلك كـان لزامـاً أن يكون لكـل فرد حـارس أمين ومرشـد وواعظ من نفسـه على نفسه من الإيمـان بالله الـواحد الصمـد الواقف على السـرائر والمعطي القدير جالب الخير ودافع الشـر الذي لا تـأخذه سنـة ولا نوم ومقـر الثـواب لمن أطاعـه والعقاب لمن عصـاه ، إيمان يملك نفسـه وتقوى يسمـو بهـا جنسه ، فحثـه على مكارم الأخـلاق والفضائـل ونهاه عن الانحـراف في

الرذائل . دعاه لما يصلح به نفسه وغيره لبلوغ السعادة في دنياه وأخراه ونهاه عن المفاسد لنفسه وغيره وقاية من عواقبها المهلكة ، وأعطاه عقلاً مميزاً يميز بين الحسن والقبيح وعزماً وتصميماً ينظم حياته بهما على أساس سليم وصحيح . وأرسل الأنبياء والمرسلين ومدهم برسالات يهدون بها على لسانهم وأفعالهم وَيَعِظُون بها ، فكانت الكتب المقدسة وأخص منها القرآن الخاتم للشرائع والسنن ، الصالح لكل مكان وزمان ، والجامع لكل نصيحة مهذبة ، وعظة مؤدبة ، وتربية فائقة ، وآداب رائقة ، وآراء سديدة ، وأفكار مجيدة . تلك المكملة المهذبة للأفراد والجماعات والمحددة الواقية من الأوباء والحروب والمجاعات بها حقاً تقام أسس الحكومة العالمية المثلى وسنذكر طرقاً من آيات القرآن وأحاديث من خاتم الأنبياء ونبذاً من الكلمات القصار من نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي عليه السلام المسندة للكتاب والسنة وبها نختم كتابنا القانون الأساسي الطبيعي القائم على العدالة الطبيعية الإلّهية المنطقية والتي هي العلاج الشافي لسوق البشرية إلى حياة السلام والسعادة والإسلام في الختام لذا نرى القانون الأساسي الطبيعي والقانون الأساسي الإسلامي الذي سوف نشرحهما في الحقيقة لا يختلفان سوى لفظاً.

القانون الأساسي الإسلامي : وهذا القانون من خيرة القوانين الأساسية في العالم كله منذ بدء التاريخ حتى أرقى العصور التي توصل البشر لوضعه من أصول وحقوق ، وهو في الواقع من أصول الحياة الواقعية والفطرية الثابتة المنطقية والفطرية الطبيعية ، وله في الشريعة منابع ومصادر[1] في الكتاب والسنة ، ونحن إذ نشرحه من ناحية دينية إسلامية ،

---

(١) من سورة آل عمران (١٦ منه إلى ٢٠ و ٤٥ و٦٠ منه) : ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً . . ﴾ الخ. وكان إبراهيم من شيعة نوح ، فالكل من أصل واحد ، و١٧ : ﴿إن الدين عند الله الإسلام . . ﴾ الخ . ، و٧٩ ٨٥ منه : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ ، و٧٧ منه إلى ٧٩ و٩٧ =

إنما نشرح القانون الطبيعي القائم الثابت[٢] كما مر ويأتي ونرى الأصول الثابتة القائمة في كلاهما وكيف يعودان كلاهما إلى هدف وقصد واحد يختلفان عن القوانين الأساسية الموضوعة من البشر المُبْنى على أغراضه وغاياته الشخصية وإذ تتبدل الأفراد والجماعات وتتغير أهوائهم ومراميهم يبدلون ما شاؤوا من تلك الأسس التي يجب أن تبقى ثابتة وان هم لم يبدلوها كتابة أعرضوا عنها عملاً .

منابع القانون : والقانون الأساسي الإسلامي له منابعه الثابتة المتضامنة ، هي :

١ ــ كتاب الله .

٢ ــ سنة رسول الحقة .

٣ ــ التفسير والتأويل بعد رسول الله (ص) والاجتهاد لعلي عليه السلام وآل بيت رسول الله ومن يخلفهم من نوابهم الذين جمعوا ووعوا ما للمجتهد الكامل من الشرائط من بلوغ وإسلام وعقل وعلم وعدالة وتقوى وتبحر وقدرة على الاستنباط للاجتهاد والفتوى في مدى العصور عند غموض نصوص الكتاب والسنّة .

فقد قال رسول الله (ص) لعلي (ع) :

١ ــ أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي .

٢ ــ ستحارب على تأويل الكتاب كما حاربت على تنزيله .

٣ ــ أنا مدينة العلم وعلي بابها .

٤ ــ أقضاكم علي ، وأعلمكم علي .

= وقال رسول الله (ص) : « أشرف الإيمان أن يأمنك الناس وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك . وقال : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ٣٠٧ نهج الفصاحة .

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ .

٥ ــ علي وولديه الحسنين وجدهما وأمهما الخمسة أهل الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .
٦ ــ لحمه لحمي ودمه دمي وهو مني وأنا منه .
٧ ــ في آية المباهلة أصبح علي نفس رسول الله .
٨ ــ إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وقد ثبت أن أهل بيت رسول الله هم علي وفاطمة والحسنين وعترتهم وأن عترة رسول الله من صلب علي وفاطمة راجع بذلك موسوعتنا الولاية والمحاكمات الأجزاء الخاصة في حياة النبي (ص) وحياة الإمام علي عليه السلام .
٩ ــ وقول رسول الله مشيراً للحسنين : ولدي هاذان إمامين إن قاما وإن قعدا .
١٠ ــ نصب رسول الله علياً وزيراً ووصياً وخليفة بعده ، وأمر الجميع بالسير على هديه منها يوم نزلت الآية : ﴿ وانذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، والثانية في غدير خم حينما أمر الله رسول الله (ص) بآية الإبلاغ في غدير خم لنصب علي إماماً وولياً وخليفة ووصياً بعده ، راجع بذلك حياة الإمام علي في موسوعتنا أعلاه ، هذا على ما نص على خلافته كناية وصراحة وعملاً .

الأصول في الشريعة الإسلامية ويمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام :

أولاً ــ الأصول التي بتقبلها يكمل إسلام المرء في اعتناقه الدين الإسلامي ، وبعدم تقبلها كلاً أو بعضاً يكفر الفرد وتنطبق عليها الآية الشريفة : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ والكفر يشمل الفسق والظلم أيضاً ، وهذا يشتمل على خمسة أصول :

١ ــ الوحدانية كما وردت في سورة الإخلاص .
٢ ــ النبوة .

٣ ـ الإمامة[1].

٤ ـ العدل .

٥ ـ يوم القيامة (يوم الجزاء) .

هذه الخمسة على المسلم الإقرار بها وبتركها فهو كافر وهو بالوقت ظالم بل الظلم العظيم كما ورد في سورة لقمان .

الثانية : وتشمل فروض وحدود على كل مسلم إتيانها ونقضها يوجب الفسوق وتنطبق عليه الآية الكريمة المارة والتالية : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾ ويتبع هذه الفسوق الظلم وتشمل الفروض الثمانية التي تعتبر لا يتركها إلاّ فاسق وهي :

١ ـ الصلاة وما يلزمها من طهارة الظاهر والباطن .

٢ ـ والصوم مادياً ومعنوياً .

٣ ـ والزكاة .

٤ ـ الخمس .

٥ ـ الحج .

٦ ـ الجهاد في سبيل الله ، تجاه النفس والغير .

٧ ـ الأمر بالمعروف .

٨ ـ النهي عن المنكر .

الثالثة : ويتبع ذلك الحدود من أوامر ونواهي الواردة في الكتاب والسُنة من عدم شرب الخمر وترك الزنا والامتناع عن السرقة وعدم الاضرار بالنفس والغير واحترام الحقوق الخاصة والعامة وإطاعة الله والوالدين وإقامة العدالة والأمر بالقسط في الأحكام وما شاكل ذلك وفيها الأحوال الشخصية

---

(١) قوله تعالى : ﴿ إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ ، ﴿ وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. . . ﴾ الخ . .

والقضـائية (لمتخصص المـوارد القضـائيـة والقـاضي) والفـروض الصحيـة والوقائية المادية والمعنوية من أمر ونهي .

رابعـاً : أصول اجتمـاعية إتيـانها يـوجب السعادة الـدنيـويـة والسعـادة الأخروية وتشمل مكارم الأخلاق والبر والإحسان والصدقة الماديـة والمعنويـة والعفو عند المقـدرة وكثير مـوارد إنسانيـة واجتماعيـة تخص الفرد والجمـاعة وحتى تشمل بقية الأحياء . كالرفق بالحيـوان والنبات وسنضـع لها ١٧ أصـلاً ونترك الباب مفتوحاً لتسجيل أصول أخرى .

٢ ــ أصول القانون الأساسي الإسلامي

والأصول جمع أصل ، والحق أنها جميعاً من أصل واحدٍ لا تتجزأ إلاّ في الوصف ذاتاً وصفة وجميعاً تنبعث من أصل واحدٍ كما تنبعث من الشمس الأنوار والقوى والطاقات والأوصاف وتعود تتمثل في ذات الكوكب السماوي وما يتجزأ منه باعتباره وحده ، ذلك كمثل أدنى .

١ ــ التوحيد : وتجدها في سورة الاخلاص

فالأصل في الواقع واحد لا غير ، هو أن الله أحد صمد[1] وأنه

---

(١) ما ورد في الأصل الأكبر وهو الوحدانية ـ ١) سورة الاخلاص قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾.

قال الله تعالى في سورة آل عمران/٦٤ : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا لبعضاً أرباباً من دون الله . . ﴾ الخ . و١١٦ منه ، والمائدة/٧٧ ، والأنعام/١٠٢ ، وبني إسرائيل/٤٤ والأنبياء/٢٢ إلى ٣٠ ، والحج/٣٠ ، والمؤمنون/٩٢ ، وآية الكرسي ، وسورة الفرقان/٢ ، والقصص/٨٨ ، والزمر/٦٦ ، ومؤمن/٣ ، والدخان/٧ ، والذاريات/٥١ ، والحشر/٢٢ إلى ٢٤ . وسورة الروم/٢٩ : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله . . . ﴾ الخ .

ومما روي عن رسول الله (ص) وجاء في نهج الفصاحة من أقواله المأثورة قوله (١٥) : أبشروا وبشروا من وراءكم أنه من شهد أن لا إلّه إلاّ الله صادقاً لها دخل =

الأول والآخـر ، هو الله المبَـدع المهيمن الحكيم والخـالق القـديـر العليم ، والعـادل البر الـرحيم ، ذو الحول والـطول الصمدي الأبـدي الأزلي ، منبـع الكمـال والجمال ، والمسيـطر على الأمكان والمحـال ، لا تحد إرادتـه فيما كان أو يكون ، ولا يغيب عن علمـه ما تعجـز عنه الحـواس والظنـون . ومنه تتفرع باقي الأصول .

= الجنة ، « والصدق لهـا تستوجب مـا نرده من الأصـول في الوحـدانية » ، وقـال (ص) في كلمتـه (٣٠٩) أشعـر كلمـة تكلم بهـا العــرب كلمـة لبيــد « ألا كـل شيء مــا خـلا الله باطل » ، وجـاء في كلمته (١٢٤٣) ثـلاث من قالهن دخـل الجنة : من رضي بـالله رباً ، وبـالإسلام دينـاً ، وبمحمد رسـولاً ، والرابعـة لها من الفضـل كمـا بين السمـاء والأرض وهي الجهاد في سبيل الله عزّ وجل .

(١٦٠٧) الدواوين ثلاثة : فديوان لا يغفر الله منـه شيئاً فـالاشراك بـالله . وديوان لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبـد نفسه فيمـا بينه وبين ربـه من صوم يـوم تركـه أو صلاة تـركها فإن الله يغفر ذلـك إن شاء ، وديـوان لا يترك الله فيـه شيئاً فمـظالم العباد بينهم القصـاص لا محالة .

(١٨١٩) الشـرك أخفى من امتي من دبيب النمـل على الصفـاة الليلة الـظلمـاء ، وأدنـاه أن تحب على شيء من الجـور أو تبغض على شيء من العـدل . وهـل الـدين إلاّ الحب في الله والبغض في الله . قـال الله تعـالىٰ : ﴿ إن كنتم تحبـون الله فـاتبعـوني يحبيكم الله ﴾ .

(١٨٢٤) الشهوة الخفية والرياء شرك (يقصد الكبر والمراءات شرك) .

(٢٠٧٧) قال الله تعالىٰ : من علم أني ذو قـدرة على مغفرة الـذنوب غفـرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئاً .

(٢٦١٥) كل ذنب عسى الله أن يغفره إلاّ من مات مشركاً أو قتل مؤمناً متعمداً .

وقـال من في (٢٢٦١) لكـل شيء مفتـاح ومفتـاح السمــوات قـول : « لا إلـٰـه إلاّ الله » .

قـال الإمام علي في التـوحيد والعـدالة وهي من كلمـاته القصـار البليغـة حين سؤل عنهـا فـأجـاب : التـوحيـد أن لا تتـوهمـه والعـدل أن لا تتهمـه وهي الكلمـة (٢٦٢) في الكتاب السادس من نهج البلاغة .

٢ ـ العدل : ـ

هذا الأصل من مقر العدالة والوحدة في أصل الطبيعة ومبدأ الفطرة ، من مبدع العقل السليم في الإنسان وقوى الغرائز فيه وفي الحيوان ، وملهم النفوس هداها والمودع بها قواها .

فكانت العدالة من أجلى عواطفه وميزاناً للقصاص من الطافه ومعارفه ، والاعتداد والاعتدال بها من حسنات الغرائز وكرائم العقول في الحوافز والنواجز ، بها أمر ، وعليها يقاصص البشر ، ويحاسبهم في دنياهم بالأثر أو يؤخرهم ليوم البعث الأكبر . لا مفر من قصاصه العادل ، ولا مغيث أو شفيع من عدله الشامل .

فالعدالة أصل في الحياة فيها قرار الحياة وبها سعادة الاباء وشقاء الغواة ، ترفع نفوساً صمدت لها لتكون أبية ونبيلة ، وتحط من أخرى أعرضت عنها إلى حضيض الرذيلة ، وتلك هي العدالة لها في كل منهل من الحياة مقامها الأرقى ، وفي كل شريعة ينبوعها الأنقى ، فهي التي توازنت بها قوى الكون واعتدلت أنظمتها : من نجوم منتشرة انتظمت في أجوائها وتباينت في أنوائها وسارت في مدارها وامتازت في أطوارها وأسرارها ، بما حوته من قوى وعناصر متقاربة ومتضاربة تعادلت وامتازت بخصائصها وتساوت في النظام الكوني الموحد بشواخصها ، وحوت من مخلوفات واجمة واحياء ذات حياة هائمة إلى جواهر وذرات دقيقة في صنعها منتظمة في نوعها ، ضمت أسراراً في عوالمها خارقة وقوانين في كوامنها عالقة وفي جميعها منتظم قرقراره أو مختلف علا نقاره أو اندلع شراره ، فالعدالة في كل محيط سر القرار والاستقرار وبدونها الصراع والشجار ، حتى لترى الصراع يقوم في جسم الأحياء متى اختلت أنظمتها في الشراب والطعام واليقظة والمنام والصمت والكلام وهو دليل فقدان العدالة في إحدى مسالكها ومعالمها وتهب العواصف القاصفة والسيول الجارفة وتنفجر البراكين المحرقة والزلازل المنهكة وتفد البلايا النازلة

والمنـايا الهـائلة كل منهـا حينما تختـل أصول العـدالة في مـوازينها الفـطرية وأنظمتها السرية .

وحتى تجد الشرع يتهم الشرك بالظلم العظيم[1] لأن الـوحدانيـة شرط أعلى من شـروط العدالـة والاعتدال الكـوني الصادر من مبـدع ومشرع قـدير واحد لا سواه ، لا تتضارب أحكامه وأفعالـه ، ولا تختلف أعمالـه وأقوالـه ما دامت منصاعة لنظمه ، وحافظة لحرمه ، لهـا قوانينهـا وأنظمتهـا في الوصـال والائتـلاف أو الجفوة والاختـلاف . في الأولى تتجلى اسس عدالتـه بالقـرار والأمـان ، وفي الثانيـة تنكشف حقـائق مخـالفـه بـالعسف والهـوان للشجـار والعصيان . أعطى كل نفس عقلاً هـادياً في مختـاراتها ، فهي آمنـة ما قـرّت لهـا فيهـا العـدالـة الحكيمـة ، وقلقـة مـا زلت عنهـا فيهـا الضـلالـة والأدواء مقيمة ، فالعـدالة في كـل شيء ميزان ومقيـاس ينتظم بـه الكون في أجـزاءه ومـركباتـه اعتدالاً ، وفي مـادياته ومعنويـاتـه كمـالاً ، فهي السبيـل الهـادي لـذوات العقول ، والـدليل المثيـر في ذوات الغـرائـز والميـول ، فـإن أخلّت بمـوازنتها زيـادة أو نقصانـاً اعتلت ، وإن قصـرت عنهـا وأعـرضت اختلت ، خذ الإنسان مثلاً في طعامه وشرابه وذهابه وإيابه وراحته وأتعـابه مـادية كـانت أو معنوية ، يفقـد اعتدالـه ويقلق بالـه متى أخلّ بمقـاييس نظام بـدنه القـائم مريداً بالزيادة أو النقصان ، أو داهمته عوارض خـارجة عن إرادتـه كانت علّة الأدواء والغثيـان ، لا يقر إلاّ بـالعودة لـلاعتـدال وإعـادة المـوازنـة المفقـودة بـالضم ، أو التفريق ، وإقـامة العـدالة والقـانون الفـطري للنهج السـوي من الـطريق . فالعـدالة حكمهـا جار فـطرياً ، والعـدالـة شـرط للحيـاة السعيـدة للبشر ، يحد بميزانها الجفـاة المتنابـزون والجناة المتجـاوزون ، ويعاد الحق إلى نصابه والاعتدال إلى قرابه ، فيجد المحسن والمسيء جزاءه وحسابه .

تلك هي العدالة ، البادئة بوحدة الله وكمـاله ، والقـائمة من الأزل إلى

---

(١) سورة لقمان الآيـة: ١٢ : ﴿ وإذ قال لقمـان لابنه وهـو يعظه يـا بني لا تشرك بـالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .

الأبـد معه في مشيئتـه وأفعالـه ، ومنه أعـطى للإنسـان عقلاً واعيـاً هـاديـاً[1] جعله بصيـراً حكيماً وأعـطاه ذوقاً سليمـاً ، وإحساس وحـواس يميـز بهـا بين الحسن والقبيح ، والحق والباطل ، يحاسب على مختارها فيمـا كان لـه حق الخيار ، وانحرف عن الصـراط السوي بـدون أعذار ، فجنى بهـا على نفسه أو غيـره ، مخلاً بتلك العـدالة الإلّهيـة ، مأخـوذاً بعقله وقلبه ومحـاسباً على قدر إيجابـه وسـلبه جـزاءاً دنيويـاً يختلف جزاءه ويتنـوع دواءه ، فتارة تـراه يصيب الاعتـداء اعتلالاً بـدنياً ، أو داءًا عقليـاً ، ينال منـه الفرد آلامـاً تعتوره شـدة وضعفاً ، ويختلف شقـاءه أمداً يصـاب به فـطرياً قصـاصـاً طبيعيـاً ، أو يلقى من المجتمـع تأنيبـاً ينـزل بـه قـدره ، ويختـل في المجتمـع أمـره ، أو يصاب بنكبة مـداهمه وعـارضه مهـاجمه أو يؤخـذ بالقصـاص أمام القضـاء ، وينزل به الجزاء بماله أو بدنـه، أو يكون جـزاءه أخرويـاً[2] بالثواب للحسنات والعقاب للسيئات ، وهذا الأخير هو أحد الأصـول للعدل الإلّهي لإقـامة يـوم البعث ، يوم الجزاء الأخروي .

وكان لأصول العدالة والأمر بها في كتـاب الله[3] وسنته ، آيـات مجيدة وسنن فريدة ، ومنها :

---

(١) ﴿إنا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾ سورة الـدهر/٣، وقـوله تعـالى في سورة البلد الآية: ١٠ : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ .

(٢) انـظر كيف فضلنا بعضهم على بعض : ﴿ ولـلآخـرة أكبـر درجـات وأكبـر تفضيلاً ﴾ سورة الإسراء/٢٢ .

(٣) سـورة النسـاء/٥٧ ، و١٣٤ منـه : ﴿ إن الله يـأمـركم أن تؤدوا الأمـانـات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعـدل. . . ﴾ الخ . و : ﴿ يـا أيُّها الَّـذين آمنوا كونوا قـوامين بالقسط شهـداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيـاً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعـوا الهوى ان تعـدلوا وان تلْوَا أو تعـرضوا فـإن الله كان بمـا تعملون خبيراً ﴾ .

قـال (ص) في (٩٥١) إنما يـدرك الخيـر كله بـالعقـل ولا دين لمن لا عقـل لـه ، فإذن العقل إحدى الأصول في الحياة .

=

. . . .

= عن القاضي : إذا ابتلى أحدكم بالقضاء بين المسلمين فلا يقضي وهو غضبان وليسوِّ بينهم في النظر والمجلس والإشارة (١٢٥) .

(٥٧٧) إن أحب الناس إلى الله تعالىٰ يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله تعالىٰ وأبعدهم منه إمام جائر .

(٤٨٧) الله مع القاضي ما لم يجُرْ فإذا جار تخلى الله عنه ولزمه الشيطان .

(٧٣٢) إن الله مع القاضي ما لم يحف (يظلم) عمداً .

(١٨٠١) شرار أمتي من يلي القضاء ، ان اشتبه عليه لم يشاور ، وإن أصاب بطر ، وإن غضب عنَّف ، وكاتب السوء كالعامل به .

(٢٠٦٦) قاضيان في النار وقاضٍ في الجنة ، قاضٍ عرف الحق فقضى به فهو في الجنة ، وقاضٍ عرف الحق فجار متعمداً ، أو قضى بغير علم فهو في النار .

(٢٢٢٤) لسان القاضي بين طريقين إما إلى جنة وإما إلى نار .

(٢٣٦٣) ليأتين على القاضي العادل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في ثمرة قط .

(٢٦٩٠) ما من قاضٍ من قضاة المسلمين إلاَّ ومعه ملكاً يسلمانه إلى الحق ، ما لم يرد غيره ، فإن أراد غيره وجار متعمداً تبرأ منه الملكان ووكلاه إلى نفسه .

(٢٧٧٥) من كلم بين اثنين تحكماً إليه فلم يقضي بينهما بالحق فعليه لعنة الله .
تحاكما

(٤٩٨٨) من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم من لحظته وإشارته ومجلسه .

(٤٩٨٩) من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فلا يرفع صوته على أحد الخصمين إلاَّ برفع على الآخر .

(٢٠٠) إذا حكمتم فأعدلوا وإذا قلتم فأحسنوا فإن الله محسن يحب المحسنين .

(٦٦٤) إن القاضي العدل ليجاء به يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أن لا يكون قضى بين اثنين في تمرة (ذلك بنظري أن تغطرس وقد عل في حكمه) .

(٩٤٣) إنما أهلك الذين من قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . =

. . . .

= قال الإمام علي عليه السلام في القضاء : هذا مجلس لا يجلسه إلاَّ نبي أو وصي نبي أو شقي من الأشقياء « نهج البلاغة ».

(٥٨٧) إن أخوف ما أخاف على امتي الأئمة المضلون .

(١٠٢٧) أيما راع غش رعيته فهو في النار.

(١٢٨) وقال رسول الله (ص) : كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته .

(١٠٢٩) أيمـا رجل استعمـل رجـلاً على عشـرة أنفس علم أن في العشـرة أفضـل ممن استعمل فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين (راجع الخلفاء).

قـال الله تعـالىٰ في سـورة المـائـدة/١١ : ﴿يـا أيُّهـا الـذين آمنـوا كـونـوا قـوامين لله شهـداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قـوم على أن لا تعدلـوا اعدلـوا هو أقـرب للتقوى واتّقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ ، وقال في سورة النحل/٧٨ : ﴿ وضرب الله مثلاً رجلين أحـدهما أبكم لا يقـدر على شيء وهو كـل على مولاه أينمـا يوجهـه لا يأت بخير هـل يستوي هـو ومن يأمـر بالعـدل وهـو على صـراط مستقيم﴾ ، و٩٢ منـه : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسـان وإيتاءِ ذي القـربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكـر والبغي يعظكم لعلّكم تـذكـرون﴾ . ومن سـورة الحجـرات/٩ : ﴿ وإن طـائفتـان من المؤمنين اقتتلوا فـأصلحوا بينهمـا فإن بغت إحـداهما على الأخـرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمـر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ .

ومما جاء عن رسول الله (ص) في العدل (من نهج الفصاحة) :

(١٩١٠) قال (ص) : طوبى لمن ترك الجهل وأتى الفضل وعمل بالعدل . .

وقال (ص) في (١٩٣٦) منه : عدل ساعة خير من عبادة سنة .

وقـال (ص) في (٢٠٠٦) : العـدل حسن ولكن في الأمـراء أحسن ، والسخـاء حسن ولكن في الأغنياء أحسن ، والورع حسن ولكن في العلماء أحسن ، والتوبة حسنة ولكن في الشباب أحسن ، والحياء حسن ولكن من النساء أحسن .

وقال (ص) في (١٢٠٠) إذا حكمتم فاعـدلوا وإن قلتم فـأحسنوا ، فـإن الله محسن يحب المحسنين .

وقال (ص) في (٧٥٤) ساووا بين أولادكم حتى في القبلة .

وقـال (ص) في (١٢٩٠) ثلاث مهلكات وثـلاث منجيات : فـالمهلكـات : شحّ =

. . . .

= مطاع ، وهوىً متبع ، وإعجاب المرء بنفسه . والمنجيات : خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الغناء والفقر ، والعدل في الغضب والرضا .

(١٠٠٣) إيّاك ودعوة المظلوم وإن كان من كافر فإنه ليس لها حجاب من دون الله عزّ وجلّ .

في السلطان العادل :

(١٦٠) إن أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق ان نسى ذكّره ، وإن ذكر أعانه .

وقال (ص) في (١٧٦) إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان .

وقال (ص) في (١٢٢٣) ثلاث لا تحرم عليك أعراضهم : المجاهر بالفسق والإمام الجائر ، والمبتدع .

وفي (١٧٧٠) السلطان العادل ظل الله في الأرض فمن أكرمه اكرمه الله ومن أهانه أهانه الله .

وفي (١٧٧١) السلطان العادل ظل الله في الأرض ، فإذا رحل أحدكم بلداً ليس به سلطان عادل فلا يقيمن

وفي (١٧٧٣) السلطان العادل ظل الله في الأرض يأوي إليه الضعيف وينتصر به المظلوم .

وفي (١٧٧٢) السلطان العادل ظل الله في الأرض المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض، ويرفع له عمل سبعين صديقاً .

(٢٥٦٣) ما من عبد يسترعيه الله رعية ثم يموت غاشاً لرعيته إلاّ حرم الله عليه الجنة .

وفي (٢٧٦٢) من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو من كملت مرونته وظهرت عدالته ووجبت اخوته .

وفي الظلم : أخص في ظلم الراعي قال (ص) في نهج الفصاحة :

(١٠٢٥) أيّما امرءٍ ولى من أمر المسلمين شيئاً لم يحطهم بما يُحْوِطُ نفسه لم يرح رائحة الجنة .

وفي (١٠٢٦) أيما راع دعى الى ضلالة فاتُّبع فإن عليه أوزار من اتّبعه ولا ينقص =

٣ ـ يوم القيامة :

ذلك اليوم المشهود ، الذي يحشر الله الخلائق، وفيه يجازيهم على الحسنات والسيئات ، وفيه يجدون العدالة الإلٓهية في أجلى مظاهرها من ثواب وعقاب .

قال الله في محكم كتابه : ٢٢ من سورة الإسراء (بني إسرائيل) : ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ ، كما وردت آيات جمة وأحاديث نبوية كثيرة ، تعطي لذلك اليوم المشهود عظمة مهامه وجلال مقامه ، إنذاراً للمعتدين ، وبشارة للمتقين[١] .

= من اوزارهم شيئاً ، وأيما داع دعى إلى هدى فاتبع فإنه له مثل أجور من التبعة ولا ينقص من أجورهم شيئاً .

وفي (١٠٢٩) أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل فقد غش الله ورسوله وغش جماعة المسلمين .

(١٠٢٧) أيما راع غش رعيته فهو في النار .

وفي (١٠٢٨) أيما راع لم يرحم رعيته حرّم الله عليه الجنة .

وفي (١٠٣٠) و(١٠٣٨) أيما راع استرعى رعية فلم يحطها بالأمانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله تعالىٰ التي وسعت كل شيء .

وفي (١٠٣٩) أيما والٍ ولّي شيئاً من أمر أُمتي فلم ينصح لهم ويجتهد لهم كنصيحته وجهده لنفسه كبه الله تعالىٰ على وجهه يوم القيامة في النار .

(١)سورة البقرة، الآيات : ٤٥ و١١٧ و٢٥٥ و٢٨١ قوله تعالىٰ : ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ ، وسورة آل عمران ، الآيات : ٢٤ و٢٨ : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت. . . ﴾ الخ. . و٩٠ منه : ﴿ ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ ، و١٠٥ منه : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. . . ﴾ الخ. و١٠٣ و١٨٥ منه : ﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون اجوركم يوم القيامة. . . ﴾ الخ. و١٩٤ منه : ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾ . =

. . . .

= وسورة النساء/١٣٥ ، والأنعام/٦ : ﴿ ... ليجمعنكم يوم القيامة ... ﴾ الخ . و٣٦ و٣٨ و٥١ و٦٠ و١٢٨ منه : ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ... ﴾ الخ . و١٣٠ و١٣٤ ، وسورة الأعراف/٥ و٦ و٨ و٥٥ منه ، ويونس/ ٤٦ و٥٦ منه ، وهود/ ١٠٤ و١٠٧ ، والرعد/٥ ، والنحل/٢١ و٧٩ و٨٦ منه ، والإسراء (بني إسرائيل) ١١ و١٢ و١٤ و٥٤ و٧٣ منه ، والكهف/ ٤٥ و٤٦ و٤٧ و٩٩ و١٠٠ و١٠١ ، ومريم/٩٦ ، وطه/١٠٢ - ١١٠، والأنبياء/٤٨ ، والحج / ١ ـــ ٧ ، والمؤمنون ١٦ ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ ، الأحزاب/٦٣ ، وسبأ / ٣ و٢٨ و٢٩ ، والصافات ١٦ - ٢٤ ، والزمر ٦٧ و٦٨ ، والمؤمن ٦١ ، وفصلت ١٨ - ٢٢ ، وشورى ١٧ و١٨ و٤٦ ، والدخان/٤ ، والجاثية / ٢٦ ، وق/١٩، والقمر/١ - ١١ والواقعة/ ١ - ١١ ، والتغابن / ٧ و٩ ، والمدثر/ ٤٧ - ٤٩ ، والقيامة/ ١ - ١٥ ، والمرسلات/ ١ - ٥٠ ، والنبأ/١٧ و١٨ ، وانفطار/١ - ١٩ ، والمطففين/ ١ - ٢١ ، والانشقاق/ ١ - ٢٥، الغاشية/ ١ و١١ و٢٥ و٢٦، والفجر/ ٢٢ - ٣٠ ، والزلزال/ ١-٨ ، والعاديات/١ - ١١ ، والقارعة/ ١ إلى ٨ .

قال رسول الله (ص) في نهج الفصاحة :

(٥٧٧) إن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل ، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه إمام جائر .

جاء عن رسول الله (ص) في نهج الفصاحة عن يوم القيامة (٦٥٠) إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول : يا رب لإرسالك لي في النار أيسر علي مما ألقى وأنه ليعلم ما فيها من شدة العذاب .

(٩٨١) أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء .

وقال (ص) في (١٨١٠) شر الأمور محدثاتها ، وشر العمى عمى القلب ، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة. وشر المأكل أكل اليتيم، وشر المكاسب كسب الرباء .

وفي (١٨١٣) شر الناس يوم القيامة من يخاف لسانه أو يخاف شره .

وفي (٢٢١٧) لَيُردُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد المشاة الجلحاء من المشاة القرناء تنطحها (إذا كانت تعي طبعاً) . =

ويوم القيامة إنما هو اليوم الذي تتجلى فيه العدالة الإلّهية بأجلى معابيرها ومظاهرها ، ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت ﴾ .

٤ ـ النبوة : وما النبي محمد (ص) إلاّ بشر أكرمه الله برسالته إلى الجن والإنس كافة ، شاهداً ومبشراً ونذيراً ، كما أكرمه بالولاية أكرم من يخلفه من بعده من المؤمنين من أسبقهم إيماناً وأتقاهم وأعلمهم وأقضاهم ، وأطهرهم وأزكاهم ، دعماً لعدله ، وإرفاقاً لعباده ، وإرشاداً لخلقه ، ومعونة للعقلاء ، وتذكرة للغافلين ، ذلك هو علي والأئمة من عترة الرسول (ص) .

قال الله تبارك وتعالىٰ في محكم كتابه الكريم القرآن : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ إنما إلّهكم إلّه واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ الكهف/١١٠ ، وقال تعالىٰ : ﴿ يا أيُّها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾الأحزاب/٤٤ و٤٥،وسورة البقرة/١١٣ و٢٥٣،وسورة النحل /٩١ : ﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء. . . ﴾ الخ . .

وقوله تعالىٰ : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ ، وقد ثبت أن الله يقصد بعد الله ورسوله عليًّا في كتابه الكريم ، وقوله لعلي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنه لا نبي بعدي ، وقول (ص) : أنا مدينة العلم وعلي

= وفي (٢١٧٥) كل نفس تخشر على هداها فمن هوى الكفرة فهو مع الكفرة ولا ينقصه عمله شيء .

وفي (٢٢٦٤) لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به .

وفي (٢٦٧٠) ما من دابة طائرٍ ولا غيره يقتل بدون حق إلاَّ سنخاصمه يوم القيامة .

(٣٢٠٧) يبعث الناس يوم القيامة على نياتهم .

بابها ، ونصه عليه بـالخلافـة ، أخص يوم غـدير خم ، ولقـد فرض الله بعـد كتـابه مـا سنه لهم رسـول الله قولاً وعمـلاً ، وفي سلسلة من الآيـات جـاءت في مختلف السور[1] .

---

(١) سورة آل عمران/٢٩ : ﴿ قل أطيعوا الله والـرسول فـإن تولّـوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ ، هو١٣٢ منه : ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلّكم ترحمون ﴾ .

النساء/٦٢ : ﴿ يا أيُّها الذين آمنـوا أطيعوا الله وأطيعـوا الرَّسـول وأولي الأمر منكم فإن تنـازعتم في شيء فردوه إلى الله والـرسول إن كنتم تؤمنـون بالله واليـوم الآخـر ذلـك خير وأحسن تأويلاً ﴾ .

الأنفال/٤٦ : ﴿ ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا . . . ﴾ الخ .

محمـد/٣٥ : ﴿ يـا أيُّهـا الـذين آمنـوا أطيعـوا الله وأطيعـوا الـرسـول ولا تبـطلوا أعمالكم ﴾ .

الحشر/٧ : ﴿ وما أتاكم الرَّسـول فخذوه ومـا نهاكم عنـه فانتهـوا واتّقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ .

النجم/٣ ـ ٤ : ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحي يوحى ﴾ .

الأحـزاب/٦ : ﴿ النبي أولى بـالمؤمنين من أنفسهم . . . ﴾ الـخ . . و٣٦ منـه : ﴿ ومـا كـان لمؤمن أو مؤمنـة إذا قضى الله ورسـولـه أمـراً أن يكـون لهم الـخيـرة مـن أمـرهم ومن يعصي الله ورسولـه فقد ضـلَّ ضلالاً مبينـاً ﴾ ، و٧١ منـه : ﴿ ومن يـطع الله ورسوله فقد فاز فـوزاً عظيمـاً ﴾ ، و٥٧ منه : ﴿ إن الـذين يؤذون الله ورسولـه لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ﴾ .

الجن/٢٣ : ﴿ ومن يعصي الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها أبداً ﴾ .

النســاء/٦١ : ﴿ وإذا قيـل لهم تعـالـوا إلى مـا أنـزل الله وإلى الـرسـول رأيت المنافقين يصدون عنـك صدوداً ﴾ ، و٧١ منـه : ﴿ ومن يطع الله والـرسول فـأولئك مـع الــذين أنعم الله عليهم من النبيين والصـديقين والشهـداء والصـالحين وحسن أولئـك رفيقاً ﴾ ، و٨٢ منه : ﴿ ومن يـطع الرسـول فقد أطـاع الله ومن تولى فمـا أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ .

الأعراف/١٥٦ : ﴿ الذين يتبعون الرسول الأمي الذي يجدونه مكتـوباً عنـدهم في التـوراة والإنجيل يـأمرهم بـالمعروف وينهـاهم عن المنكر ويحـل لهم الطيبـات ويحـرم =

فكـان كتـاب الله وسنـة رسولـه في الأقـوال والأعمـال خيـر أسس اجتمـاعية من سلوك وسيـرة صالحـة من المعـامـلات والمجـامـلات والحيـاة العلمية والعملية ، والقواعد والأصـول في مختلف شؤون الحياة المؤديـة بهم إلى السعـادة مادة ومعنىً ، من أوامـر ونواهي من محبـوب ومنفـور ومنـدوب ومحـذور ، ومن مؤتلف ومختلف ، ولقـد كـان رسـول الله (ص) في الحيـاة خيـر هادٍ وقـدوة صالحـة ومعلم حكيم حليم وقديـر هميم[1] رؤوف رحيم ، بلغ بمكـارم الأخلاق الـدرجات العلى حيث مـدحه الله عـزّ وجلّ في كتـابـه المجيد بقوله : ﴿وإنك لعلى خلق عـظيم﴾ حتى نجده يشيـد اشارة متنـاهية بمكارم الأخلاق فيقول مركزاً شريعته عليها[2] .

وإن الدين الذي أتى به إنما هو لإتمام مكـارم الأخلاق ، وإن شـريعته هي الشـريعـة السمحـاء[3] . وهـذا الـدين دين الإسـلام ، فقـد قـام على الوحدانيـة الكاملة التي بشـر بها نبي الإسـلام محمد (ص) ، فكـان هو بعـد وحدانية الله أحد أصولها لأنه الشـاهد والبشير والنذيـر ، والدليـل الهادي إلى الجنـة[4] ، والذي قـرن الله ولايته على الخلق بعـد ولايته عـز وجـل ، وقـد

= عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم . . .﴾ الخ . و١٨٨ منـه .

التـوبـة/٦٠ : ﴿ والـذين يؤذون رسـول الله لهم عـذاب أليم ﴾ ، و٦٢ منـه : ﴿ ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً. . .﴾الخ .

المجـادلة/٤ : ﴿ إن الـذين يحادون الله ورسـوله كبتـوا . . . . وللكافـرين عـذاب أليم ﴾ ، و٢١ منه : ﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأرذلين ﴾ .

(١) قال (ص): (٧٢٥): إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتـاً ولكن بعثني معلماً ميسراً.

(٢) قال (ص) : (٩٤٤) : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

(٣) قـال (ص): (١٠٩٢): بعثت بالحقيقـة السمحة ومن خـالف سنتي فليس مني.

(٤) قال (ص) : « ثلاثة من قالها دخل الجنـة : من رضي بالله ربـاً وبالإسـلام ديناً وبمحمـد رسولاً ، والـرابعـة لهـا من الفضـل كمـا بين السمـاء والأرض وهي الجهـاد في سبيل الله عزّ وجلّ » .

وجدنا مـا نزل في القـرآن في كرامـة رسول الله وحبـه وطاعتـه والتحذيـر من عصيـانه ومحـاورته وآذاه ، وأشـد العقـاب على من يحـارب الله ورسـولـه ، واللذين بـذلـك يسعـون في الأرض فسـاداً ، فجـزاءهم في الـدنيـا الصلب والقتل والنفي وفي الآخرة أشد العذاب ، لأن بمحـاربة الله ومحـاربة رسـوله يكـون بث الـرذائـل والـظلم والجـور والمـوبقـات تلك التي جـاء الإسـلام لـردمهـا ، وإقـامـة الفضيلة والعـدالـة والمسـاواة ، والبـر والـرأفـة ، والحب والـرفق ، كمـا كـانت هـذه القيم الإنسـانيـة صـريحـة في كتـاب الله وسنـة رسوله[1] .

٥ ـ **خليفـة رسول الله (ص)**[2] : هـذا الأصل الخـامس يقـره العقـل

---

(١) ١١٠٨ قـال (ص) : البركـة في إطارنـا فمن لم يرحم صغيـرنا ويجـل كبيـرنـا فليس منـا ، وقولـه (ص) في (٢٤١٤) : ليس منـا من غش مسلمـاً أو ضـره أو مـاكـره . وقال (ص) في (٢٩٢٢) : من غشنا فليس منا . المكر والخداع في النار .

(٢) قوله تعالى في آية الـولاية : ﴿إنمـا وليكم الله¹ ورسولـه² والذين آمنـوا³ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ ، سورة المائدة ، الآية : ٥٤ و٦١ .

والثـالث يختص بها علي عليـه السلام ، راجـع بـذلـك حيـاة علي في مـوسـوعتنـا (المحـاكمات) لتـرى الإسناد ، وآيـة الطهـارة قال تعـالىٰ : ﴿ يـريـد الله ليـذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيـراً ﴾ سورة الأحـزاب/٣٣ . وهي آية الكسـاء وتخص الخمسـة : محمـد (ص) وعلي وفـاطمـة الـزهـراء والحسنين (ع) ، وتـرى دلائلهـا في موسوعتنا كما سبق ، وآيـة المباهلة قـوله تعـالىٰ : ﴿ فمن حاجك فيه من بعـد ما جـاءك من العلم فقل تعالوا ندعو أبناءنـا وأبناءكم ونسـاءنا ونسـاءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهـل فنجعـل لعنة الله على الكـاذبين ﴾ آل عمران / ٦٠ ، وآيـة التبليغ قـوله تعـالىٰ : ﴿ يا أيُّها الـرَّسول بلغ مـا أنزل إليـك من ربك وإن لم تفعـل فما بلغت رسـالته والله يعصمـك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ المائدة/٦٦ ، والآية ٣ من سورة المـائدة ، آيـة الإكمـالٓ : ﴿ اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكـم الإسـلام دينـاً فمن اضـطر في مخمصـةٍ غيـر متجـانف لإثمٍ فـإن اللّه غفـور رحيم ﴾ ، ففي آيـة الولاية أثبتت ولايـة علي بعد رسـول الله على المسلمين وأبدت ذلـك الأحـاديث المتـواترة =

والكتـاب والسُنّـة ، ومن تقمصهـا قهـراً بـاسم الاجمـاع فقـد خـالف الله ورسـوله ، فـالعدالـة الإلّهيـة التي قضت بـإرسـال الـرسـل لهـدايـة البشـر ، وتـوجيههم إلى الصراط المستقيم عـونـاً للعـاقـل من ذوي الآراء ، وتـذكـرة للغافل الضال في الأهواء ، يقضي بـإكمال رسـالته للخلق بعـد دعوة رسـوله إليه كخليفة يعقبـه ووصي ينصبه ، يؤوِّل تنـزيله ويوضـح سبيله ، ممَّن جلَّله بـالكرامـة ، ورفع بعـد رسولـه مقامـه ، فبدىء بـذلك كتـاب الله واضحاً في آيـاتـه ووصـايا رسـول الله مترادفـة في ذاتـه وصفـاتـه[1] ، ممن لم يسبقـه للإيمان سـابق ، ولم يجاريـه في علمه وقضـائه وتقـواه وفضائله لاحق ، من أطهـرهم وأزكـاهم وأنبلهم وأمضـاهم وأقـربهم للنبـيّ (ص) ، وأذكـاهم وأشجعهم وأولاهم ، نفس رسـول الله ، وزوج ابنته الـطّاهـرة الـزهـراء وأبـو عتـرته ممن جمعتهم آيـة الكساء وآيـة الطّهـارة ، ومن تجمعت فيه مؤهـلات الزعامة العادلة الطبيعية ، وخصائص الإمام الخفية والجليـة أبو الأئمـة الهداة والـمنـتخـب الأوحــد من الله ورســولــه ومـن أجـمـعت عـليــه الأمــة فـي المعضـلات ، وكفرت بـه الغلاة[2] والقـلاة وخاصمـه كل كـافـر ومنـافق من البغاة[3] .

= من السنـة والشيعة ، والآيتين الأخيـرتين وهي آية التبليـغ والإكمـال ، وهـاتـان نـزلت في غـدير خم للتبليـغ يأمـر بها رسـول الله (ص) لنصب علي خليفـة ووليـاً للمؤمنين بعـده ، وبعـد نصبه فنـزلت آية الإكمـال في إتمام الـدين ، راجع الأسنـاد المثبتة العقليـة والنقلية في إمـامة علي بعـد رسول الله وإمـامة أولاده الاحـد عشر بعـده واثباتهـا في الكتـابين من حياة علي من موسوعتنا موسوعة المحاكمات أخص في غدير خم .

(١) جـاء في الكتابين أعـلاه من موسـوعتنا أوامـر رسول الله في اتبـاع علي منها : حديث الثقلين وحديث المنزلة ، وحديث الطير ، وحديث السفينة وغيرها كثير.

(٢) قـول رسول الله (ص) لعلي : يـا علي هلك فيـك اثنـان محب مغـال ومبغض مقال .

(٣) قـوله (ص) لعلي عليـه السلام . يـا علي لا يكـرهـك إلاَّ منـافق (وفي روايـة كافر) ولا يحبك إلاَّ مؤمن ، راجع موسوعتنا الولاية والمحاكمات ، هذا وقـد وجدنـا عليًّا ينتخب بإجماع الأمة خلاف غيره .

ولقد نزلت الآيات الجمة في رسول الله (ص) وما أمر ونهى ، ووجوب اتباعه كوجوب الكتاب ، فالآيات التالية وغيرها تثبت ذلك : قوله تعالىٰ : ﴿ وما آتاكم الرَّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهو ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحي يوحى﴾ وقد مرّت في أصل النبوة (الأصل ٤) .

كما أن هناك آيات وأحاديث نبوية تثبت أن عترة رسول الله (ص) أخص منهم الحسنين والأئمة من بعدهم هم أولي الأمر الذين أمرنا الله ورسوله باتباعهم يثبت ذلك كما مرّ في آية الطّهارة (آية الكساء) وحديث الكساء قد مرّ ذكرها ، وآية المباهلة والأحاديث ، أخص منها حديث الثقلين قوله (ص) : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما فلا تضلوا . وحديث السفينة ، قوله (ص) : مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وهناك أحاديث جمّة أخرى مثبتة ، راجع بها موسوعتنا موسوعة الولاية والمحاكمات ، أخص الجزأين في أمير المؤمنين علي (ع) ترى فيها الأحاديث بإسنادها ، وعلي وبنيه من أصدق وأزكىٰ وأعلم وأتقى أفراد الأمة بعد رسول الله (ص).

وهناك التاريخ وهناك العقل والمنطق يحكم بأن الرائد لا يكذب أهله وإن سلالة النبوة العلماء المتقون أحق وأحرى بالولاية والإمامة ، وهم أحق وأعلم بحقائق الأحاديث والسنّة التي منع تدوينها الخلفاء الثلاثة أبو بكر (رض) وعمر (رض) وعثمان (رض) ، وأعقب ذلك العهد الأموي الذي افتتحه معاوية ألد أعداء أهل البيت ، والذي أدخل وأخرج من الأحاديث والروايات ووضع وزيف وغيّر وبدل وقد اشترى من بعض الصحابة والتابعين من رجال ونساء ضمائرهم ودينهم ووضع عشرات الآلاف من الأحاديث والروايات الكاذبة حتى عهد عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموي ، ومن المؤسف دوّن كلما أدخله وزيفه عهد معاوية فسبب المذاهب .

راجع الاسناد في موسوعتنا المحاكمات[1] حتى لتجد المذاهب والفرق في الدين الإسلامي القائم على الكتاب والسنّة بسبب ما أدخل ووضع في تفسير مجمل الكتاب في العهد الأموي المعادي لآل بيت الرسالة ، بل الدين الإسلامي الحنيف ، وما دس وزيّف وغيّر من أحاديث لرسول الله (ص) حتى إذا جاء العهد العباسي العدو الثاني لآل بيت رسول الله وآل علي المرتضى ، فدون الموضوعات من العهد الأموي ، ويكفينا ما فعله خلفاء بني امية وبني العباس في المطاردة والقتل والتعذيب بآل البيت وتابعيهم لاخفاء الحقائق ، ورغم ذلك فقد حرص الأئمة من نسل رسول الله ومن علي وفاطمة وصحابته على تدوين السنة الحقيقية وتفسير القرآن الصحيح ، وبقت أكثر الأمة جاهلة وتابعة لملوكهم المئات من السنين وسائرة على نهج أئمة الضلال التابعين للملوك والخلفاء الغاصبين الغانمين ، قد انطبعوا على الباطل المزيف وتابعوا هوى الخلفاء إلاّ من استمر يستقي أخبار وأحاديث الرسالة وتفسير وتأويل الكتاب من مصادر واقعية حرصت عليها النخبة من آل البيت من آل الرسول ، وأفضل الصحابة التابعين .

ونحن إذا راجعنا بدقة وحكّمنا المنطق السليم ووقائع التاريخ أدركنا الحقائق ووجدنا أن كلما نقل من آل البيت أقرب انطباقاً للمنطق والمعقول ، وأخص وان العلم والتقوى من أجل ما يجب أن تتبع ، فالولاية في الإسلام لله ولرسوله ولعلي وبنيه نصاً ومنطقاً ، وبحكم الكتاب والسنّة ، وإن العلماء المتخصصين في الفقه والأصول الإسلامي الحريصين عليه ذاتاً لا بالاغراء من تطميع وتخويف أحق أن يتّبعوا وأن التقوى بعد العلم وأصول العدالة من أهم ما يجب التمسك به[2] .

---

(١) راجع الأسناد في الجزأين : (مقدمة من مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول) بجزئيه للحجة العلامة المحقق السيد مرتضى العسكري.

(٢) كما أشار إليه كتب السنة والجماعة وما جاء بإسناده فقهاء أهل البيت .

وإن الخلافة الإسلامية والزعامة السياسية والدينية في الإسلام يجب أن تسير كما كانت على عهد رسول الله ، وأنه أولى الجميع بالزعامة هم الحاملين للفقه والأصول الإسلامية العالمين العادلين المتقين ، هؤلاء يجب على الأمة اتباعهم ، وان النخبة منهم هم الذين ينتخبون الأعلم والأتقى والأليق للإدارة والأشجع ، وأن يستمر ذلك إلى الأبد ، وأن يكون هذا المنتخب دوماً قدوة ومتبعاً ومسنداً من أعلم علماء الأمة والخاصة والعامة والسير حثيثاً كما كان في عهد رسول الله (ص) في قبضته كل السلطات، يُؤيده من حوله باسم الشورى أجلّ العلماء المتقون والأخصائيون في بقية الشؤون ، ذلك لإقامة حكومة إسلامية واقعية قانونها الأساسي يرتكز على الكتاب والسنة والاجتهاد العادل المستدل المستبين منها في كل فرعٍ يقوم على كاهل العلم والعلماء ذوي التقوى ، وأن تكون الزعامة دائماً منتخبة حسب الأصول الشرعية بانتخاب الأعلم الأتقى والأقدر على إدارة الأمور القائم على مشورة ذوي الخبرة والتجربة في كافة الشؤون العلمية والعملية التي تحتاجه الأمة على قوله تعالىٰ : ﴿ واسألوا أهل الذكر . . . ﴾ الخ . وأن تكون العدالة والمساواة والبر والإحسان والمحبة ومكارم الأخلاق من خصائص هذه الزمرة وزعيمها فهو الأب وأفراد الشعب بنيه واخوته يغار عليهم ويجاهد في سبيلهم ويصغي إلى مطالبهم فهو سيدهم حقاً وخادمهم في الكبيرة والصغيرة[1] ، ولسوف نذكر فيما يلي خلاصة فيما جاء .

الحكومة الإسلامية :

يلزم لولي الأمر الفقيه العلم والعدالة على حد قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، قوله[2] : ـ

---

(١) كما مر وذكرته في موسوعة المحاكمات في كتاب أبي بكر حول أولي الأمر ، ووجوب تدوين السنة النبوية .

(٢) كما ورد في نهج البلاغة .

« اللهم إني أول من أناب وسمع وأجاب ، لم يسبقني إلاَّ رسول الله (ص) بالصلاة ، وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل ، ولا الجاهل ، فيضلُّهم بجهله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفاءه ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بينها دون المقاصد ، ولا المعطّل للسنة[1] فيهلك الأمة » . وما جاء في نهج البلاغة أخص عهد مالك الأشتر[2]

الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا : قيل : يا رسول الله ودخولهم في الدنيا قال اتباع السلطان : فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم .

وأخرى في الكافي عن جعفر بن محمد الصادق حفيد رسول الله (ص) قال : قال رسول الله (ص) : الفقهاء أُمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا ، قيل : يا رسول الله ودخولهم في الدنيا؟ قال : اتباع السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم » .

ومعنى أُمناء الرسل في اجراء القوانين وقيادة الجيوش وإدارة الجامعة والدفاع عن الوطن والمحكمة والقضاء .

قال علي عليه السلام لشريح القاضي : يا شريح ! قد جلست مجلساً لا يجلسه إلاَّ نبيٌّ أو وصي نبي أو شقي »[3] .

---

(١) وقد عطل تدوين السنة الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) حتى جاء معاوية وأدخل وأخرج ووضع وزيف مما سبب الفرق والمذاهب وضياع الحقائق وفي مقدمة المحرفين أبو هريرة الذي رفعوا مقامه وطهروا ضريحه (راجع كتاب شيخ المضيرة ـ أبو هريرة ـ للعلامة المصري أبو رية) وكان سبب كل ذلك تعطيل الخلفاء لتدوين السنة والأحاديث النبوية .

(٢) راجع عهد مالك الأشتر ووصايا الإمام علي لمالك الأشتر يوم ولاه مصر .

(٣) جاء في وسائل الشيعة ، كتاب القضاء ، الباب الثالث ، الحديث الثاني ، وفي « من لا يحضره الفقيه ج ٣ ، ص ٤ ، رواه مرسلاً .

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام حفيد الرسالة ، وأعلم أهل زمانه في الفقه وأتقاهم قال : اتقوا الحكومة فإن الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين لنبي أو وصي نبي[1] .

والآيتين : ـ

١ ـ ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً ﴾ .

٢ ـ ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم[2] فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ نساء ٥٨ و٥٩، و٦٣ منه قوله تعالىٰ : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به . . ﴾ .

وعن محمد بن حسن بإسناده ، عن محمد بن علي بن محبوب ، عن أحمد بن محمد ، عن حسين بن سعيد ، عن أبي الجهم ، عن أبي خديجة ، قال : بعثني أبو عبدالله عليه السلام إلى أحد أصحابنا فقال : قل لهم : إيّاكم إذا وقعت بينكم الخصومة أو تراد في شيء من الأخذ والعطاء أن تحاكموا إلى أحد من هؤلاء الفساق ، اجعلوا بينكم رجلاً قد عرف حلالنا وحرامنا فإني جعلته عليكم قاضياً وإيّاكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر » .

وعن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن

---

(١) كما رواه الصدوق بإسناده .

(٢) كما جاء في آية الولاية : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ .

محمـد بن خالـد ، عن أبي البحتري ، عن أبي عبـدالله عليه السـلام قال : « إن العلماء ورثة الأنبياء»[1] ، وذلك ان الأنبيـاء لم يورثـوا درهماً ولا دينـاراً وإنمـا أورثـوا أحـاديث من أحـاديثهم فمن أخـذ بشيء منهـا فقـد أخـذ حقـاً وافـراً ، فانـظروا علمكم هذا عمّن تـأخذونـه ، فإن فينـا أهل البيت في كـل خلفٍ عـدولاً ينفـون عن تحـريف الغـالين وانتحـال المبـطلين وتـأويـل الجاهلين .

وقـال عليه السـلام : من سلك طريقـاً يـطلب فيه علمـاً سلك الله بـه طريقاً إلى الجنة .

نقل في عوائـد النراقي عن الفقـه الرضـوي : « منزلـة الفقيه في هـذا الوقت منزلة الأنبياء في بني إسرائيل » .

وعنـه أيضـاً نقـل عن جـامـع الأخبـار ، عن رسـول الله (ص) قـال : افتخر يوم القيامة بعلماء امتي وعلماء امتي كسائر أنبياء قبلي .

وجـاء في المستدرك عن غـرر قـولـه : العلمـاء حكـام على النـاس . وعن تحف العقـول : تحت عنـوان مجـاري الأمـور والأحكـام على أيـدي العلمـاء . ذكر عن سيـد الشهداء الحسين عن أبيـه علي عليـه السـلام أولـه الأمـر بـالمعـروف والنهي عن المنكـر . والقسم الآخـر عن الحسين عليـه السلام أورده فيما شرح فيه علة جهاده ضد بني امية قوله :

« اعتبـروا أيّهـا النّـاس بمـا وعظ الله بـه أوليـاءه عن سـوء ثنـائـه على الأخيـار إذ يقـول : **﴿ لـولا ينهـاهم الـربـانيـون والأحبـار عن قـولهم الاثم وأكلهم السحت لبئسمـا كانـوا يصنعون ﴾** المـائدة ٦٣ و٨١ و٤٧ . وقـال : **﴿ لعن الـذين كفـروا من بني إسـرائيـل ﴾** إلى قـولـه : **﴿ لبئسمـا كـانـوا يفعلون ﴾** ، وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الـظلمة الـذين بين أظهرهم المنكر والفساد ، فلا ينهونهم عن ذلك رغبـة فيما كـانوا ينـالون

---

(١) الوسائل : ١٨/١٠٠ الرواية ٦ الكافي ٣٢/١ .

منهم ورهبة مما يحـذرون والله يقول : ﴿ فـلا تخشوا النـاس واخشوني ﴾ . وقـال : ﴿ المؤمنون والمؤمنـات بعضهم أوليـاء بعض يـأمـرون بـالمعـروف وينهون عن المنكر ﴾ التوبة/٧٢ .

فبدأ الله بالأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر فـريضة منـه لعلمه بـأنها إذا أديت وأقيمت استقـامت الفرائض كلهـا هينها وصعبهـا . وذلك أن الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكـر دعاء إلى الإسـلام مع رد المـظالم ومخـالفـة الـظالم وقسمة الفيء والغنـائم وأخذ الصـدقات من مـواضعهـا ووضعهـا في حقها » .

« ثم أنتم أيتها العصابـة عصابـة بالعلم مشهـورة ، وبالخيـر مذكـورة ، وبـالنصيحـة معـروفـة ، وبـالله في أنفس النـاس مهـابـة ، يهـابكم الشـريف ويكـرمكم الضعيف ، ويؤثركم من لا فضـل لكم عليـه ، ولا يـد لكم عنـده تشفعـون في الحوائـج إذا امتنعت عن طلابهـا ، وتمشون في الـطريق بهيبـة الملوك ، وكرامة الأكابر ، أليس كل ذلك إنمـا نلتموه بمـا يرجى عنـدكم من القيـام بحق الله ، وإن كنتم عن أكثـر حقـه تبصـرون ، فـاستخففتم بحق الأمة . فأما حق الضعفاء فضيعتم ، وأمـا حقكم بزعمكم فـطلبتم ، فلا مـالاً بـذلتموه ، ولا نفسـاً خاطـرتم بها للدين خلقهـا ، ولا عشيـرة عـاديتمـوه في ذات الله ، أنتم تتمنون على الله جنّته ومجاورة رسله وأمانـاً من عذابـه ، لقد خشيت عليكم أيهـا المتمنون على الله أن تحـل بكم نقمـة من نقمـاءه لأنكم بلغتم من كـرامة امـة الله مـنزلة فضلتم بهـا ومن يعـرف بـالله لا تكـرمـون ، وأنتم بالله في عباده تكرمون .

وقـد ترون عهـود الله منقوضـة فـلا تفـزعـون وأنتم لبعض ذمم آبـائكم تفزعون ، وذمـة رسول الله (ص) محقـورة والعي والبكم والزنى في المـدائن مهملة لا تـرحمـون ولا في منـزلتكم تعملون ولا فيهـا تعنـون ، وبـالادهـان والمصـانعة عنـد الظلمـة تأمنـون . كـل ذلـك ممـا أمـركم الله بـه من النهي والتنـاهي وأنتم عنه غـافلون ، وأنتم أعظم النـاس مصيبة لمـا غلبتم عليه في

منازل العلماء لو كنتم تسعون . ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه ، فأنتم مسلوبون تلك المنزلة ، وما سلبتم ذلك إلاّ بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد النية الواضحة ، ولو صبرتم على الأذى ، وتحملتم المؤونة في ذات الله ، كانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع ، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم واستسلمتم أمور الله في أيديهم ، يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات ، سلطهم على ذلك قراركم في الموت واعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم ، ما سلمتم الضعفاء في أيديهم ، فمن بَين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشته مغلوب ، يتقلبون في الملة بآرائهم ويستشعرون الخزي بأهوائهم ، اقتداءً بالأشرار وجرأة على الجبار ، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصنع ، فالأرض شاغرة وأيديهم فيها مبسوطة ، والناس لهم خول ، لا يدفعون بدلاً من فيء بين جبار عنيد ، وذي سطوة على الضعفة شديد ، مطاع لا يبرق المبدىء المعيد ، فيا عجباً وما لي لا أعجب والأرض من غاشٍ غشوش ، ومتصدق ظلوم ، وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم ، فالله الحاكم فيما فيه تفازعنا ، والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا اللهم إنك تعلم انه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ، ولا التماساً في فضول الحكام ، ولكن نرى المعالم من دينك ونظر الاصلاح في بلادك ، ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسنتك وأحكامك ، فإنكم تنصرونا وتنصفونا قوى الظلمة عليكم ، ومن عملوا في اطفاء نور نبيكم ، وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير»[1] .

وقال : « إذا ظهرت البدع فللعالم أن يظهر علمه وإلاّ فعليه لعنة الله » .

---

(١) تحف العقول : حسن بن علي بن شعبة الحراني محدث القرن الرابع الهجري ص ٢٣٧ وراجع موسوعتنا الولاية والمحاكمات المجلد الثالث والرابع .

أولي الأمر : كما جاءت به الآية الشريفة : ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾ سورة النساء ، الآية : ٥٨ و٥٩ ، ومثلها آية الولاية : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾ وثبت أن الولاية بعد الله ورسوله إنما هي لعلي بحكم هذه الآية(١) .

فمن هم أولي الأمر ، وقد تحدثنا فيما مرّ عن الكتاب والسنة وعدم جواز التحاكم إلى الظلمة في قوله تعالىٰ : ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما انزل ما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به** ﴾ فمن هو الطاغوت سوى امراء الجور فهم وإن تغلبوا على الحكم فليسوا حسب الآية أعلاه من أولي الأمر الذين فرض الله طاعتهم وولايتهم .

ونحن إذا دققنا في الكتاب والسنّة النبوية والغاية التي أرسل بها أولوا العزم هو أن تسود العدالة بين البشر ، وأن يحكم الناس خيارهم كما مر في صفة القاضي والحاكم باعتباره إما نبي أو وصي نبي ، والآية أعلاه تمنع التحاكم عند الطواغيت الظلمة الذين لا يحكمون بما أنزل الله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ وفي أخرى هم الفاسقون ، وفي الثالثة هم الظالمون ، فكل القواعد والأصول الدينية

---

(١) راجع الآيتين ٥٨ و٥٩ من سورة النساء : ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾ ، وقوله فردوه إلى الله : أي إلى كتاب الله وسنّة رسوله وأولي الأمر الذين يتبعون ما أمر الله به وينهون عما نهى عنه . وأخص منهم من نص عليه رسول الله للولاية والخلافة بعده وما أشار إليه القرآن .

والوصايا من الله ورسوله تدل دلالة أكيدة أن أولي الأمر إنما هم خيرة الخلق من الناحية العلمية والتقوى المستكملين لشروط الدين للفصل العادل بين طبقات البشر وإدارتهم ، وهذا ما يحكم به العقل والفطرة ، وخلاف ذلك فلا يكون من أولي الأمر المفروضة طاعتهم إذ كيف يجوز اطاعة الكافر أو الفاسق أو الظالم المبيح محارم الله والعاصي لأوامر الله ، لمحض أن بيده السلطة الزمنية والمتغلب بالقهر والغلبة سواء تظاهر بالصلا ولم يعمل بها أو القسر والفساد ، فهو مبيح لشهواته الضالة ، وسيان عنده الفضيلة والرذيلة ، ما دامت وسيلة تصيب أهدافه وتشد أحلافه ويدرك هواه ويبلغ ما نواه . وعليه تنطبق الآية : ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به** ﴾ .

فولي الأمر بعد الله ورسوله هم أولو الأمر الذين نصبهم الله نصباً بالذات أو عناهم بالصفات ممن تجمعت فيه أصول الزعامة الدينية كما مرّ[1] .

تلك كانت الأصول الإسلامية لأصل العقيدة الإسلامية المنبعثة من ذات الوحدانية وصفته العادلة القائمة عليها والمنبعثة منها كتاب الله وسنة رسوله ، كما نرى أصولاً كثيرة من أوامر ونواهي وأنظمة وحدود لشتى الشؤون الاجتماعية ، من علمية وفنية واقتصادية وصحية وإدارية وأخلاقية ونفسية ، تربوية وتهذيبية وتعليمية وطبيعية وفطرية ، وشتى مسالك الحياة الخاصة والعامة ترمي كلها للحياة السعيدة وشمول الرفاه والاعتدال واستتباب الأمن والسلام للفرد والجماعة ، واحترام نواميس الحياة الطبيعية والاهتداء بالعقل الواعي وتنميته بالعلم والتجربة والاستفادة المشروعة المعتدلة من الغرائز القائمة في البدن دون افراط وتفريط ، واغراق وتثبيط .

---

(١) راجع الجزأين الثالث والرابع من موسوعتنا (المحاكمات والولاية).

والاستعانة بأنظمة الكون وقوانين الحية الفطرية المشابهة وأخصها القائمة في بدن هذا الإنسان الحي[1] من مخ ومخيخ وقلب ورئتين وكبد وكليتين ودورة دموية وأجهزة عصبية وهاضمة وحواس وعضلات وغيرها وآثارها في الجسم والروح ومكانتها وبعد أثرها وشرف مقامها وتعاون أجزائها بعضها لبعض دون أن تحمل في طياتها من الصفات الممقوتة من حسد وغيره ، وأنانية وكبر وتنكر وتغاير ، ونفاق وشقاق ، وخدع وتكالب ، وحرص وطمع بين أفرادها وجماعاتها ، أو قسوة أو انتقام وتشفي وعداء ، فلا ترى بينها اعتداء وظليمة فيلزم جزاءً لظالم أتى بجريمته بل كلها دائبة بالسعي في وظائفها بحد سواء ، فإن وجدت قصوراً أو تجاوزاً فلعلة طارئة وعارضة خاطئة يلزم علاجها أو عطب يلزم ترميمه ، وإن أقصيت حجيرة أو حجيرات فليس لقصاص أو اغيثت اخرى لا لمحاباة واختصاص ، بل كلها خدمة صادقة ومصالح سلامة الجسم مطابقة جزاؤها وثوابها الاعتدال في سيرها المنتظم وعقابها فيما يحصل لفردها وجمعها من الإخلال والحق المهتضم ، ليست كآلة صماء غير ذات إحساس وروح ، لا بل لها إحساسها ومن فوق من يديرها ويرعاها في مصالحها الخاصة الفردية والعامة الجماعية ، أحكمت مبانيها ونظمت مسالكها ومعانيها ، هذا المدير يستمد منها قوته ويحصل منها جذوته فإن قعست قعس وإن تعست تعس ، فإن استهان استهانت ، وإن توانا توانت ، وإن جد جدت أو شد شدت ، قد أحكم الرقيب الحكيم أجزائها وأتقن أعضائها وحدد أدوارها وأعمارها ، وقدر اقبالها وادبارها . ذلك مثل واحد من أنظمة الكون أقربها لنا يقوم

---

(١) ولقد تكلمنا في كتابنا الحكومة العالمية المثلى عمّا يحويه جسم الإنسان من حكومة عالمية مثلى أفرادها الحجيرات وتجمع في حكومتها بهذا البدن كل عناصر الحياة من مراكز الوعي والحركة والحس والشعور من ارادية وغير ارادية دائبة على عملها منظمة منسجمة لا يختل وزنها ولا يضطرب امنها إلّا بمخل داخلي يخرجها من الاعتدال أو خارجي يؤدي بها إلى الإخلال ، وقد بدأنا خلاصة من القانون الأساسي الطبيعي في أوائل هذا الكتاب واتبعناه بالقانون الأساسي الإسلامي .

عليه أودنا وتستتر فيه عمدنا ونعود لنذكر أصولاً جديدة في شتى حياتنا من قانوننا الأساسي الكتاب والسنة مستعينين بذوي الذكر من الأئمة ونوابهم في رفع معضلاتنا على حد الآية الشريفة من سورة النحل/٥ والأنبياء/٧ : **﴿ ما أرسلنا من قبلك إلاَّ رجالاً نوحي اليهم فاسألوا أهلَ الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾** .

الثانية : وهي الأصول التي تشمل الفروض الثمانية : « الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والخمس ، والحج ، والجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » ، وتركها يستوجب الفسوق في التارك وتشمله الآية : **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الفاسقون ﴾** ، وكما مرّ وذكر تتبع ذلك ترك حدوذ الله في أوامره ونواهيه الواردة في الكتاب والسنة . وقد مرّت وذكرناها في كتابنا الحكومة العالمية المثلى ، وبهذا الموجز نكتفي ونتعرض لبعضها مجدداً في الأصول الاجتماعية .

الثالثة : ما ورد في الكتاب من أوامر ونواهي وقد مرّ ذكرها .

الرابعة : وفيها نسرد أهم الأصول الاجتماعية الانسانية التي تمنع الظلم وتستوجب الحياة السعيدة الدنيوية والأخروية والسيرة الاجتماعية الرفيعة في مجموعة من الأصول نذكرها فيما يلي بالتالي .

الأصول الاجتماعية وتبدأ :

١ ـ الأصل الأول في مكارم الأخلاق

هو من أهم المصادر الاجتماعية تضم خيرة المزايا والكرائم الإنسانية من ندب ومواعظ وإرشادات من أوامر ونواهي منطقية سليمة بحكم العقل ، تظهر على أقوال وأفعال الحكماء والفلاسفة ، أو تأتي وحياً سماوياً في الكتب السماوية بغية هداية البشر إلى الحياة السعيدة ، وانقاذه من المساوىء والرذائل وابعاده عن التعاسة .

وربما اشتمل هذا الأصل على اصول اجتماعية قائمة بذاتها ، يلزم بحث كل منها بصورة انفرادية ، رغم انخراطها لهذا الأصل العام ، وسنوردها بصورة مجملة تحت بحث طبيعي اجتماعي منطقي عام ، ثم ندلي بما ورد منها في الكتب السماوية أخص القرآن المجيد المعبر عن اصدق وابلغ ما أوحى الله على لسان رسله وأنبيائه لهداية البشر ، يقصد سعادته ، من أوامر تارة ونواهي أخرى ، ثم بعدها ذكر السنة النبوية القولية والعملية التي جرت على أقوال وأفعال رسل الله ، وثم أكملها المتمثلة في مناهج خاتم أنبيائه محمد (ص) الذي مجده في القرآن الكريم بقوله تعالىٰ في سورة القلم الآية ٤ ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ ، وما ورد على لسانه : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ومنه يظهر أن مكارم الأخلاق تشمل كافة الفضائل البشرية من أوامر بالمعروف ونواهي عن المنكر، وهي منهج اجتماعي أصيل لهداية البشر للحياة الدنيوية

والأخروية الحميدة ، وتابع خلفاء رسول الله من آل بيته وصحابته المخلصين هذه المكارم في أقوالهم وأفعالهم التي سنذكر موارد منها من أحاديثهم ، ووصاياهم ، وخطبهم ، في مقدمتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أبو العترة الطاهرة ، وأخو رسول الله وزوج بضعته .

فالأوامر والنصائح والندب الواردة منطقياً هي الاعتدال والاتزان في كافة الغرائز البشرية دون افراط وتفريط فيما يخص الفرد بالنسبة لنفسه ، وثم بالنسبة لغيره من ورع وتقوى وزهد وبر وإحسان وكرم واختيار الأحسن من الأفكار والأقوال والأفعال ، والانفاق للخير وسد عوز المعوزين ، والتواضع والأدب تجاه أوامر الله ورسله وكتبه وأولياءه وأودائه وتجاه أوامر الآباء والأمهات والمربين والمعلمين والحكماء المرشدين ، ورعاية التطهير البدني والنفسي لكسب الصحة ورفع الأمراض والأوباء الجسمية والنفسية والعقلية ، وعدم القاء الشبه والزيغ في النفوس بعرض المتشابهات بقصد خلق المفاسد وخلق الشكوك والانحراف في النفوس الضعيفة ، والقيام بالشفاعة الحسنة وبث روح الإصلاح ونشر المعارف والعلوم وبث روح الوفاق والالفة والمحبة ، وترويج الصفات الحسنة والمزايا الزكية ، ونشر الروح الانسانية ، من الحلم والصبر والحشمة وعزة النفس المقرونة بالتواضع وكظم الغيظ والدعوة للحكمة والموعظة الحسنة والإرشاد والسلوك الحسن في المجاملات والمعاملات والمعاشرة مع كافة الطبقات ، ومجالسة الحكماء والفضلاء والعلماء (ومجانبة المغرضين والمنافقين والمعتدين والجهلة) وترويج الفضيلة وأتباعها أينما حلت ، تلك بغض ما يقره العقل في الأمور المثبتة من أمر وتشويق ونصيحة وندبه صالحة، ووضع الشيء دوماً في محله سواءً أكان ذلك مادياً أو معنوياً ، وبالتالي جهاد النفس والغير دوماً لكل صالح .

أمّا في الموارد المنفية والمنهية عنها والمجرمة من الصفات والمزايا الممقوتة التي تشمل الرذائل والموبقات ، التي تضم كل خصلة شائنة ،

تلك التي يأباها العقل ويردها بالنهي والنفي ، وتلك أيضاً مادية ومعنوية ، يجب الابتعاد عنها ، كالبخل والتبذير والحسد والجشع والحرص ، والظلم والاعتداء والتجاوز على النفس والغير ، ومنع الافراط والتفريط في تلبية الغرائز على اختلافها نلك التي ان زادت فهي سيئة وان نقصت فهي سيئة ، كالشهوة الجنسية وشهوة الطعام وحب الذات لجمع المال في موارد الجشع والهلع والحرص ، وكسب السلطة من أي طريق مشروع وغير مشروع ، والتبذير والإسراف ، والتحريف والجعل والالباس والنفاق وبث بذور الشقاق ، والتفرقة ، والعداء والكراهية بين الأفراد والجماعات ، ونشر الأكاذيب والدعايات الفارغة الكاذبة ، ونشر الخلاعة البدنية والروحية لبلوغ أهداف غريزية مفرطة ، ونشر الخرافات ، وغرس بذور الفتن ، والمنابزات والأنانيات الفردية والقبلية والعنصرية والجنسية والعقائدية ، وخلق سوء الظن والشحناء في كافة الموارد الاجتماعية ، والتهكم والاستهزاء والسخرية من الآخرين وشتمهم وإهمال تطهير الجسم والروح من الأوساخ والأدران الباعثة للأمراض والآلام البدنية والنفسية والروحية . ونبذ الشره وروح البغضاء والعصيان تجاه الآباء والمربين ، والابتعاد عن الجهل ومحيطه والجهلاء ومحيطهم ، والابتعاد عن كافة الأمراض البدنية والروحية لاتقاء شرها ، والدعوة لوقايتها ومعالجتها ، بل الحرص على ذلك بيد الاخصائيين ، وإعطاء الأمور دوماً بيد الاخصائيين ، ووضع الشيء دوماً في موضعه ومحله لا في غير موضعه ، فهذا دليل الجهل كما أن الأول دليل العقل ، وكما أن الأول يساعد على تقدم عجلة التقدم الثاني يؤخرها .

وبالتالي جهاد النفس والغير على ترك كل رذيلة أو سيئة أو مايؤول لذلك ، وفي مقدمتها عدم الشرك بالله لأنه الظلم الأعظم وبؤرة المظالم والمفاسد إذ يترك النفس والغريزة البشرية تتورط وتنغمس بالموبقات دون حذر وتقتل الضمير والوجدان .

نعم ويجب الابتعاد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن وبجانبه

الجهل والجهّال والمنافقين والمغرضين ومجانبة كل ما يضر بالنفس والغير مادياً ومعنوياً .

وأدناه نبذ ممّا ورد في القرآن المجيد ممّا يلزم اتباعه من موارد مثبتة وما يجب الامتناع عنه في موارد منفية من دعوة وأمر ايجابي للسلوك الأخلاقي الحسن والامتناع عن السيئة بغية الوصول إلى الحياة الاجتماعية والفردية المادية والمعنوية الهانئة وخلق مجتمع إنساني سعيد بادئين بسورة الفاتحة الرامية للحمد والثناء وللذات الوحدانية المبدعة وطالبين منه الصراط المستقيم وما أبدع عمّا قوله تعالى :

١ ـ **الحمد لله رب العالمين * الرَّحمٰن الرَّحيم * مالك يوم الدين * إيّاك نعبد وإيّاك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالين** . وفي السورة الإقرار بالخالق الأوحد المعبود الوهاب الرحيم ، وطلب العون منه لهدايتنا إلى مكارم الأخلاق .

٢ ـ ويبدأ القرآن الكريم بالآيتين الثانية والثالثة من سورة البقرة بوصف وتمجيد المتقين والتقوى أم مكارم الأخلاق ، والآية ٨٣ منه ذكر الوصايا الخلقية الثمينة الواردة في التوراة لبني إسرائيل ، قوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلاّ الله ، وبالوالدين إحساناً وذي القربىٰ واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيمو الصلاة وآتوا الزكاة. . .** ﴾الخ .

٣ ـ وما أجمل وصفه تعالىٰ في البر تلك الميزة الخلقية الرفيعة في الآية ١٧٧ من سورة البقرة ، قوله تعالىٰ : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ (أي جعل على نفسه حارساً من الله للسلوك الحسن وترك الموبقات) ﴿ **والملائكة والكتاب والنبيين وأتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة**

وآتىٰ الزكاة * والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ وقوله تعالىٰ في الآية ١٨٩ من سورة البقرة : ﴿ وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتّقى وأْتوا البيوت من أبوابها واتّقوا الله لعلّكم تفلحون ﴾ .

٤ ــ وأمره تعالىٰ في الدفاع عن العقيدة الصالحة والنفس في الآية ١٩٠ من سورة البقرة : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ﴾ ويتبع ذلك الآية ١٩١ .

٥ ــ وقال الله تعالىٰ في عدالة القصاص الآية ١٩٤ من سورة البقرة : ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتّقوا الله واعلموا أن الله مع المتقيْن ﴾ وكيف لا يكون الله مع المتقين والتقوى هي أم مكارم الأخلاق .

٦ ــ وقوله تعالىٰ في الانفاق والإحسان والحذر من المهالك في الآية ١٩٥ من سورة البقرة : ﴿ وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين ﴾ ويدعو الله الناس لعدم الاعتداء وطلب السلم في الآية ٢٠٧ من سورة البقرة : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ﴾ .

٧ ــ ودعى الله تعالى في الآية ٢٢٥ من سورة البقرة إلى العمل بحسن النية : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم ﴾ .

٨ ــ وفي الآية ٢٦٠ من سورة البقرة يبشر الله عباده كيف يربو الله الصدقات : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماءة حبة والله يضاعف ما يشاء والله واسع عليم ﴾ .

ومن مكارم الأخلاق تقديم العون بدون منّ أو أذىٰ ، ومن مكارم الأخلاق تقديم ما يحبه الفرد كما جاء في الآيات : ﴿ **الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ والآية ٢٦٢ من سورة البقرة و٢٦٧ : ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ولا تيمموا الخبيث منه** ﴾ .

٩ ــ وما أجمل قوله تعالىٰ في القول المعروف وتقدمها علم الصدقة المتبوعة بالأذى في الآية ٢٦٣ من سورة البقرة : ﴿ **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى** . . ﴾ وهكذا يمتدح الله القول المعروف والدال على حسن الخلق على الصدقة المتبوعة بالمن والأذى .

١٠ ــ وهنا ينهي الله تعالىٰ عن إلقاء الفتن والفساد بين الناس بخلق الشبه والزيغ والتحريف كما ورد في آل عمران الآيات ٧ و٨ قوله تعالىٰ : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله * والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربّنا وما يذّكر إلاَّ أولوا الألباب** ﴾ و٩ منه ، وهذه من أبدع الآيات التي يحذر الله عباده من المفسدين المنافقين الملقين الزيغ والوسوسة في النفوس الضيقة .

١١ ــ الدعوة إلى الوحدة والالفة وتوحيد الله، سورة آل عمران الآية ٦٤ : ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاَّ نعبد إلاَّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون** ﴾ لأن الإسلام أصل لدين الله ، وجاء في الآية ١٠٣ من آل عمران : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً** . . ﴾ الخ .

١٢ ـ والآية ٧١ من سورة آل عمران منع الباس الحق بالباطل : ﴿ **يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** ﴾ وهو النفاق الذي هو أشد من الكفر .

١٣ ـ دعوة لأعمال الخير والصلاح في ١٠٤ من سورة آل عمران : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ ، وقوله تعالىٰ في ١١٠ من آل عمران : ﴿ **كنتم خير امة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . . .** ﴾ .

١٤ ـ وفي ١٣٣ ـ ١٣٦ من سورة آل عمران ، دعوة للإنفاق في سبيل الله والحلم والعفو والاستغفار واجتناب الفواحش والظلم : ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين** ﴾ ، و﴿ **الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ ، و﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلاّ الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾ ، و ﴿ **أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات. . .** ﴾ الخ . . ذلك جزاء المتقين ذوي الخلق السامية .

١٥ ـ وفي ١٥٩ من آل عمران تشاهد التربية والخلق السامية في مخاطبة الله لرسوله (ص) : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين** ﴾، وفيها تجد أصول التواضع وفضل المساواة والعزيمة والمشاورة .

١٦ ـ ذم البخل وهو من الصفات الأخلاقية الذميمة في ١٨٠ آل عمران : ﴿ **ولا يحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله هو خير لهم بل**

هو شر لهم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السمٰوات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾ ، و١٨٦ منه : ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وان تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ لأن الصبر والحلم من أسمى صفات الأخلاق الفاضلة التي يتحلى بها المتقون .

١٧ ـ ذم الأنانية م الآية ١٨٨ من آل عمران : ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما اوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ﴾ .

١٨ ـ ذكر آرء الله وتمجيده الآية ١٩١ من آل عمران : ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السمٰوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ .

١٩ ـ ٢٠٠ من آل عمران ، فيه الدعوة للصبر والثبات : ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتّقوا الله لعلّكم تفلحون ﴾ .

٢٠ ـ الآية ٥ من سورة النساء ، طرز معاملة السفيه : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾ .

٢١ ـ منع قتل النفس وأكل مال الناس بالباطل الآية ٢٩ من سورة النساء : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاَّ أن تكون تجارة عن تراضي منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ .

٢٢ ـ منع الحسد الآية ٣ من سورة النساء : ﴿ ولا تتمنوا ما فضل اللَّه به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً ﴾ .

٢٣ ـ النهي عن الشرك والأمر بالإحسان النساء/٣٦ : ﴿واعبدوا الله ولا تشركو به وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾ وهكذا يريد الله التواضع وعدم التكبر مع كافة الطبقات أخص الضعيفة.

٢٤ ـ منع البخل ومنع الأمر به النساء/٣٧ : ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما أتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ .

٢٥ ـ منع الانفاق رياءً النساء/٣٨ : ﴿ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ .

٢٦ ـ أمر الله بالأمانة والحكم بالعدل النساء/٥٨ : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعماً يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيراً﴾ .

٢٧ ـ أشفع شفاعة حسنة ، النساء/٨٥ : ﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيءٍ مقيتاً﴾ .

٢٨ ـ الأمر برد التحية ، النساء/٨٦ : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها إن الله كان على كل شيء حسيباً﴾ تلك التي تزيد التألف والتقارب والمحبة .

٢٩ ـ في الآيات ٨٨ ـ ٩١ من سورة النساء في ذم المنافقين واجتناب ولايتهم .

٣٠ ـ عدم العمل بالشك وسوء النية ، النساء/٩٤ : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام

لست مؤمناً ، تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ ، نعم لتكن دوماً نواياكم للخير .

٣١ ـ منع ظلم النفس النساء/٩٧ : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنّم وساءت مصيراً ﴾ و ٩٨ منه .

٣٢ ـ منع الدفاع عن المختانين أنفسهم ١٠٧ إلى ١٠٩ : ﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً * يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً * ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ﴾ .

٣٣ ـ ولا ترم بإثمك بريئاً ، النساء/١١٢ : ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرمي به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ .

٣٤ ـ منع مشاققة الرسول في سنته، النساء/١١٥ : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى وتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ .

٣٥ ـ الدقة في العدالة مع النساء وعدم ظلمهم، ومنها الحذر من الزواج بأكثر من واحدة ، النساء/١٢٨ : ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان عفواً رحيماً ﴾ .

٣٦ ـ الأمر بالقسط دوماً حتى على النفس النساء/١٣٥ : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين

والأقـربين ، ان يكن غنياً أو فقيـراً فالله أولى بهمـا فلا تتبعـوا الهـوى ان تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ .

٣٧ ـ النسـاء/١٣٩ ، في منع الجلوس مـع المنـافقين عنـد كفـرهم بـآيـات الله : ﴿ . . . إذا سمعتم آيات الله يكفر بهـا ويستهزأ بهـا فلا تقعـدوا معهم حتى يخـوضوا في حـديث غيره انكم إذاً مثلهم إن الله جـامـع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴾ و١٤٥ .

٣٨ ـ منـع الجهر بـالسوء النسـاء/١٤٨ : ﴿ لا يحب الله الجهر بـالسـوء من القول إلاَّ من ظلم وكان الله سميعاً عليماً ﴾ و١٥١ .

٣٩ ـ القسط والعدل لله المائدة/٨ : ﴿ يا أيُّها الذين آمنـوا كونـوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قـوم على أن لا تعدلـوا اعدلـوا هو أقرب للتقوى واتّقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ .

٤٠ ـ منـع السعي للفساد المـائدة/٣٢ : ﴿ إنمـا جزاء الـذين يحاربـون الله ورسـولـه ويسعـون في الأرض فسـاداً أن يقتلوا أو يصلبــوا أو تقـطع أيـديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفـوا من الأرض ، ذلـك لهـم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ .

٤١ ـ مجانية ولايـة الكفار المـائدة/٥٧ : ﴿ يـا أيُّها الـذين آمنوا لا تتخـذوا الـذين اتخذو دينكم هـزواً ولعبـاً من الـذين اوتـوا الكتـاب من قبلكم والكفار أولياء واتّقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾ .

٤٢ ـ ذم من لا ينهي عن المنكـر ٧٨ و٨٠ : ﴿ كانـوا لا يتناهـون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ .

٤٣ ـ عـدم تحريم الـطيبات الحـلال ٨٧ مائـدة : ﴿ يا أيُّهـا الذين آمنـوا لا تـحــرمــوا طيبــات مــا أحل الله لكم ولا تعتــدوا ان الله لا يـحـب المعتدين ﴾ .

٤٤ ـ منـع الرجس وكـل مضر المـائدة/٩٠ : ﴿ يـا أيّهـا الـذين آمنـوا إنمـا

الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون ﴾ و ٩١ : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء . . . ﴾ الخ . .

٤٥ ـ اجتنبوا الخبيث المائدة/١٠٠ : ﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتّقوا الله يا أولي الألباب لعلّكم تعلمون ﴾ .

٤٦ ـ لا تسألوا عمّا يسوءكم : المائدة/١٠١ : ﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم . . . ﴾ الخ . . .

٤٧ ـ من اتخذ إلّههُ هَواه الأنعام/ ٧٠ : ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ .

٤٨ ـ عبادة الأصنام المستحقرة ، الأنعام/٧٤ : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾ .

٤٩ ـ منع سب الكفار، الأنعام/١٠٨ : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً . . . ﴾ الخ .

٥٠ ـ ما حرَّم الله ، الأنعام/١٥١ : ﴿ قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإيّاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاّ بالحق ذٰلكم وصاكم به لعلّكم تعقلون ﴾ ، و﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفس إلاّ وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم

وصاكم به لعلّكم تذكرون ﴾ ، و١٥٣ : ﴿ وإن هـذا صراطي مستقيماً فـاتبعـوه ولا تتبعـوا السبـل فتفـرق بكم عن سبيله ذٰلكم وصـاكم بـه لعلّكم تتقون ﴾ .

٥١ ــ الحسنـة والسيئـة ، الأنعـام/١٦٠ : ﴿ من جـاء بـالحسنـة فله عشـر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلاَّ مثلها وهم لا يظلمون ﴾ .

٥٢ ــ منع الإسراف ، الأعـراف/٣١ : ﴿ يا بني آدم خـذوا زينتكم عند كـل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ .

٥٣ ــ تزينوا وتـطيبوا ، الأعـراف/٣٢ : ﴿ قل من حـرم زينة الله التي أخـرج لعبـاده والطيبـات من الرزق ، قـل هي للذين آمنوا في الحيـاة الـدنيـا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ .

٥٤ ــ المحرمات ، الأعراف/٣٣ : ﴿قل إنمـا حرَّم ربي الفـواحش ما ظهـر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وإن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وإن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ .

٥٥ ــ منع بخس الناس والفساد ، الأعراف /٥١ : ﴿ . . . قـد جاءتكم بينـة من ربكم فـأوفـوا الكيـل والميـزان ولا تبخسـوا النـاس أشيـاءهم ولا تفسـدوا في الأرض بعـد إصـلاحهـا . . . ﴾ ، ١٥ و١٦ الأنفـال في الدفاع والثبات .

٥٦ ــ الصبـر وعدم المنـازعة، الأنفـال/٤٦ : ﴿ وأطيعـوا الله ورسـولـه ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ﴾ .

٥٧ ــ حسن السلوك مـع الأسرى، الأنفـال/٧٠ : ﴿ يـا أيُّهـا النبي قـل لمن في أيـديكم من الأسـرى أن يعلم الله في قلوبكم خيـراً يؤتكم خيـراً ممـا أخـذ منكم ويغفـر لكم والله غفـور رحيم ﴾ و٧١ منـه .

٥٨ ــ السلوك مـع المستجيـر ، التـوبـة/٦ : ﴿ وإن أحـد من المشـركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه . . . ﴾ الخ .

٥٩ ـ عهد المشركين ، التوبة/ ٧ و٨ : ﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلاَّ الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين * كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاًّ ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبىٰ قلوبهم وأكثرهم فاسقون ﴾ ، و١٠ منه : ﴿ لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ﴾ ، و١١ منه : ﴿ وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر . . ﴾ الخ . و١٢ منه : ﴿ ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة . . . ﴾ الخ .

٦٠ ـ الحذر من ولاية الكفار ، التوبة/٢٣ : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبُّوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾ .

٦١ ـ المنافقون ، التوبة/٦٧ : المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾، و٦٨ و٧٤ منه .

٦٢ ـ منع بخس الناس ، هود/ ٨٤ و٨٥ ، و١١٣ منه في عدم الركون للظالمين : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله أولياء ثم لا تنصرون ﴾ .

٦٣ ـ مثل الكلمة الطيبة والخبيثة، إبراهيم/ ٢٣ و٢٤ : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ ، و٢٧ و٢٨ منه .

٦٤ ـ أمر الله بالخير ومنع الفحشاء، النحل/٩٠ : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربىٰ وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي

يعـظكم لعلّكم تـذكـرون ﴾ ، و٩١ منـه : ﴿ وأوفـوا بعهـد الله إن عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيـدها وقـد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ﴾ .

٦٥ ـ منع الافتـراء ، النحـل/١١٦ : ﴿ ولا تقـولـوا لمـا تصف ألسنتكم الكـذب هذا حـلال وهـذا حـرام لتفتـروا على الله الكـذب إن الـذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ .

٦٦ ـ الـدعوة إلى الحكمـة ، النحل/١٢٥ و١٢٦ : ﴿ ادع إلى سبيـل ربك بـالحكمة والمـوعظة الحسنـة وجادلهم بـالتي هي أحسن إن ربك هـو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * وإن عـاقبتم فعاقبـوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم فهو خيـر للصابـرين ﴾ ، و١٢٨ منه : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ .

٦٧ ـ من اهتـدى ومن ضل ، الإسـراء/١٥ : ﴿ من اهتـدى فـإنمـا يهتـدي لنفسه ومن ضلّ فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .

٦٨ ـ الله والـوالدين ، الإسـراء/٢٣ : ﴿ وقضى ربك أن لا تعبـدوا إلاَّ إيّاه وبالوالدين إحساناً أما يبلغن عندك الكبر أحـدهما أو كـلاهما فـلا تقل لهمـا أُفٍ ولا تنهـرهمـا وقـل لهمـا قـولاً كـريمـاً ﴾ ، و٢٤ و٢٥ و٢٦ منه .

٦٩ ـ المبـذرون إخوان الشيـاطين ، الإسراء/٢٧ : ﴿ إن المبـذرين كـانـوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ﴾ .

٧٠ ـ الحسنة في الحد الـوسط ، الإسراء/٢٩ : ﴿ ولا تجعـل يدك مغلولـة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعـد ملوماً محسـوراً ﴾ ، و٣١ منه و٣٢ منـه : ﴿ ولا تقربـوا الزنـا إنـه كـان فـاحشـة وسـاء سبيـلاً ﴾ ، و٣٣ : ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حـرم الله إلاَّ بالحق ومن قتـل مظلومـاً فقـد جعلنا لـوليه سلطانـاً فلا يسـرف في القتل إنـه كان منصـوراً ﴾ ،

و٢٤ منه : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلاَّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا العهد إن العهد كان مسؤولاً ﴾ ، و٣٥ منه : ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ .

٧١ ـ ولا تقف ما لا تعلم الإسراء/ ٣٦ : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ ، منع التبختر والتكبر ٣٧ منه : ﴿ ولا تمشي في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ﴾ ، و٣٨ منه . و٢٩ منه : ﴿ ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلّهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ﴾ ، لأن الشرك أم المظالم .

٧٢ ـ الصدق أولاً وآخراً ، الإسراء / ٨٠ : ﴿ وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ .

٧٣ ـ حكمة إبراهيم ، مريم/٤٢ و٤٣ : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم انه كان صديقاً نبياً * إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً * يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً ﴾ .

٧٤ ـ الصالحون المؤمنون ، الأنبياء/٩٤ ، و١٠٥ منه : ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون * ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ .

٧٥ ـ جزاء الرمي ، النور/٤ : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربع شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة . . . ﴾ الخ . و٩ و١٥ و١٩ منه : ﴿ والذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة . . . ﴾ الخ . و٢٦ منه : منع دخول بيوت غير

مسكونة : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها . . . ﴾ الخ . و٢٨ و٢٩ منه .

٧٦ ـــ فرض العفة على المؤمن والمؤمنة ، النور/ ٣٠ و٣١ : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم. . . ﴾ الخ. : ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلاَّ ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلاَّ لبعولتهن . . . ﴾ الخ . ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن. . . ﴾ الخ . . .

٧٧ ـــ السلام إذا دخلتم بيوتاً ، النور/٦١ : ﴿ . . . فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ﴾ .

٧٨ ـــ الحذر من مخالفة أمر النبي ، من سورة النور ، الآية : ٦٣.

٧٩ ـــ من إلّهه هواه كالأنعام ، الفرقان/٤٣ و٤٤ : ﴿ أرأيت من اتخذ إلّهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاَّ كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ .

٨٠ ـــ صفات المتقين ، الفرقان/٦٣ ـ ٧٦ : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالو سلاماً ﴾ ، و٦٤ منه : ﴿ والذين يبينون لربهم سجداً وقياماً ﴾ ، و٦٧ منه : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ ، و٦٨ منه : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلّه آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلقى آثاماً ﴾ ، و٧٢ منه : ﴿ والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾ ، و٧٣ منه : ﴿ والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً ﴾ ، و٧٤ منه : ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ ، و٧٥ منه :

﴿ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً ﴾ ، و٧٦ منه : ﴿ خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً ﴾ .

٨١ ـ عاقبة المتقين ، القصص/٨٣ و٨٤ : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين * من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلَّا ما كانوا يعملون ﴾ .

٨٢ ـ أحسنوا جدال أهل الكتاب ، العنكبوت/٤٦ : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلَّا بالتي هي أحسن إلَّا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي نزل إلينا وانزل إليكم وإلّهنا وإلّهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ .

٨٣ ـ بر الوالدين ، لقمان/١٤ : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أُمه وهناً على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك إلى المصير * وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليَّ ثم إليَّ مرجعكم فأنبكم بما كنتم تعملون ﴾ .

٨٤ ـ وصايا لقمان الحكيم لابنه ، لقمان/ ١٧ : ﴿ يا بني أقم الصلاة وأْمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور * ولا تصعّر خدّك للناس ولا تمشي في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور * واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ .

٨٥ ـ منع أذى المؤمنين ، الأحزاب/٥٨ : ﴿ الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ .

٨٦ ـ بشارة لمن يتبع أحسن ما يسمع ، الزمر/١٨ : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾ .

٨٧ ــ لا يستوي الحسن والسيء ، غافر/٥٨ : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون ﴾ .

٨٨ ــ ادفع بالتي هي أحسن ، فصلت /٣٣: ﴿لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ .

٨٩ ــ التفكير الصالح للحق ، فصلت/٥٣ : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق. . . ﴾ الخ .

٩٠ ــ اجتناب الإثم والفواحش والشورى والانفاق والعفو والصبر كلها من الخلق السامية ، الشورى/ ٣٧ ـ ٤٣ : ﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون * وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين * ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم * ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ .

٩١ ــ انتخب خليلك من المتقين، الزخرف/٦٧ : ﴿ الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلاّ المتقين ﴾ .

٩٢ ــ مجترموا السيئات ، الجاثية/٢١ : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ .

٩٣ ــ بر الوالدين ورضا الله ، الأحقاف/ ١٥ ـ ١٧ : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أُمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله

ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وان اعمل صالحاً ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت إليك واني من المسلمين * اولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ ، و١٧ ـ ١٩ منه .

٩٤ ـ وما ورد في سورة الحجرات من آداب وتعاليم بلغت ذروة الخلق السامية في الأصول الاجتماعية من أوامر ونواهي ونصائح والدعوة إلى حقوق البشر والمساواة فالآيات من ١ ـ ٥ أصول كريمة في الأدب ، و٦ منه تحذير من اخبار الفاسقين وانبائهم الكاذبة بغية الفساد والفتنة ، والآيتين ٧ و٨ في الإصلاح وإقامة العدل ، قوله تعالىٰ : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا . . . ﴾ الخ . و١٠ منه قوله تعالىٰ : ﴿ إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم . . . ﴾ الخ . والآية ١١ منه قوله تعالىٰ : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ ، و١٢ منه : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا اجتنبوا كثير من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً . . . ﴾ الخ . و١٣ منه : ﴿ يا أيُّها النَّاس إنا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوب وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ .

وبهذه السورة وضع الله في كتابه حداً قضى به على أشد الخلق الجاهلية المشينة ورذائلها لا في البلاد العربية ، بل العالم كله ،

ووضع أصول الأخوة والوفاء والحريات وإقامة مجتمع صالح قائم على مكارم الأخلاق والعدالة الاجتماعية .

٩٥ ــ الحث على السعي المادي والمعنوي الحسن ، سورة النجم/ ٣٨ - ٤٠ ، قوله تعالىٰ : ﴿ ألَّا تزر وازرة وزر أُخرىٰ * وان ليس للإنسان إلَّا ما سعى * وان سعيه سوف يُرى ثم يجزيه الجزاء الأوفى﴾.

٩٦ ــ في الصبر والكياسة ، سورة الحديد/٢٢ - ٢٣ : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلَّا في كتاب قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختار فخور ﴾ .

٩٧ ــ تناجو بالبر والتقوى ، المجادلة/٩ : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى. . .﴾ الخ .

٩٨ ــ الحذر من أعداء الإسلام ، المجادلة /٢١ : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون ما حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار. . .﴾ الخ.

٩٩ ــ قل واعمل ، سورة الصف/ ٢ - ٣ : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لم تقولوا ما لا تفعلون * كَبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ ، وهذا يطابق قوله تعالىٰ : ﴿ يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ﴾ .

١٠٠ ــ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، سورة التحريم / ١٠ - ١٢ : ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً

وقيل ادخلا النار مع الداخلين * وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربي ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ .

١٠١ ـ الحكمة والبصيرة ، سورة الملك/١٢٢ :﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور * أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمّن يمشي سوياً على صراط مستقيم ﴾ .

١٠٢ ـ الخلق الإسلامية الكريمة من سورة القلم : ﴿ وإنّك لعلىٰ خلق عظيم ـ فلا تطع المكذبين ـ أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون ﴾ .

١٠٣ ـ وصف الأبرار ، سورة الإنسان /٤ : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ ، و٥ منه : ﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجه كافورا ﴾ ، و٧ منه : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾ ، و٨ منه : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾ ، و٩ منه : ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ﴾ ، ١٠ ـ ٢٤ منه .

١٠٤ ـ سورة المطففين وفيه ١ ـ ٣ عن وصف من يبخس الناس في المعاملة .

١٠٥ ـ في البر والمرحمة ٤ و٨ ـ ١٧ من سورة البلد .

١٠٦ ـ في الحكمة ، من سورة الشمس ٧ ـ ١٠ : ﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ .

١٠٧ ـ اختلاف السعي واليسر والعسر في سورة الليل ٤ ـ ١٠ : ﴿ إن سعيكم لشتى * فأما من أعطى واتّقى * وصدق بالحسنى *

فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ .

١٠٨ ـ البر والشكر على النعمة من سورة الضحى ٩ ـ ١١ : ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر * وأمّا السائل فلا تنهر * وأمّا بنعمة ربّك فحدث ﴾ .**

مكارم الأخلاق في السُّنَّة

ومن مكارم الأخلاق البشاشة والعفو والمشاورة ، كما مر في الآيات ، الفرقان/٦٤ وسورة المؤمنين وآل عمران ١٥٩ التي يمدح الله به رسوله قوله تعالىٰ : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين** ﴾ ، فترى في هذه الآية الصفات التي يطريها الله هي لين الطبع ، والعفو والغفران ، والمشاورة والعزيمة ، أي التصميم فالتوكل على الله . وأدناه ترى رسول الله كيف يطري حسن الأخلاق ويدعو إليها . وستأتي أصول منها أدناه جاءت في أحاديث رسول الله في نهج الفصاحة .

١٩٤٦ ـ من أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك محقاً كان أو مبطلاً فإن لم يفعل لم يرد عليَّ الحوض ، وبروا آباءكم تبركم أبناءكم ، وعفّو عن نساء الناس تعف نساءكم .

٨٤٠ ـ احب عباد الله إلى الله أحسنهم أخلاقاً .

٤٢٠ ـ أفضلكم إيماناً أحسنكم أخلاقاً .

٤٥٤ ـ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً . وخياركم خياركم لنسائهم .

٤٦٣ ـ ألا أدلّكم على أشدكم (أي أقواكم للزعامة) أمكنكم عند الغضب .

٥٨٤ ـ أحسن الحسن الخلق الحسن .

٤٦٢ ــ ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن؟ الصمت وحسن الخلق .

٦٠٨ ــ ان أكثر ما يدخل الجنة الناس، تقوى الله وحسن الخلق .

٦٥٤ ــ إن العبد ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم .

٦٧٦ ــ إن الله استخلص هـذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلاً السخاء وحسن الخلق فزينوا دينكم بهما .

٨٣٥ ــ إن الناس لم يعطو شيئاً خيراً من حسن الخلق .

٨٤٥ ــ حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد .

٨٧٧ ــ إنكم لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم .

٩٠٧ ــ إن من أحبكم إليَّ أحسنكم أخلاقاً .

٩١٠ ــ إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله .

٩٨٢ ــ أول ما يوزن في الميزان الخلق الحسن .

١٠٥٨ ــ الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف الدين .

١٤٦٨ ــ خيار أُمتي احداؤها الذين إذا غضبوا رجعوا .

١٣٧٢ ــ حسن الخلق خلق الله الأعظم و١٣٧٣ و١٣٨٠ .

١٤٦٩ ــ خيار أُمتي علماؤها وخيار علمائها حلماؤها .

١٤٧٢ ــ خياركم أحسنكم أخلاقاً الذين يألفون ويؤلفون .

١٥٢٨ ــ خير ما أعطى الناس الخلق الحسن .

١٦٣٨ ــ رأس العقل بعد الإيمان بالله الحياء وحسن الخلق .

٢١٢٤ ــ حسب المرء خلقه ، وكرم المرء دينه ومروته عقله .

٢٣٩٧ ــ ليس شيء أثقل في الميزان من الخلق الحسن و٢٥٠٤ .

٣٠٦٨ ــ من الصدقة أن تسلم على الناس وأنت طلق الوجه .

٢٧٥٩ ــ من سعادة المرء حسن الخلق .

٣٠٤٣ ــ من سعادة المرء حسن الخلق ومن شقاءه سوء الخلق .

٣٨٠ ــ افشوا السلام تسلموا .

ومكارم الأخلاق تشمل كل الصفات الحميدة والشيم الكريمه للمرء ويدخل فيها البر والإحسان والعفو عند المقدرة والحلم والتروي . عند الغضب : التساهل في المعاشرة والمعاملة والتواضع والتعاون ، وحسن الظن والحجب والحياء والتودد إلى الناس ، والتقوى والانابة والصدق والأمانة ، والوفاء بالعهد والإخلاص في القول والعمل والعطف والحنان بكل ذي روح .

وصلة القريب والبعيد والقسط والمعروف والكرم وافشاء السلام والسعي في طلب العلم ونشره وعفة البدن وطهارة النفس والابتعاد عن مواقع التهم في الأقوال والأعمال ، والتساهل وإسداء النصيحة ، ونظافة البدن وكع اللسان عن الثرثرة والبذاءة والشجاعة والتصميم والتنظيم ، وعدم الجشع والإفراط ، وعدم الخروج عن حد الاعتدال في كل شيء ، فالأكل والشرب والقول والبذخ وجمع الثروة أخص من طرق مشروعة ، وبالتالي السلوك الديني واتباع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ونبذ الخرافات والخبائث من عادات في السلوك والأكل والشرب ، وكل ما لا يوافق العقل والمنطق ، ولا يسعنا أن نحصي في كتابنا هذا كل ما ورد عن مكارم الأخلاق ، ونكتفي بما مرّ ونبذٍ نذكرها مما جاء عن الرسول الأعظم من النصائح والسنن التي وضعها منهاجاً لآمته للسير عليها ، وسأقدم نبذاً فريدة من أقواله (ص) أدناه : من نهج الفصاحة :

في البر : ـ

٣٠٠٦ ـ الدال على الخير كفاعله .

٣١١٥ ـ المعروف باب من أبواب الجنة وهو يدفع مصارع السوء .

٦٠٠ ـ ان أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم .

١٥٠٠ ـ خير الناس أنفعهم للناس .

٣١٧٥ ـ والله لئن تهدي بهداك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم .

٣٢١٨ ـ يدور المعروف على يد مائة رجل آخرهم فيه كأولهم .

٦١٤ ـ إن البر والصلة يستطيلان الأعمال ويعمران الديار ويكثران الأموال ولو كان القوم فجاراً .

٧٢١ ـ ان الله لا يهتك ستر عبد فيه مثقال ذرة من خير .

٨٤٠ ـ إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وإن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة ، وإن أول أهل الجنّة دخولاً هم أهل المعروف .

٨٥٨ ـ ان صدقة السر تطفىء غضب الرب ، وان صلة الرحم تزيد في العمر ، وان صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

١١٧٦ ـ تمام البر أن تعمل في السر عمل العلانية .

١٣٠٢ ـ جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها .

١٣٨٠ ـ حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم والبر زيادة في العمر والصدقة تمنع ميتة السوء .

١٥٧٧ ـ دليل الخير كفاعله .

١٦٣٦ ـ رأس العقل بعد الايمان بالله التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر .

١٨٣٦ ـ صفة العاقل أن يحلم عمّن جهل عليه ، ويتجاوز عمن ظلمه ، ويتواضع لمن هو دونه ، ويسابق من فوقه في طلب البر ، وإذا أراد أن يتكلم تدبّر ، فإن كان خيراً تكلم فغنم وإن كان شراً سكت فسلم .

١٩٥١ ـ على كل مسلم صدقة فإن لم يجد فيعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق فإن لم يستطع فيعين ذا الحاجة فإن لم يفعل فيأمر بالخير ، فإن لم يفعل فيمسك عن الشر فإنه له صدقة .

٢٠٠٧ ـ العرف ينقطع بين الناس (أي ينسى) ولا ينقطع فيما بين الله وبين من فعله ، و٢٠٦٨ منه .

٢١٧٣ ــ كل معروف صدقة ، وما أنفق المسلم من نفقة على نفسه وأهله كتب له بها صدقة ، وما وقى به المرء المسلم عرضه كتب له به صدقة .

١٠٨٦ ــ بر الوالدين يجزىء عن الجهاد .

الإحسان وهو من مكارم الأخلاق : قال صلى الله عليه وآله : ــ

١٠ ــ ابتغي الرفعة عند الله تحلم عمن جهل عليك وتعطى من حرمك .

٧٠٤ ــ إن الله تعالىٰ عَفُوٌّ يحب العفو .

٤١ ــ اتّقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة .

٣٨٥ ــ أفضل الأعمال ثلاثة : التواضع عند الدولة ، والعفو عند القدرة ، والعطية بغير المنّة .

٧٦٠ ــ إن الله تعالىٰ يدخل بلقمة الخبز وقبضة التمر ومثله مما ينفع المسلمين ثلاثة : الجنة ، صاحب البيت الآمر به ، والزوجة المصلحة ، والخادم الذي يناول المسكين .

١٠٦٧ ــ الإيمان هو الصبر والسماحة .

١٢٧٧ ــ ثلاثة من كن فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته : تعطي من حرمك ، وتعفو عمّن ظلمك ، وتصل من قطعك .

١٤٥٤ ــ خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما : فالتي يحبهما الله : فالسخاء والسماحة ، واللذان يبغضهما : فسوء الخلق والبخل ، وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله على قضاء حوائج الناس .

١٥٦٠ ــ درهم الرجل ينفق في صحته خير من عتق رقبة عند موته .

١٩١٧ ــ طوبى لمن ذل نفسه ، وحسنت خليقته ، وأنفق الفضل من ماله ، ووسعته السنة ، ولم يعدها إلى البدعة .

٢٩٨٣ ــ من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان .

التقوى وهو أرفع مراتب مكارم الأخلاق : ـ

٧٢ ـ احب العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء .

٥٦٢ ـ انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلاَّ أن تفضله بتقوى .

٧٩٨ ـ إن الله يحب الأبرار الأخفياء الأتقياء .

٦٠٨ ـ إن أكثر ما يدخل الجنة الناس : تقوى الله وحسن الخلق .

٧٥٧ ـ إن الله يحب العبد التقي الغنيَّ الحفيّ (الرؤوف) .

٩٢٦ ـ إن من معادن التقوى تعلمك إلى ما قد علمت علم ما لم تعلم ، والنقص فيما قد علمت قلة الزيادة فيه ، وإنما يزهد الرجل في علم ما لم يعلم قلة الانتفاع بما قدم علم .

١٠٤٤ ـ أيها النَّاس إنّ ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، لا فضل لعربي على عجمي إلاَّ بالتقوى .

١٢٥٨ ـ ثلاث خلال من لم تكن فيه كان الكلب خير منه : ورع يحجزه عن محارم الله عزّ وجلّ ، أو حلم يرد به جهل جاهل ، أو حسن خلق يعيش به في الناس .

١٤٩٩ ـ خير الناس أقرأهم وأفقههم في دين الله وأتقاهم لله وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم .

١٤٨٦ ـ خير الزاد التقوى وخير ما ألقى في القلب اليقين .

٢٨٥٢ ـ من أحب أن يكون أكرم الناس فليتّق الله .

٢٩٠٠ ـ من أصبح وهمّه التقوى ثم أصاب فيما بين ذلك ذنباً غفر الله له .

٣٠١٥ ـ من رزق تقاً فقد رزق خير الدنيا والآخرة .

الصدقة تبلغ مكارم الأخلاق :

إذ فيها : المعونة للمستضعفين ، وصلة الرحم ، والمحبة والتودد ، والمساعدة ، والإصلاح ، وكثير من الفضائل الأخرى كما سترى :

١٢ ـ ابدء بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك فإن فضل شيء من أهلك فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك وهكذا إبدء بمن تعول .

٢٣٩ ـ إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاَّ من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له .

٤٠١ ـ أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه اخاه المسلم.

٤٠٢ ـ افضل الصدقة الشفاعة تفك بها الأسير وتحقن بها الدم ، وتجري بها المعروف والإحسان إلى أخيك وتدفع عنه الكريهة .

٤٠٤ ـ أفضل الصدقة حفظ اللسان .

٤٠٧ ـ أفضل الصدقة إصلاح ذات البين .

٤٠٨ ـ أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح (ذي الرحم المعارك لك) .

٦١٥ ـ إن التواضع لا يزيد العبد إلاَّ رفعة ، فتواضعوا يرفعكم الله ، وإن العفو لا يزيد العبد إلاَّ عزاً فاعفوا يعزكم الله ، وإن الصدقة لا يزيد المال إلاَّ نماءً فتصدقوا يزدكم الله .

٦٤٦ ـ إن الصدقة لتطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء .

٦٤٧ ـ إن الصدقة لتطفى حر القبور عن أهلها وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته .

٦٥٣ ـ إن العبد يتصدق بالكسرة تربو عند الله حتى تكون مثل أحد . و٧٦٥ منه .

٧٩٠٠ ـ إن الله ليدرأ بالصدقة سبعين ميتة من السوء .

٨٥٨ ـ إن صدقة السر تطفىء غضب الرب ، وإن صلة الرحم تزيد في العمر ، وإن صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

١١٣٤ ـ تداركوا الهموم والغموم بالصدقات ، يكشف الله تعالىٰ ضرّكم وينصركم على عدوكم .

١٣٨٤ ــ حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واعدوا للبلاء الدعاء .

١٥٠٨ ــ خير أبواب البر الصدقة .

١٧٣٣ ــ سبق درهم مائة ألف درهم : رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به ، ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها .

١٨٦٦ ــ الصدقة على القرابة صدقة وصلة .

١٨٧١ ــ الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات .

٢١٧٢ ــ كل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهي صدقة .

٣٠٨٨ ــ المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته .

٢٢٣٨ ــ لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه ومانع الصدقة .

٢٥٠١ ــ لا صدقة وذو رحم محتاج .

٢٤٠٩ ــ ليس لك من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت .

٣٠٦٧ ــ من الصدقة أن تسلم على الناس وأنت طلق الوجه . و٣٠٨٠ منه .

الحياء : ــ

ومن مكارم الأخلاق الحياء ، وقد وصف الله رسوله به في القرآن الكريم في سورة الأحزاب ، الآية : ٥٣ ، قوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلاَّ أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين اناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذٰلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن. . .** ﴾ الخ . . كما وردت في القرآن الكريم آيات تدل على ما للحياء والسكينة من المقام الجليل ، وانها من صفات المؤمنين المتقين ، وسورة الفرقان ، الآية :

٦٣ : ﴿ وعباد الرَّحمٰن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ ، و٧٢ منه : ﴿ والذين لا يشهدون الزور وإذا مرّوا باللغو مرّو كراماً ﴾ .

وسورة آل عمران الآية ١٥٩ : ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ ، وسورة الإسراء/٥٣ : ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ﴾ .

وأمّا ما ورد في السنة من أحاديث الرسول الأكرم أقواله كما وردت في نهج الفصاحة :

١٦٣٨ ـ رأس العقل بعد الإيمان بالله الحياء وحسن الخلق .

٣٠٦١ ـ من لا أدب له لا عقل له .

٢٦٥٣ ـ ما كان الفحش في شيء قط إلاّ شانه ، ولا كان الحياء في شيء قط إلاّ زانه .

٢٠٥ ـ إذا رأيت من أخيك ثلاث خصال فارجه : الحياء ، والأمانة ، والصدق ، وإذا لم ترها فلا ترجه .

٦١٨ ـ إن الحياء والإيمان قرنا جميعاً فإذا سلب أحدهما تبعه الآخر .

٦٧١ ـ إن الله إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء .

١٤٢٤ ـ الحياء خير كله .

١٤٢٦ ـ الحياء شعبة من الإيمان .

٩٨٠ ـ أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة .

١٤٢٨ ـ الحياء هو الدين كلّه .

٢٨٠٢ ـ من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له (لا غيبة للفاسق فهو فاسق) .

٢٥٠٦ ـ لا مظاهرة أوثق من المشاورة ولا إيمان كالحياء .

٢٨٨٦ ــ من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله .

الإسلام : خلق الإسلام من خيرة مكارم الأخلاق ، قال صلى الله عليه وآله :

٣٠٧ ــ أشرف الإيمان أن يأمنك الناس وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك .

٤٢٢ ــ أفلح من هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به .

١٠٥٤ ــ الإسلام علانية والإيمان في القلب .

٥٣٥ ــ أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وان الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وان الحج يهدم ما كان قبله .

١٠٥٦ ــ الإسلام يعلو ولا يعلىٰ عليه .

٦١٢ ــ إن الإسلام نظيف فتنظفوا ، فإنه لا يدخل الجنة إلاّ نظيف . و١٠٥٥ منه .

١٠٨٢ ــ تنظفوا بكل ما استطعتم فإن الله تعالىٰ بنى الإسلام على النظافة ولا يدخل الجنة إلاّ نظيف .

٦٧٦ ــ إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلاّ السخاء وحسن الخلق الا فزينو دينكم بهما .

٢٢٥٥ ــ لكل شيء آفة تفسده ، وآفة هذا الدين ولاة السوء .

٢٨٣٣ ــ من غشّنا فليس منا .

٢١٦٢ ــ ما من أحد يحدث في هذه الأمة حدثاً لم يكن فيموت حتى يصيبه ذلك .

٦٦٧ ــ إن الله احتجز التوبة على كل صاحب بدعة .

٢٨٧٩ ــ من أسلم على يديه رجل وجبت له الجنة .

٣٠٨٦ ــ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

٢٠٨٠ ــ المسلم من سَلِمَ المُسْلِمُونَ من يده ولسانه .

٣٠٨٥ ــ المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم ودمائهم .

١٥٢٥ ـ خيـركم من يرجى خيـره ويؤمن شره ، وشـركم من لا يرجى خيـره ولا يؤمن شره .

٣٠٩٨ ـ المؤمن منفعـة ، إن مـاشيتـه نفعـك ، وإن شـاورتـه نفعـك ، وإن شاركته نفعك ، وكل شيء من أمره منفعة .

١٥١٣ ـ خير دينكم أيسره .

١٥٢٠ ـ خيركم خيركم لأهله وأنـا خير لأهلي ، مـا أكرم النسـاء إلاَّ كريم ، ولا أهانهن إلاَّ لئيم .

مقتطفات لمكارم الأخلاق من نهج الفصاحة

٢٧٥٨ ــ من تفاخر افتقر .

٢٧٦٤ ــ من ستر على أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة .

٢٧٦٦ ــ من نصر أخاه يظهر غيب نصره الله في الدنيا والآخرة .

في البدعة : ــ

٢٧٨٦ ــ من أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر .

٦٦٧ ــ إن الله احتجز التوبة على كل صاحب بدعة (نعم يقصد البدعة في الإسلام) .

٢٨١٨ ــ من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً .

٢٨٩٧ ــ من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام .

٢٨١٠ ــ من أحب عمل قوم خيراً كان أو شراً كان كمن عمله .

٢٨١٤ ــ من كذب عليَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده من النار .

٢٨٢٨ ــ من تشبه بقوم فهو منهم .

٢٨٣٧ ــ من آثر محبة الله على محبة الناس كفاه الله مؤنة الناس (لأنها رأس التقوى) .

٢٩١٧ ــ من قبل بين عيني أُمه كان ستراً له من النار .

٢٩٢٥ ــ من عال ثلاثة بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة .

٢٩٤٥ ــ من أعان ظالماً سلطه الله عليه .

٢٩٥٢ ــ من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد شرك في عارها وإثمها .

٢٩٧٣ ــ من أحب أن يبسط في رزقه وأن ينسأ له في أجله فليصل رحمه .

٢٩٧٥ ــ من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام (دعاء عليه من الإمام) .

٢٩٨١ ــ من اتّقى الله وقاه الله كل شيء .

٢٩٨٦ ــ من أحب قوماً حشره الله في زمرتهم .

٢٩٩٥ ــ من رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله .

٣٠٠٦ ــ الدال على الخير كفاعله .

٣٠٢٢ ــ من سرّه أن يسلم فليلزم الصمت .

٣٠٤٥ ــ من شكر النعمة افشاؤها .

٣٠٤٩ ــ من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار .

٢٨٤٩ ــ مدارات الناس صدقة .

٢٨٦١ ــ من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته .

٢٨٦٤ ــ من طلب العلم تكفل الله برزقه .

٢٨٦٨ ــ من أتاه الله خيراً فلير عليه .

٢٨٧٣ ــ من قسى مع ظالم فقد أجرم .

٢٨٧٩ ــ من أسلم على يديه رجل وجبت له الجنة .

٢٨٨٠ ــ من أولى رجلاً من عبد المطلب معروفاً في الدنيا فلم يقدر أن يكافئه كافأته عنه يوم القيامة .

٢٨٩٢ ــ مهنة احداكن في بيتها تدرك جهاد المجاهدين إن شاء الله .

٢٩٠١ ــ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يروعن مسلماً .

٢٩٠٢ ــ من كتم شهادة إذا دعي إليها كمن شهد بالزور .

الرســالة : ـ

٨٨٠ ـ إن لجواب الكتاب حقاً كردّ السلام، و١٦٦١ منه .

٢١٢٥ ـ كرم الكتاب ختمه .

٢٨٤٦ ـ من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فكأنما ينظر في النار .

الجمــاعــة : ـ

٥٦ ـ اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة (الأتقياء).

٦٣٨ ـ الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد .

٣٢١١ ـ يد الله مع الجماعة .

وأما ما ورد في الضعفاء في كتاب الله ، فنذكر بعضها أدناه أخص اليتيم :

ما جاء في سورة الدهر الآيات : ٥ و٦ و٧ و٨ و٩ و١٠ و١١ حتى ٢٢ منه[1] ، وسورة الإسراء : ٢٨ و٣٠ و٣٣ و٣٦ منه . وسورة النساء ٢ و٦ و١١ و١٢ و٤٠ و١٢٧ و١٢٨ و١٢٩ .

---

(١) سورة الإنسان/٥ منه: ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً﴾، و٦ منه : ﴿ عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ﴾ ، و٧ منه : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرُّه مستطيراً ﴾ ، و٨ منه : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾ ، و٢٢ منه : ﴿ إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً ﴾ .

وسورة الإسراء/٣٣ : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلاَّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً ﴾ ، و٢٦ منه : ﴿ وآتي ذا القربىٰ حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ﴾ ، و٢٨ منه : ﴿ وأما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً ﴾ ، و٣١ منه : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإيّاهم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾ .

وسورة النساء/١٠ : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ ، و٤ منه : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن =

والضعفاء : (الأيتام والنساء والمساكين. . . الخ.) في السنة عن رسول الله (ص) من نهج الفصاحة : ــ

٣٠٣٣ ــ من ضم يتيماً له أو لغيره حتى يغنيه الله عنه وجبت له الجنة .

٢٧ ــ أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك .

٨٨ ــ احب بيوتكم إلى الله بيت فيه يتيم مكرم .

٩٥٦ ــ إني أُحرِّج عليكم حق الضعيفين : اليتيم والمرأة .

٨٦٤ ــ إن في الجنة داراً يقال لها دار الفرح لا يدخلها إلاّ من فرح يتامى المؤمنين .

١٥١١ ــ خير بيوتكم بيت فيه يتيم مكرم .

١٢٢٠ ــ ثلاث في ظل العرش يوم القيامة : واصل الرحم. . الخ. وذات أيتام. . الخ. وطاعم اليتيم المسكين .

١٥١٠ ــ خير بيت في المسلمين : بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشرهم فيه يتيم يساء إليه ، أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا.

١٧٥٧ ــ الساعي على الأرمل واليتيم كالمجاهد في سبيل الله والقائم الليل والصائم النهار .

١٨١٠ ــ الأشرار ستة وشر المآكل أكل مال اليتيم .

الأولاد : قال تعالىٰ في سورة الإسراء/ ٣١ : **﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإيّاهم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً ﴾** .

= لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾ . و١٩ منه : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن إلاّ أن يأتين بفاحشة مبيِّنة وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ ، و٢٠ منه : ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وأتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ ، و٢١ منه : ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴾ .

دعاء الإمام السجاد عليه السلام :

وما أجمل دعاء الإمام السجاد حفيد رسول الله (ص) وعلي عليه السلام حين يدعو لأولاده دعاءً ملؤه الأدب والأخلاق السامية والحكمة ، وإليك قسماً مهماً منه .

قال : اللهمّ مُنَّ عليَّ ببقاء ولْدي وبإصلاحهم لي وبإقناعي بهم ، إلّهي امدد لي من أعمارهم وزد لي في آجالهم ، وربِّ لي صغيرهم مولى ضعيفهم ، وأصحّ لي أبدانهم ، واديانهم وأخلاقهم ، وعافهم في أنفسهم وفي جوارحهم ، وفي كل ما عُنيتُ به من أمرهم ، وَآدْرِرْ لِي وعلى يدي أرزاقهم ، واجعلهم أبراراً أتقياء بصراء سامعين مطيعين لك ولأوليائك محبين مناصحين ، ولجميع أعدائك معاندين ومبغضين آمين . اللهم اشدد بهم عضدي ، وأقم بهم أودي ، وكثر بهم عددي ، وزيّن بهم محضري وَاحْيِي بهم ذكري ، واكفني بهم في غيبتي ، وَأَعِنّي بهم على حاجتي ، واجعلهم لي محبين ، وعَلَيَّ حدبين مقبلين ، مستقيمين لي ، مطيعين غير عاصين ، ولا عاقّين ، ولا مخالفين ، ولا خاطئين ، وأعنّي على تربيتهم وتأديبهم وبِرِّهم ، وهب لي من لدنك معهم أولاداً ذكوراً ، واجعل ذلك خيراً لي ، واجعلهم لي عوناً على ما سألتك ، وأعذني وذريتي من الشيطان الرَّجيم .

وأُقدم أدناه نبذاً من دعاء الإمام السجاد لأبويه لترى فيه رقة الأدب والأخلاق الكريمة ، قوله عليه السلام :

اللهم صَلِّ على محمد عبدك ورسولك وأهل بيته الطَّاهرين ، واخصصهم بأفضل صلواتك ورحمتك وبركاتك وسلامك ، واخصص اللهم والديَّ بالكرامة لديك ، والصلوات منك يا أرحم الرَّاحمين . اللهم صلِّ على محمد وآله وألهمني علم ما يجب لهما عليَّ إلهاماً ، واجمع لي علم ذلك كلِّه تماماً ، ثم استعملني بما تلهمني منه ، ووفقني للنفوذ فيما

تبصرني من علمه حتى لا يفوتني استعمال شيءٍ علمتنيه ، ولا تَثْقُلَ اركاني عن الحَفُوفِ فيما ألهمتنيه . اللهم صلِّ على محمد وآله كما شرفتنا به ، وصلِّ على محمد وآله كما وصيت لنا الحق على الخلق بسببه . اللهم اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف ، وأبرّهما برَّ الأم الرؤوف ، واجعل طاعتي لوالدي وبرِّي بهما أقر لعيني من رقدة الوسنان ، واثلج لصدري من شربة الظمآن ، حتى اؤثر على هواي هواهما ، وأُقدِّم على رضاي رضاهما ، واستكثر برّها بي وان قل واستقلَّ بري بهما وان كثر . اللهم خفِّض لهما صوتي ، وأَطِبْ لهما كلامي ، وألن لهما عريكتي ، واعطف عليهما قلبي وصيرني بهما رفيقاً وعليهما شفيعاً . اللهم اشكر لهما تربيتي ، وأثبهما على تكرمتي ، واحفظ لهما ما حفظاه مني في صغري . اللهم وما مسّهما مني من أذىً وَخَلَصَ إليهما عني من مكروه أوضاع قبلي لهما من حقٍ فاجعله حطَّةً لذنوبهما وعلواً في درجاتهما ، وزيادة في حسناتهما ، يا مبدل السيئات باضعافها من الحسنات .

اللهم وما تعدّيا عليَّ فيه من قول أو اسرفا عليَّ فيه من فعل أو ضيعاه لي من حقٍ أو قصرا بي عنه من واجب فقد وهبته لهما ، وجدت به عليهما ورغبت إليك في وضع تبعته عنهما ، فإني لا أتّهمهما على نفسي ، ولا أستبطئهما في برِّي ، ولا أكره ما توليـاه من أمري ، يا ربِّ فهما أوجب حقاً عليَّ ، وأقدم إحساناً إليَّ ، وأعظم منَّة لديَّ من أن أقاصّهما بعدل أو أُجازيهما على مثلٍ ، أين إذاً يا إلّهي طول شغلهما بتربيتي ، وأين شدَّة تعبهما في حراستي ، وأين اقتارهما على نفسهما للتوسعة عليَّ ، هيهات ما يستوفيان منّي حقّهما ، ولا أدرك ما يجب عليَّ لهما ، ولا أنا بقاضٍ وظيفة خدمتهما . فصل على محمد وآله وأعني يا خير من أستعين به ، ووفقني يا أهدى من رُغِبَ إليه ، ولا تجعلني في أهل العقوق للآباء والأُمهات يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون .

اللهم صلِّ على محمد وآله وذريته، واخصص أبويَّ بأفضل ما

خصصت بـه آباء عبـادك المؤمنين وأمهـاتهم يـا أرحم الـرَّاحمين ، اللهم لا تنسى ذكـرهما في ادبـار صلواتي وفي آناً من آنـاء ليلي ، وفي كل سـاعة من سـاعات نهـاري . اللهم صلِّ على محمـد وآله ، واغفـر لي بدعـائي لهما ، واغفـر لهمـا ببـرِّهمـا بي مغفـرةً حتمـاً وارضى عنهمـا بشفـاعتي لهمـا رضىً عزماً ، وبلغهما بالكرامة مـواطن السلامـة . اللهم وإن سبقت مغفرتـك لهما فشفعهمـا فيَّ وإن سبقتْ مغفرتـك لي فشفعني فيهمـا حتى تجتمـع بـرأفتـك في دار كرامتك ومحـل مغفرتـك ورحمتك ، إنـك ذو الفضل العـظيم والمنّ القديم وأنت أرحم الرَّاحمين .

وجاء في السنة من نهج الفصاحة قال صلى الله عليه وآله :

٣٦ ــ اتّقوا الله واعدلو بين أولادكم كما تحبُّون أن يبروكم .

٣٤٠ ــ اعدلو بين أولادكم بـالنحل (هـدية) كمـا تحبون أن يعـدلوا بينكم بالبر واللطف .

٣٧٠ ــ أعينوا أولادكم على البر ، من شاء استخرج العقوق من ولده .

٤٥١ ــ اكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم .

٥٦٤ ــ انظروا في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس .

١١٣٢ ــ تخيَّروا لنطفكم .

٧٥٤ ــ إن الله يحب أن تعـدلـوا بين أولادكم حتى في القبـل . إن لكـل شجرة ثمرة وثمرة القلب الولد .

١٦٦٠ ــ رحم الله والداً أعانَ ولده على برِّه .

١٩٢٣ ــ إن من حق الـوالد على ولـده أن يعلمه الكتـابـة وأن يحسن اسمـه وأن يزوِّجه . و١٣٩٤ منه .

١٩٥٤ ــ علموا أبناءكم السباحة والرمي والمرأة المغزل .

١٥٣١ ــ خيـر ما يخلف الإنسـان ثلاث : ولـد صالـح يدعـو لـه ، وصـدقـة تجري يبلغ أجرها ، وعلم ينتفع به من بعده .

١٩٤٠ ــ عرامة الصبي (رعايته) في صغره زيادة في عقله في كبره .

٢٣٧٧ ــ من عال والديه وولده ومن عال نفسه فكفها عن الناس فهو في جهاد .

٣٢٠١ ــ الولد من ريحان الجنة .

٣١٨٥ ــ ولد الرجل من كسبه من أطيب كسبه فكلوا من أموالهم .

٢٢٠٩ ــ لئن يؤدب رجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع .

٣٢٠٠ ــ الولد ثمرة القلب وانه مجبنه ومبخله ومحزنه .

٢٦٧٦ ــ ما من رجل نظر وجه والديه نظر رحمة إلاَّ كتب الله له بها حجة مقبولة مبرورة . و٢٦٢٥ منه.

٢٩٥٦ ــ من أصبح مطيعاً لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة وإن كان واحداً فواحد .

في الزوجين : وبحثت سورة الطلاق في الآيات: ١ و٢ و٦ و٧ ، وسورة التحريم في الآيتين : ١٠ و١١ ، وسورة النساء في الآيات ٤ و١٩ و٢٣ و٢٤ و٣٠ و٣٨ و٣٩ نذكر بعضها أدناه[1] .

---

(١) النساء/١٩ : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن إلاَّ أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ ، و٢٠ منه : ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وأتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ ، و٢١ منه : ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴾ ، و٣٤ منه : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضَّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴾ .

وفي السنة في الزوجين : جاء كثيراً نذكر أدناه بعضاً منها من نهج الفصاحة : ــ

٤٥٤ ــ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنساءه .

٩٥٦ ــ إني احرِّج عليكم حق الضعفين اليتيم والمرأة .

٧٧٩ ــ إن الله يوصيكم بالنساء خيراً فإنهن أُمهاتكم وبناتكم وخالاتكم .

وقال الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة : المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، وكذا جاء في نهج الفصاحة عن رسول الله (ص) :

٤٥٦ ــ ألا أخبرك بخبر ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سَرَّته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته .

٤٦٠ ــ ألا أخبركم بنساءكم من أهل الجنة؟ الودود الولود العتود (التي تسرع للرضا) التي إذا ظلمت قالت : هذه يدي في يدك لا أذوق غمضاً حتى ترضى كما ورد فيها ٥٣٤ و٦٢١ و٧١٠ . وقال الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ، الكلمة ١٣١ : جهاد المرأة حسن التبعّل . وجاء في نهج الفصاحة : ــ

٣٥١ ــ أعظم الناس حقاً على المرأة زوجها ، وأعظم الناس حقاً على الرجل أُمّه .

٢٢٣٧ ــ لعن الله المسوفات التي يدعوها زوجها إلى فراشه فتقول سوف حتى تغلبه عيناه . ــ إن المرأة التي تهجر فراش زوجها تلعنها الملائكة حتى الصباح .

مكارم الأخلاق في السنة العملية

لقد ثبتت في سيرة رسول الله (ص) في شتىٰ أنواع سيرته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية خلال حياته الزوجية منذ بدأ زواجه الأول مع أم المؤمنين خديجة التي كانت تكبره (١٥) سنة ، فكان لها خير زوج شهدته البشرية من الالفة والمحبة ، وبعدها مع زوجاته الأخرى ، وقد سار معهن سيرة بالغة في الخلق والسلوك الأمثل ، أخص في العهد الذي كان مشغولاً في ادارة أموره الاجتماعية الدينية والسياسية والاقتصادية مع صحابته ، وقامت في بيته الفتن التي لا يسمح لنا المقام هنا بشرحها بعلل غيرة نسائية محضة ، يشهد بها ما ورد في القرآن الكريم ، وعرضه لكل واحدة منها تريد الطلاق أن يطلقها ويسرحها بمعروف .

وهناك سيرته مع الصحابة بالمفاهمة والمشاورة ووضع أساس التآخي بينهم حتى نزلت الآية الشريفة في سمو أخلاقه: **﴿ وإنك لعلىٰ خلق عظيم ﴾** ، وقوله تعالىٰ : **﴿ ولو كنت فظاً غليظاً لانفضوا من حولك ﴾** وقيامه بمشاورة صحابته في كثير من الموارد ، رغم غناءه عن ذلك ، ولا تنسى غضبة عمر بن الخطاب (رض) عليه يوم صلح الحديبية[1] حتى كان

---

(١) يوم رضي رسول الله (ص) ان من ترك الإسلام عائداً إلى قريش تستبقيه عندها وبالعكس من ترك قريش والتحق بالمسلمين يعيده لها ، حتى إذا وقعت الحوادث والتحاق فلولاً من قريش بالإسلام ، وقبول إسلامهم على شريطة أن يعودوا ، واتخاذهم مقراً يهاجمون به قريشاً وبلغ استفحالهم ان طلبت قريشاً من رسول الله قبولهم وضمهم إلى صفه ليشملهم العقد بعدم مهاجمة قريش وتجارتها .

شكاً منه في نبوته ، فقابله أبو بكر (رض) بغضب قائلاً : «ثق إنه لرسول الله » .

ومقابلة رسول الله لعمر بما يدل على تواضعه وقوله انه لم يعمل سوى الأصلح ، وسيرى نتيجة ذلك ، حتى إذا عادت قريش نفسها تطلب من رسول الله فسخ هذا الشرط من العقد فوجد عمر أن الحق مع رسول الله (ص) ، واعتراضه على رسول الله بوعده للفتح ، فقال : ستفتح إن شاء الله . ويوم الفتح طلب عمر وأراه صدق وعده. وسلوكه مع أهل مكة يوم الفتح ، وفيهم ما فيهم من ألدّ أعداءه الذين لما يدخل الإسلام بعد إلى قلوبهم أمثال أبي سفيان ومعاملتهم بتلك المكارم الأخلاقية السامية ومنحه له حرياتهم وأموالهم بعد أن ملكها ومنع التعرض لأي منهم، وازداد بإكرام أعداءه حتى ظنّت الأنصار به الظنون ، بيد بتلك الأخلاق الكريمة استطاع أن يدرك رضاءهم وإفهامهم بالحقائق .

وهكذا عمل في جميع شؤونه حتى ملك ولايتهم له جسماً وروحاً وضمهم عصبة واحدة متكاتفين متضامنين ، واستطاع بفترة قصيرة يضم الجزيرة العربية جميعها للإسلام ككتلة واحدة لم يسبق لها مثيل ، حتى بلغ الأمر أن تسير تلك العجلة التي أسسها والمبادىء التي نظمها أن تفتح بلاد كسرى وقيصر .

وعلى خلاف ما نشر أعداؤه لم تكن غايته سوى نشر السلام والوئام والقضاء على الفقر والحرمان والدفاع لا الهجوم ، ومنع القتل والسلب إلاّ تحاشياً ودفاعاً عن حريم الإسلام والإنسانية مما دلّت عليه فتوحه وسلوكه مع الأسرى والغنائم .

وهكذا سار بعده خليفته عليٌّ في سلوكه الاجتماعي ، وأخص منها عند فتح البصرة التي أثارها من بايعه ونكث وجماعة من مغرضي آل أمية وأتباعهم وإغراء الغفل من الناس بأم المؤمنين .

فنجده عند تقابل الجيشين حرم البدء بـالحرب ، وسمـح لهم بالـدفاع إن هاجموهم ، وهكذا كان ، وقـد استطاع بقـدرته البيـانية وإيمـانه أن يفهم جيشه الصغير بالنسبة لعـدوه كيف يدافـع ويقوده القيـادة الحكيمة ، حتى إذا تغلب وانـدحر خصـومه أوقف ومنـع متابعـة الفارين وغـارة البصرة وأعـاد لها حرياتهم في منع القتل والسلب وتحرير الأسـراء من ألدّ خصـومه ، أمثـال : مـروان بن الحكم وعبدالله بن الـزبير ، وتكـريم أم المؤمنين عـائشـة الثـائـرة على إمام زمانها أمير المؤمنين وخليفة رسول الله حقاً ، وعلى حد قولهـا فـي عـليٍ أحب الرجال إلى رسول الله وإلى الله ، أعادها تحت رعاية أخيها محمد بن أبي بكر مصـونـة مكـرمـة إلى المـدينـة ، وهي التي كـانت قـطب رحى الحـرب ، وقتـل بأمـرها الألـوف بل عشـرات الألوف منهم صبـراً ، ومنهم حربـاً ، ومـا كـان ذلك من علي عليـه السلام إلاّ لتمسكـه بسيرة وسنّـة رسـول الله محمـد (ص) القولية والعملية ، في اتباع مكارم الأخلاق .

مكارم الأخلاق (من نهج البلاغة)

كما جاء في كلماته عليه السلام ج/٦ :

في البر والإحسان : (٧٨) قال عليه السلام : قيمة كل امرءٍ ما يحسنه .

في العفو (١٠) ، قال عليه السلام : إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه ، (وقد فعل ذلك أخص في حروب الجمل) .

في حسن الخلق : (٢٢٠) كفى بالقناعة ملكاً وبحسن الخلق نعيماً .

في القناعة : (٢٢١) سئل عليه السلام عن قوله عز وجل : ﴿ **فلنحيينه حياة طيبة** ﴾ فقال : هي القناعة .

وصايا غيبته (٧٩) : أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها اباط الإبل لكانت لذلك أهلاً : لا يرجون أحد منكم إلاَّ ربه ، ولا يخافن إلاَّ ذنبه ، ولا يستحي أحد منكم ان سئل عمّا لا يعلم أن يقول لا أعلم ، ولا يستحي أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه ، وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ، ولا خير في جسد لا رأس له، ولا في إيمان لا صبر معه .

وصفه للعاقل والجاهل (٢٢٧) : قيل له عليه السلام : صف لنا العاقل؟ قال : هو الذي يضع الشيء في موضعه ، فقيل : فصف لنا الجاهل؟ فقال : قد فعلت .

في الأحمق (٢٨٥) : قال عليه السلام : لا تصحب المائق (الأحمق) فإنه يزين لك فعله ويود أن تكون مثله .

في المعاشرة (٨) : قال عليه السلام : خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم ، وإن عشتم حنوا عليكم .

وصايا للحسن عليه السلام (٣٧) : قال عليه السلام : يا بني احفظ عني أربعاً وأربعاً لا يضرك ما عملت معهن : إن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الحسب حسن الخلق . يا بني إيّاك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإيّاك ومصاحبة البخيل ، فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإيّاك ومصادقة الفاجر ، فإنه يبيعك بالتافه ، وإيّاك ومصادقة الكذاب ، فإنه كالسراب يقرِّب عليك البعيد ويبعد عليك القريب .

في الإمام وأدب سلوكه (٧٠) : من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم ، (ولا شك وان هذا يشمل الأب مع أولاده ، والمعلم مع تلامذته ، والرئيس مع مرؤوسيه ، والواعظ مع المتعظين. . الخ) .

طريق السعادة (٨٦) : قال عليه السلام : من أصلح بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح آخرته أصلح الله له أمر دنياه . **ومن كان له من نفسه واعظ كان من الله عليه حافظ .**

تعقل العلم (٩٤) : قال عليه السلام : اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل .

وقال متعجباً (١٢١) : قال عليه السلام : عجبت للبخيل يستعمل الفقر الذي منه هرب ، ويفوته الغنى الذي إيّاه طلب ، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء . وعجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة ويكون غداً جيفة . وعجبت لمن شك في الله وهو

يرى خلق الله . وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى من يموت . وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى . وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء .

خلق مزرية (٢) : قال الإمام عليه السلام : ازري بنفسه من استشعر الطمع ، ورضي بالذل من كشف عن ضرّ ، وهانت عليه نفسه من أمّر عليها لسانه .

ومن حكمه في ذم البخل والجبن والفقر (٣) : البخل عار ، والجبن منقصة ، والفقر يخرس الفطن عن حجته ، ونعم القرين الرضا .

وقال في العجز والصبر والشجاعة والزهد (٤) : العجز آفة ، والصبر شجاعة ، والزهد ثروة ، والورع جنة ، ونعم القرين الرضا .

وعن العلم والأدب والبشاشة (٥) : العلم وراثة كريمة ، والآداب حلل مجددة ، والفكر مرآة صافية ، والبشاشة حبالة المودة .

سر العاقل وذم العجب (٦) : صدر العاقل صندوق سر ، من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه .

في السلوك الحسن (١٠) : خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم وإن عشتم حنوا عليكم .

في العفو (١١) : إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للمقدرة عليه .

في اكتساب الأصدقاء (١٢) : أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان ، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم .

في وصف العاقل (٢٣٥) : العاقل من وضع الشيء في موضعه .

في الشكر لزيادة النعم (١٣) : إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر .

رفع ذوي المروءات (٢٠) : اقبلوا ذوي المروءات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر إلاّ ويد الله بيده يرفعه .

في التحذير والجد (٢١) : قرنت الهيبة بالخيبة ، والحياء بـالحرمـان ، والفرصة تمر مرَّ السحابة ، فانتهزوا فرص الخير .

التحريض على العمل (٢٣) : من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

الدعوة للبر والإحسان (٢٤) : من كفـارة الذنـوب العـظام ، اغـاثـه الملهوف والتنفس عن المكروب .

اضمـر دائماً خيـراً (٢٦) : ما اضمـر أحـد شيئـاً إلاَّ ظهـر في فلتـات لسـانه وصفحـات وجهـه (أقـول : فحسن ظنـك دومـاً وأضمـر الخيـر لكـل فرد) .

السمـاحة والتقـدير (٣٣) : كن سمحـاً ولا تكن مبـذراً ، وكن مقـدراً ولا تكن مقتراً .

أحسنوا مع الجميع (٣٥): من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيـه بما لا يعلمون .

ابدأ بالواجب (٣٩) : لا قربة بالنوافل إذا أخرت بالفرائض .

في النطق (٤١) : قلب الأحمق في فيه ولسان العـاقل في قلبـه (والكلام صفة المتكلم) .

إيّـاك والعجب وكن متواضعـاً (٤٦) : سيئة تسـوؤك خير عنـد الله من حسنة تعجبك .

العفـو أقـرب للتقـوى (٥٢) : أولى النـاس بـالعفـو أقـدرهم على العقوبة .

بـارك الله بالعقـل والأدب والمشاورة (٥٤) : لا غنى كـالعقل ولا فقـر كـالجهل ولامـرات كـالأدب ولا ظهيـر كـالمشـاورة . و(٧٠) منـه : لا تـرى الجاهل إلاَّ مفرطاً ومفرطاً .

اصبـر في كسب الخير ودفـع الشر (٥٥) : الصبـر صبـران صبـر على ما تكره ، وصبر عمّا تحب .

مـا هو مـال لا ينفذ (٥٧) : القنـاعة مـالا لا ينفـذ . و(١٧١) منـه :

كم من أكلة منعت أكلات (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) .

التحذير بشارة (٥٩) : من حذرك كمن بشرك .

لا تطلب من لئيم (٦٦) : فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها .

انفق وان قل (٦٧) : لا تستحي من اعطاء القليل فالحرمان أقل منه . و(٦٨) منه : العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى .

عليكم بالحكمة (٨٠) : الحكمة ضالة المؤمن ، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق .

ما هي قيمة المرء (٨١) : قيمة كل امرءٍ ما يحسنه . و(٨٩) منه : من كان له من نفسه واعظ ، كان عليه من الله حافظ (فكن دوماً معلم وواعظ نفسك).

الخير في حسن العافية (٢٢١) : شتان ما بين عملين ، عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره .

في نيتك وقولك وعملك (١٢٣) : طوبى لمن ذل نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت خليقته ، وأنفق المفضل من ماله ، وأمسك الفضل من لسانه ، وعزل عن الناس شره ، ووسعته السنة ، ولم ينسب إلى البدعة .

ما هو جهاد المرأة؟ (١٣٦) : جهاد المرأة حسن التبعل (أقول ومنه تربية الأطفال) .

ما قيمة التودد إلى الناس٣ (١٤٢) : التودد نصف العقل . و (١٤٣) و(١٧٧) منه : ازجر المسيء بثواب المسحن.

اقطع الشر (١٧٨) : احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك .

عاتب ورد الشر بالإحسان (١٥٨): عاتب أخاك بالإحسان إليه واردد شره بالإنعام عليه .

اتقوا مواضع التهم (١٥٩): من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء الظن به .

شارك العقلاء بمشاورتهم (١٦١) : من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها .

لا طاعة بمعصية الله (١٦٢) : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع (من صبر ظفر).

ان لمعروفك معروفاً (٢٠٤): لا يزهدنك في المعروف من لا يشكر ذلك ، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه .

وعاء العلم يتسع (٢٠٥) : كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلَّا وعاء العلم فإنه يتسع به .

الناس أنصار الحليم (٢٠٦) : أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل.

ما يهدم الرأي (٢٠٩) :الخلاف يهدم الرأي و(٢٢٠) منه : ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن (لا شك مع ثقة).

حاول رد سوء الظن (٢٢٢) : من أشرف أعمال الكريم غفلته عمّا يعلم (من إساءة من أساء إليه).

لا تطمع تُذَل (٢٢٦) : الطامع في وثاق الذل .

ما هو الإيمان؟ (٢٢٧) : الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان .

خيرة صفات النساء (٢٣٤) : خيار خصال النساء شرار خصال الرجال ، الزهو والجبن والبخل ، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها ، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها وما لبعلها ، وإذا كانت جبانة مزقت من كل شيء يعرض لها .

مقام الكرم (٢٤٧) : الكرم أعطف من الرحم . و(٢٤٨) منه : من ظنّ بك خيراً فصدق ظنّه .

الحدَّة والجنون (٢٥٥) : الحدة ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم فإن لم يندم فجنونه مستحكم .

من الوصايا القيمة (١١٣) : لا مال أعود من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب ، ولا عقل كالتدبير ، ولا كرم كالتقوى ، ولا قرين كحسن الخلق ، ولا ميراث كالأدب ، ولا تجارة كالعمل الصالح ، ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ، ولا علم كالتفكر ، ولا إيمان كالحياء والصبر ، ولا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم، ولا عز كالحلم ، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة .

طرفاً من عظاته لمن طلب أن يعظه (١٥٠) : لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل ، وينهى ولا ينتهي ، ويأمر بما لم يأت ، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ، ويبغض المذنبين وهو أحدهم ، تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن ، يقصر إذا عمل ، ويبالغ إذا سأل ، يصف العبرة ولا يعتبر ، ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ ، يستعظم من معصية غيره ، ما يستقل أكبر منه من نفسه فهو على الناس طاعن ، ولنفسه مداهن ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره ، يرشد غيره ويغوي نفسه . و (٢٨٧) منه : إذا أرذل الله عبداً حَظَرَ عليه العلم .

حسّن ظنّك (٣٦٠) : لا تظنّن بكلمة خرجت من أحد سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملاً .

احفظ لسانك (٣٨١) : الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به فإذا تكلمت به صرت في وثاقه ، فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة . و (٣٩٤) : رب قول أنفذ من صول . و (٤١٠) منه : التقى رئيس الأخلاق . و (٤١١) منه : لا تجعل درب لسانك على من أنطقك ، وبلاغة قولك على من سددك .

كن مؤدباً (٤١٢) : كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك .

عـزة النفس (٤٤٩) : من كرمت عليـه نفسـه هـانت عليـه شهـواتـه .
و (٤٦١) منه : الغيبة جهد العاجز .

خير العفو ممن قدر (٤٧٤) : ليس المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعفى ، لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة .

ذكـرنا فيمـا مرّ عن مكـارم الأخـلاق التي حكم بـه العقـل على لســان الحكماء والعلماء ، ومـا ورد على لسان الأنبيـاء في الكتب السماويـة اخص القـرآن المجيد ، ومـا جاء عن السنـة النبويـة القـوليـة والفعليـة ، كمـا ذكـر كلمـات قصار لخليفـة رسول الله (ص) أميـر المؤمنين علي (ع) مما ورد في نهج البلاغة ، وبالتـالي نذكـر شيئاً عن مكـارم الأخلاق التي جـاء بها الإمـام السجاد حفيد رسول الله وعلي عليه السلام ذكرها على شكل دعـاء واستغاثـة ارشـاداً ونصيحة وتـوجيهـاً للمسلمين في عهـد إمـارة بني أمية التي تـزعمت منصب الخلافة قهراً وحاولت انحراف النهج الإسـلامي ، والطعن بـآل البيت ووقف نشـاطهم السياسي ، ذكـرها الإمـام السجاد في مجمـوعة من الأدعيـة المشحونة الأخـلاق الساميـة والآداب الإسلاميـة أذكر أدنـاه نبذاً ممـا ورد في دعائه حول مكارم الأخلاق : قال عليه السلام :

دعاء مكارم الأخلاق :

اللهم صـل على محمد وآلـه ، وانته بنيتي إلى أحسن النيـات وبعملي إلى أحسن الأعمال ، واستعملني بما تسألني غداً عنـه ، ولا تبتلني بالكبـر ، ولا تفســد عبادتي بـالعجب ، وأجـر للنـاس على يـدي الخيـر ، ولا تمحقـه بـالمن ، وهب لي معالي الأخـلاق ، واعصمني من الفخر ، ولا تـرفعني في الناس درجة إلاّ حـططتني عند نفسي مثلهـا ، ولا تحدث لي عـزاً ظاهـراً إلاّ أحدثت لي ذلة باطنة عنـد نفسي بقدرهـا ، ومتعني بهدى صـالح لا أستبـدل به وطريقة حق لا أزيغ عنهـا ، ونية رشـد لا أشك فيهـا ، ووفقني لطاعـة من سددني ، ومتابعة من أرشدني ، وسـددني لأن أعارض من غشني بـالنصح ، وأثيب من حـرمني بـالبـذل ، وأكـافيء من حـرمني بـالصلة ، وأخـالف من

اغتـابني إلى حسن الذكـر ، واشكر الحسنـة ، واغـض عن السيئـة ، وحلني بحليـة الصـالحين ، وألبسني زينـة المتقين ، في بسط العـدل ، وكـظم الغيظ ، وإطفـاء النائـرة ، وضم أهل الفـرقة ، وإصـلاح ذات البين ، وستـر العـائبـه ، ولين العـريكـة ، وحفظ الجنـاح ، وحسن السيـرة، وطيب المخـالقـة ، والسبق إلى الفضيلة ، وإيثـار التفضـل ، وتـرك التعييـر ، والافضـال على غير المستحق ، والقـول بالحق وإن عـز ، واستقـلال الخيـر وإن كثـر من قـولي وفعلي ، واستكثـار الشـر وإن قـل من قـولي وفعلي ، واكمل ذلك لي بدوام الطاعـة ، ولزوم الجمـاعة ، ورفض أهـل البدع ، ولا تبتلني بـالكسـل عن عبـادتـك ولا العمى عن سبيلك ، فصـلٍّ على محمـد وآلـه ، وتفضّـل عليَّ اللهم وانـطقني بـالهـدى ، وألهمني التقـوى ، ووفقني للتي هي أزكىٰ ، واستعملني بمـا هو أرضى ، اللهم وأسـألـك بي الـطريقـة المثلى ، واجعلني على ملتك أموت وأحيىٰ ، ومتّعني بـالاقتصاد ، واجعلني من أهـل السـداد، ومن أدلـة الـرشـاد ، ومن صـالـح العبـاد ، وارزقني فـوز المعاد .

اللهم وعنـدك مما فـات خلف ، ولما فسـد صلاح ، فـامنن عليَّ قبـل الضـلال بـالـرشـاد ، وامنحني حسن الإرشـاد ، ووفقني إذا اشتكلت عليَّ الأمـور لأهـداهـا ، وإذا تشـابهت الأعمـال لأزكـاهـا ، وإذا تنـاقضت الملل لأرضـاها ، وهب لي صـدق الهدايـة ، وامنعني من السـرف ، وحصن رزقي من التلف ، وارزقني علمـاً في استعمال ، وورعـاً في إجمـال ، وسهـل إلى بلوغ رضـاك سبيلي ، وحسن في جميـع أحـوالي عملي ، وانهـج لي إلى محبتك سبيلاً سهلة أكمل لي بها خير الدنيا والآخرة .

مكارم الأخلاق عملاً

أما مكارم الأخلاق في السنة العملية التي جاء بها الرسول الأكرم فما أبدعها وما أجدر بنا اقتداء سبيله وسيرته بدقة في كل واحدة منها .

وسنذكر منها طرفاً ، جاء في رياض الصالحين ص ٢٢ عن جابر بن عبدالله (رض) قال : كنا مع رسول الله (ص) بذات الرقاع ، وكنا إن أتينا شجرة ذات ظل تركناها لرسول الله (ص) ، وفي مرة ورسول الله وحده جاءه رجل من المشركين ، وسيف رسول الله (ص) معلّق بالشجرة فاخترطه ، ودنى من رسول الله وقال : تخافني؟ فأجابه رسول الله (ص) : لا . فقال الرجل : فمن يمنعُك مني؟ فأجابه رسول الله (ص) : الله . فسقط السيف من يده ، فأخذه رسول الله (ص) وقال : من يمنعك مني؟ فأجابه الرجل ، كن خير آخذ ، فقال رسول الله (ص) : تشهد أن لا إلَه إلّا الله واني رسول الله؟ فقال الرجل : لا ، ولكنني أعاهدك أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلّى رسول الله (ص) سبيله .

وأتىٰ المشرك أصحابه فقال : جئتكم من عند خير الناس .

ولا شك وان تلك خلق الإسلام الأصيلة التي يؤيدها كتاب الله في مواقع كثيرة منها في سورة الكافرين ومنها في سورة البقرة قوله تعالىٰ : **﴿ لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي ﴾** ، وقوله : **﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾** ، وهذا يدل أن الإسلام دائماً لا يقصد القتل والأذى ، وإنما ينشر السلام والتعاليم الفاضلة ، وما حصل من حرب

وقتل إنما كان دفاعاً واتقاءً لشر الأعداء المهاجمين والكائذين ويكفينا فتح مكة دليلاً .

قد جاء في كتاب مكارم الأخلاق ص ٢٣ عن علي عليه السلام في حديث يصف مكارم أخلاق رسول الله (ص) قال : « وما سؤل شيئاً قط؟ فقال : لا . وما رد سائلاً حاجة قط إلاّ بها أو بميسور من القول » .

ومن الأخلاق الفاضلة رعاية المدخل والمخرج والمجلس والسلوك والمعاملة ، فقد جاء عن كتاب سنن النبي صلى الله عليه وآله ص ١٤ وكتاب مكارم الأخلاق ص ١٢ مأخوذاً من كتاب « محمد رسول الله (ص) » للجنة التأليف في دار التوحيد عن الحسين بن علي عليهما السلام قال : سألت أبي عن مدخل رسول الله (ص) فقال : كان دخوله في نفسه مأذوناً في ذلك ، فإذا آوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزء لله ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه . ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس ، فيرد بذلك بالخاصة على العامة ، ولا يدخر عنهم منه شيئاً ، وكان من سيرته في جزء الأمة : إيثار أهل الفضل بأدبه وقسمه على قدر فضلهم في الدين ، فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج ، فيشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم ، والأمة من مسألته عنهم ، ويأخبارهم بالذي ينبغي ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وابلغوني في حاجة من لا يقدر على ابلاغ حاجته ، ومضى الحسين عليه السلام قائلاً : فسألته عن مخرج رسول الله (ص) كيف كان يصنع فيه : فقال عليه السلام : كان رسول الله (ص) :

١) يخزن لسانه إلاّ فيما يعنيه.
٢) ويؤلفهم .
٣) ولا يفرقهم .
٤) ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم
٥) ويحذّر الناس الفتن .
٦) ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بُشْره ولا خلقه .

٧) ويتفقد أصحابه .

٨) ويسأل الناس عمّا في الناس.

٩) فيحسن الحسن ويقويه .

١٠) ويقبّح القبيح ويوهنه .

١١) معتدل الأمر غير مختلف.

١٢) لا يغفل مخافة أن يملوا.

١٣) لكل حال عنده عتاد .

١٤) لا يقصر عن الحق ولا يجوزه .

١٥) الّذين يلونه من الناس خيارهم.

١٦) أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة.

١٧) وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة .

قال : فسأله عن مجلسه ؟ فقال :

كان رسول الله (ص) : لا يجلس ولا يقوم إلاّ على ذكر الله جلّ اسمه ، ويوطن الأماكن ، وينهي عن إيطانها (أي لا يتخذ لنفسه مجلساً يتميز به) وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، يعطي كلاً من جلسائه نصيبه ، حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلاّ بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه ، فكان لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء .

مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا يوهن فيه الحرم ، ولا تغشى فلتاته، متعادلون متفاضلون ، يوقرون فيه الكبير ، ويرحمون فيه الصغير ، ويؤثرون ذا الحاجة ، ويحفظون الغريب » .

وأما سيرته (ص) مع جلساءه كما نقل الحسين عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال : « كان رسول الله (ص) دائم البُشْر، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب (من الصخب أي شدة الصوت) ، ولا فحّاش ، ولا عيّاب ، ولا مدّاح ، يتغافل عمّا لا يشتهى ، فلا يؤسي منه ولا يخيب فيه مؤمليه ، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء والاكثار ومما لا يعنيه . وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحداً ولا يعيِّره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلاّ فيما يرجو قوله . إذا تكلم أطرف جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعون عنده الحديث ، متى تكلم انصتوا له حتى يفرغ في منطقه وحديثهم عنده حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة مسألته ، حتى إن كان أصحابه يستجلبونهم ، ويقول : إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فارفدوه ، يقبل الثناء إلاّ من مكافيء ، ولا يقطع على أحد حديثه ، حتى يجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام » .

وعن علي عليه السلام في أدبه مع قومه قال : وما صافح رسول الله (ص) أحداً قط فنزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ، وما فاوضه أحد قط في حاجة أو حديث ، فانصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف ، وما نازعه أحد الحديث فيسكت حتى يكون هو الذي يسكت ، وما رؤي مقدماً رجله بين يدي جليس له قط » .

وجاء في الكافي جـ ٢ ص ٦٧١ عن الإمام جعفر الصادق : « كان رسول الله (ص) يقسم لحظاته بين أصحابه فينظر إلى ذا ، وينظر إلى ذا بالسوية ، ولم يبسط رسول الله رجليه بين أصحابه قط ، وإن كان ليصافحه الرجل ، فما يترك رسول الله يده من يده حتى يكون هو التارك ، فلما فطنوا لذلك كان الرجل إذا صافحه مال بيده فنزعها من يده » .

وجاء في كتاب سنن النبي ص ٦٠ عن علي عليه السلام قال :

« كان رسول الله (ص) ليسر الرجل من أصحابه إذا رآه مغموماً بالمداعبة » .

ذلك ما جاء في سنن النبي (ص) ص ٦٠ في كشف الريبة للشهيد الثاني .

وجاء في مكارم الأخلاق ص ١٦ عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) مرّ على صبيان فسلم عليهم ، كما جاء في نفس المصدر ص ٥٢ عن أسماء بنت زيد قالت : « إن النبي (ص) مرّ بنسوة فسلم عليهن » . . عن أنس أيضاً : « لقد كان رسول الله (ص) يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم واستمالة لقلوبهم ، ويكنى من لم يكن له كنية ، فكان يدعى بما كناه له ويكنى أيضاً النساء اللواتي لهن أولاد واللاتي لم يلدن ويكنى الصبيان فيستلين به قلوبهم ، وكان (ص) يكلم الناس كل على قدر عقله وهو القائل : « انا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » . جاء في الروضة وفي الكافي ص ٢٦٨ .

وجاء في كتاب الوفاء جـ ٢ ص ٤٢١ ومكارم الأخلاق ص ١٧ عن أنس قال : كنت أمشي مع رسول الله وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه اعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله (ص) قد أثرت بها حاشية البرد من شدَّة جبذته ، ثم قال : يا محمد مرني من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه رسول الله (ص) ثم ضحك ثم أمر له بعطاء .

وجاء في كتاب المحجة جـ ٤ ص ١٢٩ أنه قيل له في القتال : ادع الله على المشركين ، فقال (ص) : إنما بعثت رحمة مهداة ، لم أُبعث لعاناً .

وما أعظم حلمه وعفوه يوم فتح مكة ، يوم تملك أشد أعدائه بطشاً به وبصحابته من قتل وسلب وتشريد وتعذيب ومطاردة وإثارة الحروب بقصد قتله واستئصال شأفة الإسلام بكل ما لديهم من قدرة مادية ومعنوية ،

وتحريض. وبعد الحروب الدامية والفتك بأعز صحابته وأخص بني عمومته .

ولكنه وقف على باب الكعبة بعد الفتح يخاطب قريشاً قائلاً : يا معشر قريش ماذا تقولون ، وماذا تظنون اني فاعل بكم؟ قالوا : خيراً . . أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال (ص) : أقول كما قال أخي يوسف : لا تتريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرَّاحمين ، اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وبذلك تتجلى أسمى معاني الخلق الكريمة من حلم وعفو وإحسان وبر درجة لم يسبقه بها سابق ، ولا لاحق ، تلك الخلق النبوية البالغة في العظمة ، وبهذا امتدحه الله في كتابه المجيد بقوله : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ ، وأي قدوة لنا أعظم منه في هذه السجايا الإسلامية الإنسانية السامية من حلم وصبر أمام الشدائد من جوع وفقر وأهوال الحروب والمكائد وإدارة شؤون مدينة يحيطها الأعداء من الداخل والخارج ، من مشركين ومنافقين ومردة أهل الكتاب، وضعف صحابته المادية والمعنوية التي قومها بحكمته وحلمه وإرادته وتجلده . .

جاء في مكارم الأخلاق ص ١٧١ عن ابن عباس : ان رسول الله (ص) دخل عليه عمر وهو على حصير قد اترقى جنبه ، فقال : يا نبي الله لو اتخذت فراشاً! فقال (ص) : ما لي والدنيا وما مثلي ومثل الدنيا إلاَّ كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة منها ، ثم راح وتركها .

وجاء في كتاب الوفاء ص ٤٨٠ جـ ٢ عن عمر قال : لقد رأيت رسول الله (ص) يقبل اليوم يتلوى ما يجد دقلاً يملأ به بطنه ، ومن نفس المصدر عن أنس بن مالك : جاءت فاطمة بكسرة خبز إلى النبي (ص) فقال : ما هذه يا فاطمة؟ قالت : قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة ، فقال (ص) : اما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام .

وما أجمل أخلاقه السامية المشغوفة ببيانه الحكيم لإصلاح أمور أمته وجمع شملهم ، ومن أمثالها ما جاء في كلمة الرسول الأعظم ص ٢٢٣ والرسول جـ ١ ص ١٢٤ لأحمد بن حنبل ، والتي نقلها لاعيان الشيعة جـ ٢ ص ١٩٤ الإمام الحجة المحقق السيد محسن الأمين ، لما وجد الانصار بعد معركة حنين من اكرام النبي من الغنائم للمؤلفة قلوبهم ولمسلمي بعد الفتح بينما أصاب الأنصار منه القليل قائلين لقد لقى رسول الله قومه . فبلغ ذلك النبي (ص) فجمعهم وقام فيهم خطيباً ، ثم حمد الله عليه وقال :

« يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم وموجدة وجدتموها؟ إني سائلكم عن أمر فأجيبوني : ألستم كنتم ضلالاً فهداكم الله بي؟ . ألم تكونوا على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله بي؟ . ألم تكونوا قليلاً فكثركم الله بي؟ . عالة فأغناكم الله بي؟ وأعداءً فألف قلوبكم بي؟ .

قالوا بلىٰ والله ، فلله ولرسوله المن والفضل .

فقال : ألا تجيبوني بم عندكم؟

قالوا : بم نجيبك فداك آباؤنا وأمهاتنا؟ قد أجبناك بأن لك الفضل والمنّ والطول علينا .

قال : أما لو شئتم لقلتم فصدقتم : وأنت قد جئتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك وخائفاً فأمناك ، وعائلاً فاسيناك » .

فارتفعت أصواتهم بالبكاء ، وقاموا معتذرين يقبلون يديه ورجليه ، قائلين : رضينا بالله وعنه وبرسوله وعنه . وهذه أموالنا بين يديك ، فإن شئت فاقسمها على قومك ، وإنما قال من قال منا على غير وغر صدر وغل في قلب ، ولكنهم ظنّوا سخطاً عليهم وتقصير بهم ، وقد استغفروا الله من ذنوبهم فاستغفر لهم يا رسول الله .

فقال (ص) : اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار .

يا معشر الأنصار : أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاة والنعم ورجعتم أنتم ومن سهمكم رسول الله؟ قالوا : رضينا بالله رباً ورسوله قسماً .

تلك كلمة قالها وهو في أوج نصره ، بيد كيف استمالهم وكيف تواضع في كلامه واستلان وهو يبدي حقائق لا تنكر حتى أعادهم أوفياء مخلصين منيبين ، وأوداء صادقين بتلك اللهجة المنبعثة عن نفس جبلت على الصدق والصفاء والنجدة والوفاء ، والحب والاخاء ، والتواضع والسخاء ، حتى أعاد قلوبهم صافية زائفة ولودة متسابقة عالقة ؛ والكلام صفة المتكلم .

وجاء في تحف العقول ص ٣٢ عن النبي (ص) قوله : « أقربكم مني غداً في الموقف أصدقكم للحديث وأداكم للأمانة ، وأوفاكم بالعهد ، وأحسنكم حلقاً وأقربكم من الناس » .

وفي صفحة ٣٤ منه قوله (ص) : « ود المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان ، ومن أحب في الله ، وأبغض في الله ، وأعطى في الله ، ومنع في الله فهو من الأصفياء » .

وعن ناسخ التواريخ جـ ٣ ذكر في كلمة الرسول الأعظم ص ٨٨ قوله (ص) : « من تعلم العلم للتكبر مات جاهلاً ، ومن تعلمه للقول دون العمل مات منافقاً ، ومن تعلمه للمناظرة مات فاسقاً ، ومن تعلمه لكثرة المال مات زنديقاً ، ومن تعلمه للعمل مات عارفاً » .

الأصل الثاني فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

ومن ضمن قواعد المجتمع الذي نعيش أن عصرنـا هو عصر التخصص، فالمجالات العلمية والعملية والفنية بات لكل منها متخصصون يدرسون أساليب العمل والتعامل في هذا المجال. ولما كانت سمة عصرنا الحاضر التخصص فقـد بات لكل مجال متخصصون هم القائمون على هذا المجال وبات علينـا التعامـل مـع هؤلاء كـل في مجـال اختصـاصـه، فـالـطبيب المتخصص في مـداواة الجسم البشري غير الميكانيكي المتخصص في إصلاح الأعطال الميكانيكية أو الكهـربائي المتخصص في الكهـرباء، وقـد يكون أثـر الميكـانيكي أشـد من الـطبيب فخـطأ الميكانيكي المتخصص في الطائرات قد يؤدي إلى قتل جماعة إن أخطأ في إحكـام آلة قد تكون بسيطة هذه قد تؤدي إلى سقوط الطائـرة وتحطيمهـا بما فيهـا، هذه المسؤولية تلاحق كل متخصص متعمد أو متهاون في عمله صغيراً كان أو كبيراً. حتى ذوي الحرف وقد قيل شرعاً التاجر فاجر إن لم يتفقه، فـانحراف التـاجر قد يؤدي إلى أخذ الربا، أو التلاعب بالمقياس والكيل أو الاحتيـال في الوقت أو تحويل شيء مكان آخر أو مقدار مكان آخر أو أموراً كثيرة أخرى تسبب الإضرار بالغير. وأمر التخصص ضروري في جميع المجالات للفرد والشركات والجمعيات وحتى بـدوائر الـدولة يجب أن يعهـد كل فـرع وشعبة لمتخصصـه العـالم الأمـين والمجد المخلص للملة والدين.

لذا نرى باب التقليد والاجتهاد مفتوحاً في الفقه الجعفري الإسلامي وقـد فرض قيود عظيمة في عمل كل فرد واختصاصه.

الأصل الثالث : المسؤولية الفردية

حتى لتجده يقول الشارع الحكيم في جملة : « **كلّكم راعٍ وكل مسؤول عن رعيته** » هذه الكلمة الاجتماعية الصغيرة البالغة من الأهمية مبلغاً يدركه علماء الاجتماع وعلماء القانون والنفس ، أي مسؤولية وضعها المشرع الإسلامي على كل فرد يراعي فيها سير خطواته ومعاملته وسلوكه مع نفسه والغير ، قريباً كان هذا أو بعيداً .

وإننا نجد هذه الجمل أصولاً اجتماعية لا تنفك تلازم كل فرد في خطواته الاجتماعية فلا يستطيع أن يقول لا أدري أو لا أعلم ، وعليه أن يكون واعياً في نفسه وأهله وقريته ومدينته وعمله في صحبته في قوله وفعله وفي وظيفته ومهنته في كل حركة من حركاته وسكناته تجاه نفسه وغيره ، كل ذلك بغية جلب الخير للنفس والغير ، ودفع الشر ، هذه المسؤولية الجزائية تبلغ أشدها في الإسلام ، فقد يقر المرء في الأمم والعقائد الأخرى إن استطاع في دقة متناهية أن يقوم بعمل بغية منفعة خاصة أن يصيب آخر أو آخرين باضرار دون أن يدع مجالاً للشك من الرقابة القانونية أو يؤخذ بها ، بيد في الإسلام تلاحقه تلك فالإسلام يلاحق هذا الفرد ويفرض عليه رقيباً يراقب حتى الحسنة ، ويثيبه عليها ، ونواياه السيئة . وهذه تبقى عالقة به يؤخذ عليها عند القيام بها ، هذا الرقيب هو الله الذي أشد خفاءً وصلة بالفرد من الضمير ووخزه والوجدان ونقده ، هو الله الواقف

على السراء والضراء ، المعطي والمقاصص ، الخبير المحيط ، الواقف على النفس وخلجاتها وغاياتها ومراميها ، الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها حتى قال : ﴿ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفصيلاً ﴾ ، مر ذكرها فمن لم يقاصص بنواياه وأقواله وأفعاله في هذه الدنيا فهي تلاحقه في اخراه ، وقد وجدنا أن العقيدة بيوم القيامة يوم القصاص يوم البعث إحدى أصول العدل الإلّهي .

أصل السنة النبوية في قوله : « كلكم راعٍ وكلٌ مسؤول عن رعيته » الأقرب فالأقرب ، فالمرء مسؤول عن نفسه وكيف هذبها ، من العلوم والاختيارات والتجارب والصحبة والمعاشرات والسلوك .

وكيف عودها من عادات في السلوك والمراودة والملذات والمأكل والمشرب ، وكيف أحسن لنفسه في كل واحدة منها أو أساء في كل ناحية من نواحي الحياة ، حتى لتجد الله يؤاخذ الناس على ظلمهم أنفسهم ، ونذكر آية منها أدناه :

قوله تعالى : ﴿ إنّ الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا أولم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ﴾ .

وقول رسول الله (ص) : « لا تسكنوا بلدة يحكمها ظالم » .

وقد أوردنا في العدالة آيات وسنن هذه ربما كانت أقل المسؤوليات ، وهناك المسؤولية تجاه الأصدقاء ، والمسؤولية تجاه أفراد العائلة ، تجاه الأبوين أو الاخوة أو كان رب عائلة تجاه زوجته وأولاده ، والمسؤولية تجاه من تعاشره ، والمسؤولية تجاه من تعاملهم ، المسؤولية تجاه من تعلمهم وتدربهم ، والمسؤولية تجاه من تعيلهم ، والمسؤولية تجاه الحكومة ، والمسؤولية تجاه المجتمع الإسلامي أو المجتمع الإنساني ، وحتى المسؤولية تجاه الأحياء من حيوان ونبات ، والمسؤولية تجاه الأجيال الحاضرة والماضية والمقبلة .

الأصل الرابع: المساواة بين الناس

وهذا يذكرني بجملة بالغة في الأهمية جاءت في عهد مالك الأشتر ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيثما ولاه مصر ، حيث يقول فيها : كيف يدير أمر رعيته ويحسن ولايته عليهم في قوله : (والناس إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) انظر إلى هذه العبارة الفائقة في الجمال والكمال كيف يضع الأسس الاجتماعية الإنسانية) والرفق بالرعية .

والآية هذه في القرآن : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ كما لها أهميتها في كافة النواحي العلمية والعملية المارة الذكر ، لها أهميتها في الشؤون السياسية والاجتماعية والقدرية ، وجميع الشؤون الفقهية بما فيها من أصول الدين وفروعه في الأصول المارة ، والعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية ، والشؤون الشخصية ، والموارد القضائية ، وحيث ان الزعيم يجب أن يكون فقيهاً ذو تقوى في الإسلام ، هو الزعيم الأعلى ، والمرجع الأسمى في كل الشؤون ، كان لزوماً أن يكون هذا خليفة حقاً لرسول الله وأن يكون من أعلم الأمة وأتقاهم وأعظمهم حنكة وحكمة وتجربة ، وأنفذهم إرادة وتصميماً في الأمور وأوسعهم صدراً وخبرة وبصيرة الأمور ، وأقدرهم دراية بإسناد الأمور لذويها من ولاة وحكام وقضاة وأمراء وأساتذة معلمين والخ . . . والناس على

اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأجناسهم متساوون أمام الله والعدالة وأكرمهم أتقاهم وأعلمهم .

ولم نجد بعد رسول الله (ص) من تجمعت فيه هذه الصفات كاملة إلّا في علي عليه السلام ، ذلك الذي كان حقاً كما قال في خطبته الشقشقيه: « أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة ، وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عن السيل ولا يرقى إليَّ الطير » . وبعد قوله فيالله وللشورىٰ .

وقد وجدنا كما مر[١] ولايته المعقولة والمنقولة من الله ورسوله وإجماع الأمة عليه بعد قتل عثمان بيد وقد رصد له من رصد له وحاربه من حاربه من ناكث ومارق وقاسط ، ولم يطل عهده حتى خر صريعاً في مسجد الكوفة بيد ذلك الخارجي ، وهو يقول : فزت ورب الكعبة . ولماذا لا يفوز وقد أدى واجبه وأبلىٰ بلاءه ، وأكمل وصيته عدلاً وقسطاً ، ولا أُريد أن أطيل وأخرج عن الموضوع ، ومن شاء فليراجع موسوعتنا (المحاكمات)، فقد كان عليٌّ المثل الأكمل الأعدل الأتقى والأقبل والأزكى الأطهر بعد رسول الله (ص)، الذي تجمعت فيه أسس الإمامة ، ولم يسبقه بعد رسول الله (ص) ولم يتلوه خليفة يحق أن يقال له خليفة رسول الله (ص) .

---

(١) راجع ما كتبناه في موسوعتنا عن علي في الجزء الثالث والرابع.

الأصل الخامس المشورة

ومن الأصول المشورة وقول الله تعالىٰ في الآية ٤٩ من آل عمران : ﴿ وشاورهم في الأمر﴾[1] ، وقوله في الآية ٣٦ من سورة الشورى[2] ، وأمرهم شورى بينهم تفترق الواحدة عن الأخرى في طرز

---

(١) ١٥٩ آل عمران قوله تعالى: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك * فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في. .﴾ الخ .

(٢) الشورى/٣٨ قوله تعالى : ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ . والنساء/٥٩ قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم * فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ ، فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه وإلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المغرقة ، وعن رسول الله (ص) من قصار أقواله في نهج الفصاحة :

٢٢٩٦ ــ لن يهلك امرؤٌ بعد مشورة .

٢٥٠٦ ــ لا مظاهرة أوثق من المشاورة ولا إيمان كالحياء .

٢٥٠٩ ــ ما ندم من استشار ولا افتقر من اقتصد .

٢٥٧٠ ــ ما شقى عبد قط بمشورة وما سَعَدَ باستغناء برأي .

٢٥٨٩ ــ ما ندم من استشار ولا خاب من استخار ، ولا آمن بالقرآن من استحل محارمه .

٣٠٩ ــ المشاورة حصن من الندامة وأمن من الملامة . =

المشورة ، فالأولى وشاورهم في الأمر إنما هو تدريب الصحابة من جهة على طريقة المشاورة ، ومن جهة أخرى باعتباره مقر القيادة ، والتشريع ، والأمر والنهي من الله ، والذي إطاعته هي إطاعة الله ، وانه العقل الأكمل ، والمرجع الأعلى ، والمولى . والذي أولى بالمؤمنين من أنفسهم هذا الرسول الأعظم يريد الله أن يزيده مكرمة وأن يدرب صحابته على التواضع والمكارم ويعلمهم على نكران الذات وابعاد الكبر والأنانية بجمع

= ١٦٣٧ ــ ما يستغنى رجل عن مشورة، رأس الحكمة بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس، وإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وإن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة .

١٨٠١ ــ شرار أمتي من يلي القضاء إن اشتبه عليه لم يشاور ، وإن أصاب بطر ، وإن غضب عنف ، وكاتب السوء كالعامل .

٢٩٣٨ ــ من أشار على أحد ويعلم أن الرشد في غيره فقد خانه ، ومن أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتى بلا علم .

٢٣٢ ــ إذا كانت أموركم شورى بينكم وامراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاؤكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها . وإذا كانت امراؤكم أشراركم ، وأغنياءكم بخلاؤكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها .

٣١١ ــ المستشار مؤتمن ، إن شاء أشار وإن شاء لم يشر .

٣٢١١ ــ يد الله مع الجماعة .

٦٣٨ ــ إن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد .

وقال الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر في المشورة : « أكثر مدارسة العلماء ومنافثة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك » ، وقال عليه السلام في الجماعة : اثنان خير من واحد وثلاثة خير من أربعة وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة .

ومن كلام لأمير المؤمنين علي حول المشورة في عهد مالك الأشتر قوله عليه السلام : « ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك للفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزيّن لك الشره بالجور ، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

شمل المؤمنين، وتدريبه (ص) صحابته على المشاورة ، والمداولة في أمور الإسلام ، وان يكون في هذا العمل المعلم الأول والقدوة الصالحة ، وهو المصون المزكى والطاهر المعلم من الله كما وجدناه ، فهو في الوقت الذي يتشاور معهم فهو يدربهم على أصول المشاورة وطرح الخطط وانتخاب الأصلح ، ولقد وجدناه في كل مرة يتشاور معهم كيف يدلي كل بآراءه ، وكيف يسدد هذا ويفند ذلك ، وبالتالي نجد رأيه هو الرأي الصائب ، ولماذا لا يكون ذلك وهو المستمد من الوحي ومن الله ، وهو بذاته يختلف بما ألهمه الله من العقيدة الصادقة والعقل والحكمة والرأي السديد عن باقي أمته ، ولم يكن بحاجة إلى مشورة غيره ، وقد أعلمه الله وسدد خطاه وأوقفه على كثير ممّا لم يقف عليه غيره ، ولم يكن اتباعه وصحابته على مختلف عقولهم وعقائدهم وآرائهم ودرجات إيمانهم وإخلاصهم لدين الله وتضحيتهم له من بعده إلاّ آل بيته ، أخص منهم علياً الذي انتخبه خليفة ووصياً بعده ، وأوقفه على كثير من الأسرار التي وهبه الله إليها من علم وحكمة وحوادث مدبرة ومقبلة ، ذلك الذي خصه الله بالطهارة ولم يدنسه بالرجس كغيره منذ بدأ خلقته ، ذلك الذي لم نجد رسول الله ولا مرة أمّر عليه غيره ، ولم نجده ولا مرة ان ادلى برأي أو قضى بين اثنين إلاّ وأيده رسول الله في حكمه وقضائه ، وحمد الله أن جعل من أهله من يقضي بعده بهذه العدالة ، بينما نجد رسول الله (ص) في كثير من المواقف يرد كثيراً من الصحابة أقوالهم وآرائهم التي ارتآها أو بدت تعارضه في كثير من مواقفه ومقرراته . نضرب لذلك مثلاً اعتراض عمر على رسول الله في صلح الحديبية حينما قال لرسول الله (ص) : انك قبلت الدنية لنا حينما رضيت باعادة من فر منهم (أي المشركين) لهم ولم تقر ذلك لنا[1] .

وحينما شك برسول الله ورسالته كما قال له وقد أوعدتنا بدخول مكة

---

(١) ترى شرح ذلك مفصلاً في موسوعتنا في الكتاب السادس .

منتصرين فأجابه : هل حددت موعداً وخالفته؟ فأجاب : لم تحدد . فقال له : ثق اننا سندخل مكة منتصرين ، آنذك ترى أبا بكر ينكر عليه اعتراضه ويقول : ثق أيها الرجل انه لرسول الله وان الله ليؤتيه النصر . وغير ذلك ، راجع بذلك موسوعتنا في كتاب عمر بإسنادها . وكيف أثبت رسول الله لعمر (رض) بطلان شكه وكانت العاقبة الخير للمسلمين والدنية للمشركين على خلاف ظن عمر[1] .

ثم نعود إلى الآية : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ، وترى ما يسبق هذه المشاورة قوله تعالىٰ : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ ، فالتواضع واللين هي رحمة من الله وهي دليل الحكمة وسعة الصدر الدالة على الرياسة والكياسة التي طالما امتدحها الله حتى قال تعالىٰ في كتابه : ﴿ ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ ، وقوله تعالىٰ لرسوله : ﴿ وإنك لعلىٰ خلق عظيم ﴾ ، هذه تدلنا بروابط هذه الآيات وأصول التعليمات الإنسانية التي يجب أن نكون صراطاً مستقيماً ، وهدياً يهتدي بها المسلم المؤمن ، وعبرة في حياته للسيرة الحسنة والسلوك الممتاز ، ومنها تدريب الصحابة على المشاورة وتدريبهم على نكران الذات والتواضع والسماح للأفراد للإفراج عن خوالجهم ومصالحهم دعماً للوحدة وتنفيساً للكبت الذي يولّد في الافراد والجماعات شتىٰ الأمراض النفسية والروحية وتصبح نقمة على الفرد والجماعة .

نعود لنقول ان المشاورة هي بذاتها من أبرز مظاهر الاتحاد والخلق الفاضلة ونشر الفضيلة والقضاء على البغضاء وهدم العصبيات ومحو العقد النفسية والمنابزات ، حتى نرى أن الله سبحانه وتعالىٰ يمتدح المؤمنين بأطيب الصفات التي تخصهم والتي تنجلي بها خصائصهم السامية بقوله في الآيتين ٣٥ و٣٦ من سورة الشورىٰ : ﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم

(١) ترى شرح ذلك مفصلاً في موسوعتنا في الكتاب السادس .

والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورىٰ بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ .

فالشورىٰ : إنما هي اتحاد العقول كاتحاد الأبدان ، والاخلاص في النية والقول والعمل وانتخاب الأصلح للجماعة التي يعد بسعادتها الفرد، (لا الغايات الفردية تلك التي تتجلى في المجالس النيابية التي تقام في بلاد ذات سلطة مطلقة دكتاتورية كتلك التي قامت في عهد الملوك والسلطات المطلقة الدكتاتورية ، ولا ترى لنائب من النواب في المجالس النيابية إلاَّ وقد انتخب بأمر الملك ولا أدلى برأي إلاَّ قصد بها رغبة الملك ، دون أن تكون في ذلك مصلحة عامة ومصلحة الجماعة) .

وكما أن اتحاد اثنين يكون قوة قد تتضاعف ، وربما للعشرات والثلاثة تتضاعف عن الاثنين ، وهكذا العقول ، حتى قال رسول الله (ص) : لا مظاهرة أوثق من المشاورة ، وقوله (ص) : ما شقي عبد قط بمشورة . وقوله (ص) : المشاورة حصن من الندامة وأمن من الملامة .

واشترط في المشورة الأمانة والإخلاص حتى قال (ص) : المستشار مؤتمن ، وقوله (ص): إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاؤكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وأقوال كثيرة أخرى .

وفي كل مشاورة يجب دائماً رعاية كتاب الله وسنة رسوله إذ ذلك ما تصرح به الآية القرآنية التالية : النساء/٦٢ : **﴿ يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾** ، فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه وإلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ، والقصد من أولي الأمر هم الذين ولاهم الله بكتابه أو الرسول في سنته ، الذين منحوهم الإمارة على المسلمين ، ومنهم من عينهم رسول الله على الأقاليم التي انضمت إلى رقعة المسلمين .

ولا يجوز أبداً الاكتفاء بالقرآن وترك السنة ، لأن السنة واجبة كوجوب كتاب الله بما نزل مؤكداً في كتاب الله بوجوب أتباع سنة رسوله ، وإنَّ تركها كترك كتاب الله ، إذ اننا نجد أن السنة هي المفصلة لأصول وفروع الدين ، كالصوم والصلاة والحج والزكاة والصيام والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكثير غيرها ، وإن السنة جاءت بكثير من أمور لم نجدها في الكتاب ، وكل من قال اننا نكتفي بكتاب الله فقد حادد الله ورسوله وخالفهما وابتدع في الإسلام بدعة وأدخل وأخرج من الكتاب والسنة وشملته الآيات الثلاثة : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ (أو الفاسقون أو الظالمون) والآيات الكثيرة المارة الذكر في مخالفة الله ورسوله .

وقد قال رسول الله (ص) عمّن قال ذلك بأن أمّته من بعده ستنتهج نهج أهل الكتاب من بعده من بني إسرائيل في تحريف التوراة والإنجيل وإظهار البدع[1] .

ولقد ثبت أن الخلفاء الراشدون الثلاثة الأول أبا بكر وعمر وعثمان (رض) منعوا تدوين السنة بدعوى أن عندنا كتاب الله ، ورغم أن الصحابة أجمعوا على التدوين عند مشاورة عمر لهم أصر على منع تدوينها[2] .

---

(١) راجع موسوعتنا الولاية والمحاكمات الجزء الخامس والسادس ١٤٢ و١٤٣ وتوابعها في الصفحات الثلاثة الآتية .

(٢) سورة البقرة: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم وإياي فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإيّاي فاتّقون ﴾ . و٤٢ منه : ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ ، و٤٤ منه : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ . و٧٩ منه : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ ، و٧٥ منه : ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون =

بدعوى أن السنة قد تضيع كرامة القرآن ، أو تختلط وتشوّه مفعوله لذا منعوا تدوين السنة بل ومنعوا نقل أحاديث رسول الله الذي قال (ص) : نصر الله امرءًا سمع منا شيئاً فبلّغه كما سمعه . وقال أيضاً : « نصر الله امرءًا سمع

= كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ ، و١٥٩ منه : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ ، و١٧٤ منه : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاَّ النَّار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ .

وفي سورة آل عمران/١٨٧ : ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون ﴾ ، و٧٨ منه . والنساء/٤٥ : ﴿ من الذين هادو يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا ﴾ .

من سورة المائدة/١٣ : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلاَّ قليلاً منهم . . . ﴾الخ.

وبعدها راجع ما ورد في القرآن عن النبي وقد ذكرناه في باب النبوة لترى أن اطاعة النبي اطاعة الله وأقواله وأوامره هي من الله ، فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحي يوحى ، وكل تحريف وكل ما يوجب تضعيف أقواله وعدم الأخذ بها ومخالفتها إنما هي محاددة لله وكفر مأخوذ عليه في الدنيا والآخرة .

قال (ص) : كما جاء في نهج الفصاحة (٣١٢٤) : نصر الله امرءًا سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه . ولقد وجدنا عدم تدوين السنة ومنع أحاديث رسول الله بحجة ان عندنا كتاب الله هو محاددة لله ورسوله بل هو الفسق والظلم والكفر ومخالفة لأوامر الله ورسوله ذلك الذي بدأ بمنع أبي بكر لتدوين السنة والحديث وتلاه عمر وعثمان(رض)، وجاء عهد بني امية للدس والوضع والتحريف حسب أهوائهم وغاياتهم وأهدافهم حتى أدى إلى انقسام الأمة إلى مذاهب وفرق كل ينادي ويخالف ويكفر الآخر ، راجع لتثبيت ان رسول الله تنبأ بانحراف امته على يد امرائها عن سنته ما ورد في سنن الدارمي ١/١٤٥ باب السنة قاضية على كتاب الله عن حديث حسان .

منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فـرب حامـل فقه إلى مـا هو أفقـه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه . كمـا صرح بهـا رسول الله ان امتـه تجريهـا بعد مـوته حـذو النعل بـالنعل كمـا أجراهـا الفسقـة الكفـرة من أهـل الكتـاب من بعـد موسى والنبيون من بعده ». راجع بذلك كتب السنة والشيعة من بعده[1] .

فـالقول بـالقرآن وحـده وترك السنـة نكـران القـرآن والسنـة ، وبـدعـة إسـرائيلية وتجـاهل بـل محاورة لمـا أمر بـه الله في القـرآن ، راجـع بـذلـك الآيـات : ١٨٥ آل عمـران ، و١٨ و١٩ لسـورة المـائـدة ، و٣٩ و٧٥ و١٤٢ و١٧٠ و١٥٥ البقرة ، تلك هي تحريفات ودسائس إسرائيلية[2] .

---

(١) وسنن أبي داود ٢/٢٥٥ .

(٢) وسنن الترمذي باب نهي النهي عمّا يسمع عن أحاديث الرسول (ص) ١٠/١٣٢ سنن ابن مـاجه في تعـظيم أحاديث الـرسول من مقـدمـة ١/٦ ، ومسنـد أحمـد ٤/١٣٢ و١٣١/٣٠ ، عن مقـدام . وأيضـاً سنن أبي داود ٢/٢٥٦ في وجـوب السنـة وسنـن الترمـذي ١٠/١٣٣ ، وابن مـاجـه ١/٦ ، ومسنـد أحمـد ٦/٨ ، عن عبـدالله بن أبي رافـع . وأيضـاً في سنن أبي داوود ٢/٦٤ بـاب تعشيـر أهـل الـذمـة كتـاب الخـراج عن عرباض بن سارية .

في مسند أحمد ٢/٣٦٧ عن أبي هريرة.

وأدناه أحاديث تدل على أن هذه الأمة سارت حـذو النعل بـالنعل حسب مـا أنبأ بـه رسول الله (ص) ما يحصل بعده من الـوضع والـدس والتحريف والتـزييف باسم الـدين ، وبدأ منع تدوين السنة منذ عهد أبي بكر ثم عمر ثم عثمان (رض) وتهيئة الأمر لبني امية وبنو العباس ، وبذلك خلفت المذاهب والطوائف والعـداء والتفرقـة والضعف بسبب ذلك المنـع الذي تـلاه التلاعب بـالسنة والتحـريف بتأويـل الكتاب. راجـع صحيـح البخـاري جـ ٢/١٧٢ كتاب الأنبياء ، وباب ما ورد عن بني إسـرائيل ، وبـاب سيرتكم حـذو ما مـر في سنن من قبـل من كتـاب الاعتصـام بـالكتـاب والسنـة ، ومـا ورد في كنـز العمـال ١١/١٢٣ كـل ذلك روي عن أبي سعيـد الخدري ، ومثله مـا جاء في مسنـد الـطيـالسي الحـديث ٢١٧٨ ومسند أحمـد ٣/٩٦ وصحيح مسلم في شـرح النووي ١٦/٢١٩ ، ومـا رواه ابن حجر في فتح الباري ١٧/٦٤ مسنداً للإمام محمد بن إدريس الشافعي . =

قلنا عن أولي الأمر ، هم الذين أشار لهم القرآن الكريم إنما هم الذين وردوا في آيات قرآنية أو سنن نبوية لا يحق أن يكون إلاَّ منتخباً من هاتين المصدرين ، وان رضينا بغيرهم فقد رضينا بكل جبار فاجر وظالم كافر ، من تظاهر بالإسلام وهدم أسسه أو من جاهر بالعداء له وأراد محقه ودرسه من كل مبتدع منافق ودساس مشاقق أو ملحد جاحد أو مشرك معاند ، ممن أكل عليهم الزمن وعرفنا حقائقهم من خلفاء وأمراء أمثال معاوية وابنه يزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم وابنه عبدالملك وحفيده الوليد وعمالهم ، أمثال : ابن أرطأة وعبيد الله بن زياد والحجاج ابن يوسف الثقفي واضرابهم الذين لم يبقوا رذيلة في الإسلام من الفتك بالأبرياء

= وفي صحيح البخاري في شرح فتح الباري ٦٣/١٧ ، وسنن ابن ماجه الحديث ٣٩٩٤ ، ومسند أحمد ٣٢٧/٢ و٣٦٧ و٤٥٠ و٥١١ و٥٢٧ ، وكنز العمال ١٢٣/١١ كلها مروية عن أبي هريرة .

وكذلك ما ورد عن أبي الواقد الليني في سنن الترمذي ٢٧/٩ ـ ٢٨ ومسند أحمد ٢١٨/٥ ومسند الطيالسي الحديث ١٣٤٦ ، وكنز العمال ١٢٣/١١ باب الأقوال من كتاب الفتن .

وما ورد عن عبدالله بن عمرو في سنن الترمذي ١٠٩/١٠ في أبواب الإيمان والدر المنثور للسيوطي ٦٢/٤ حول تفسير الآية من سورة البقرة: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا﴾ في سورة آل عمران عن مستدرك الحاكم .

وما ورد عن ابن عباس في مجمع الزوائد ٢٦١/٧ عن البزاز والحاكم ، وكنز العمال ١٢٣/١١ عن مستدرك الحاكم ، ذلك بعض ما ورد في كتب أهل السنة .

وأما الشيعة فقد جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن جده رسول الله (ص) في كتاب إكمال الدين للصدوق ص ٥٧٦ ط حيدري سنة ١٣٩هـ ، وذكره المجلسي في البحار ٣/٨ والطبرسي في مجمع البيان وكتاب جلاء الأذهان للكازر حول تفسير ﴿ ولتركبن طبقاً عن طبق ﴾ .

وبالتالي راجع كتاب الأديان السماوية حول التحريف للعلامة المحقق السيد مرتضى العسكري حفظه الله وأيده .

والصلحاء والتلاعب بمقدرات المسلمين بالقهر والغلبة ومحاددة الله في تحريف الحدود والسنن ووضع الأحاديث وتشويه الحقائق وكل منكر وموبقة يتبرأ منها القساة والطغاة ممن سبقهم ولحقهم من الملوك والأمراء ، ومن ينكر أفعال معاوية من قتل الأبرياء من صحابة الرسول وأشياعهم وخيرة المسلمين ، ووضع سب أسبق المسلمين وأتقاهم وأعلمهم وأزكاهم علي بن أبي طالب عليه السلام كسنة يفتتح بها خطبهم ودسهم وتحريفهم ووضعهم وتبديلهم لسنن وأحاديث رسول الله ، ولم ننس وقائع يزيد في كربلاء وقتله على يد ابن زياد خير آل رسول الله وسيد شباب أهل الجنة حبيب رسول الله (ص) ووقعة الحرة في قتل أهل المدينة وهتك أعراضهم وضرب مكة وشربه الخمر ، وتفاخره بعد تدمير المدينة وقتل أبنائها وهتك أعراضهم واستباحتها لجيشه الشامي ناشداً :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل . الخ .

وهو يعني ويتمنى لو يشهد أجداده المشركون المقتولون في معركة بدر بيد المسلمين أخص الأنصار وكيف انه أخذ لهم بالثأر من المسلمين سكان المدينة من الخزرج ، وقول الوليد بن عبدالملك حيثما أراد أن يستفتح بالقرآن فوجد الفاتحة آية تهديد ووعيد فغاظه ذلك وعندها أخذ يرمي القرآن بسهمه ويمزقه قائلاً :

تهددني بجبار عنيدٍ وها أنا ذاك جبار عنيد
إذا لاقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

وأما فتك عمّالهم وقوادهم بالمسلمين أخص ابن ارطأة في اليمن والحجاز والحجاج في الحجاز والعراق ، وما أحدثوه في الشرق والغرب من أنواع المظالم والمذابح ما يقشعر منه الأبدان ، وتجزع منه النفوس . ويكفّرهم حتى نمرود وفرعون وعاد وشداد ، وهاك الآية : ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفرو به** ﴾، كما ورد في ص ١٢٨ .

وبعـد أيجوز اطـاعـة هؤلاء بـأنهم أولـو الأمـر الـذين فـرض الله علينـا طـاعتهم وأذن ، فأين الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكـر؟ وأين كتـاب الله وسنـة رسولـه؟ وأين هي الحـدود؟ وقـولـه تعـالىٰ في القتـل والضـرب وأذى المؤمنين في كتـاب الله؟ وأين العظات ؟ وكيف يجـوز الخنوع والـرضا بهـذه المعاصي من إمام جائر ظالم فاسق وكـافر؟ وهـل يجوز أن نـطلق على أمثال هؤلاء أولي الأمـر الذي ورد ذكـر طاعتهم في القـرآن الكريم؟ ، فلمـاذا قاوم الإسـلام ونبي الإسلام زعمـاء مكة وأمـراء القبائـل والملوك والسلاطين وكـل منهم له امارة وولاية وهو لا يـزال فقيراً وضعيفـاً كان عليـه طاعتهم ، لا أبـداً ليس هؤلاء أولي الأمـر وإنمـا أولي الأمـر هم الـذين نص الله عـز وجـل في قـرآنه عليهم وأشـار إليهم ومن نصبهم رسـول الله وعيّنهم ، وليس الغـاصبين وان تغلبـوا والآمرين وإن حكمـوا ، ولهـذا تـرى الفـرقـة والتفـرقـة والضعف والهـوان ، لأن بعد رسـول الله انقلبـوا على أولي الأمـر واستبـاحـوا حـرمتهم وأوقفـوا أوامر رسـوله في سنتـه وأهـل بيت العصمـة ، وابتـدعـوا لهم بـدعـاً أقاموها مقام السنة ، وحاددوا بـذلك الله في دينـه ، وسارو سيـرة من حاربهم الإسـلام وعادت الجـاهلية التي حـاربها الإسـلام تحت لواء مصـطنع وبـرقع مزركش ظاهره الإسلام ، وبـاطنه الشـرك والإلحاد ، فكـانت عاقبـة الأمر مـا نجده من الضعف والوهن والفرقة والمحن.

فالغاية من الآية المـارة وأمرهم شـورىٰ بينهم إنما يـريد بهـا المصالـح الإسـلامية المـطابقة للقـرآن والسنة ، وأمـا المخـالفـة فتلك التي نهت عنهـا الآيـة في النجوى[1] من سـورة المجادلـة ، الآيات : ٦ إلى آخـر السـورة ، تجـد فيها نـوعاً خـاصاً من المشـاورة والنجوى ، وتـرى فيها كيف يمنـع الله

---

(١) سورة المجادلة الآية ٥ و٦ : ﴿ إن الـذين يحادون الله ورسـوله كبتـوا كمـا كبت الـذين من قبلهم ﴾ ، و﴿وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب أليم﴾، و٧ و٨ منـه : ﴿ ألم تـر أن الله يعلم ما في السمٰـوات وما في الأرض مـا يكون من نجـوى ثلاثـة إلاّ هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سـادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثـر إلاّ هو معهم أينمـا كانـوا =

النجوى والمشاورة فيما يحاور الله ورسوله ويأمرهم بالنجوى والحديث فيما أمر الله به ورسوله ، فالمشاورة والشورى والنجوى يجب أن تكون مطابقة لما أمر الله به في كتابه ورسوله في سنته في القول والعمل .

المجالس النيابية والاستشارية :

كل هذه المجالس في الإسلام يجب أن تتكل على الكتاب والسنة ومن بينها الآيات: سورة النحل/٤٣ : **﴿وما أرسلنا قبلك إلاَّ رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** ، وقوله تعالىٰ : **﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾** . سورة الزمر ١٧ ـ ١٨ .

وأقوال رسول الله وسنته المارة الذكر ص ١٢٧ وحثه على تبليغ أحاديثه وسنته صحيحة كما جاء في نهج الفصاحة قوله صلى الله عليه وآله :

٣١٢٤ ـ نصر الله امرءًا سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه .

٣١٢٥ ـ نصر الله امرءًا سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فربما حامل فقه إلى ما هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه .

٢٦٠٨ ـ (وحث رسول الله (ص) على النصيحة) قوله (ص) : الدين النصيحة .

٢٠٧٤ ـ قوله عن الله تعالىٰ : أحب ما تعبدني به عبدي النصح لي .

= ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ . و٨ منه : ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهو عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ، وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ﴾ . وقوله تعالىٰ في الآية ٩ منه : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴾ ، و١١ منه و١٣ منه و١٤ منه و١٥ منه إلى ٢٢ منه .

وقد مر وذكرنا عن رسول الله (ص) كم للمشورة من ميزة وأثر ، وان المستشار مؤتمن ، والحقيقة لو محصنا كل فرد من رجال مجالس التأسيس والمجلس النيابي وغيره من المجالس العامة لوضع القانون الأساسي الدائم للحكومة الإسلامية المستمد من القرآن والسنة للشريعة الإسلامية بأصوله وفروعه القائمة الثابتة الدائمة الرامية لمصالح الفرد والجماعة ، كأصلح ما تجب لهم السعادة والهناء ، قوله تعالىٰ : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ ، وتدفع عنهم البؤس والشقاء ، ومثلها القوانين المدنية الحقوقية والجزائية والادارية والاقتصادية ، والأحوال الشخصية والتجارية ، والقوانين العامة الأخرى والخاصة في شتى مجالات الحياة من تربية وتعليم وموارد صحيَّة وفنيَّة وغيرها مهما كانت ، والتي يحتاجها هذا المجتمع البشري الإسلامي وغير الإسلامي ، كل واحد وحسب أهميته ، يلزم أن يتألف كل مجلس خاص أو عام لقصبه أو قرية أو ناحية أو مدينة كبيرة أو صغيرة ، وكل مجمع أو محفل أو مجلس يخص أمراً اجتماعياً علمياً أو فنياً مهنياً أو حرفة أو شؤون اقتصادية وزراعية أو صناعية أو هندسية أو طبية أو أي شيء آخر فيه لكافة أفراد ذلك المجتمع الصغير أو الكبير حصته في الرأي من الذكور والاناث المميزين البالغين لانتخاب الأعلم والأمهر والأشد إخلاصاً والأتقى في الحياة ليقوم نيابة عن جماعة الناخبين ويمثلهم ويراعي مصالحهم العامة والخاصة ، فَطَوْراً يمثل هذا النائب عدداً معلوماً من أطباء أو مهندسين أو قضاة أو معلمين ، أو تجار أو زراع أو ذوي حرف خاصة من عطارين أو بقالين أو خرازين أو خبازين أو قصابين من بائعي المفرد وآخرون من بائعي الجملة ، وآخرون من المستوردين أو من المصدرين .

وهكذا والقصد أن يكون لكل ممثل خبرة عن أسرار وحقائق مُنْتَخِبيه وأعمالهم الخاصة والعامة ونواقصهم وزوائدهم وآثارها عليهم وعلى المجتمع الأعم ، وهذه الاجتماعات الصغيرة تتجمع ممثلوها في النواحي والأقضية التي تضم تلك القصبات والقرى وهؤلاء بدورهم ينتخبون من بينهم من هو أصلح يمثلهم في مراكز الألوية واجتماعات الألوية يقوم بدورها لانتخاب

الأصلح الذي يمثل الجميع في العاصمة ، ويحدد لكل مجلس عدد أعضاء لكل منهم صفة خاصة عن مناطقهم وعامة عن جميع القطر ولمصلحة عامة مشتركة ، ويستمر كل من نواب القرى والقصبات والنواحي والأقضية والألوية والعاصمة بدورهم الخاص من الاجتماعات المحلية بصفة خاصة لإدارة شؤون البلدية من ناحية الصحة والعمران والإدارة وضروريات مالية واجتماعية كما يجتمع نواب وممثلوا كافة القطر لبحث الأنظمة والقوانين العامة لخير الشعب ووضع ما يحتاج تعديله من حين لآخر مع العلم أنها جميعاً تتصل بمبدأ العدالة الشرعية والحدود التي يقرها الفقه الإسلامي من كافة الوجوه المالية للجمع والصرف وغير الأمور المالية من آخر ما وصلت إليه الحضارات البشرية في العلوم والفنون والإدارة والتجارة وكل صغيرة وكبيرة ، وتحاول في كل مرة أن يكون النفع عاماً تارة لجميع أفراد الأمة وأخرى عاماً لأفراد الطبقة الخاصة من ذوي المهن والحرف ، كالأطباء والتجار والصناع والمهندسين دون أن يعني النفع لذات واحد أو أفراد معينين وعندها تحتل العدالة والموازنة ، وتحتل المقاصد الديمقراطية من معاني الديمقراطية الإسلامية من خدمة المجموع للمجموع ، ومن قصد بها منفعة خاصة فردية كشخصية متنفذة مهما كانت أو اشخاص وجماعة معينين بالذات ينتفعون بها دون غيرهم من مجموع الشعب .

وعندها تختل العدالة والموازنة ، وربما كان العمل الخاص هذا فيه منفعة خاصة مرموقة دون أن يكون فيه ضرر أو أي اجحاف على الآخرين . وهذا أيضاً يجب أن ينظر إليه من جهتين مادية ومعنوية ، وأن يكون النفع المادي غير مقرون بضرر معنوي وشعور عداء ومنافسة تؤدي إلى اجحاف وعدم مساواة في المستقبل ، وعلى كل حال ان تكون منافع الجماعة مقدمة على منافع الفرد دون أن يكون فيه اضرار واجحاف على جهة ، وأن يكون العمل المقصود خارجاً عن كونه عقاباً وقصاصاً، بل علاجاً واصلاحاً ، وان ينظر دوماً لجمع الشمل وربط الهمم واحكام الالفة والقلوب وجلب محبة ورأفة الآخرين في محيط لا يدنسه الحسد والغيرة والكبرياء والرياء مغدقاً

بالبر والإحسان والإيثار ونكران الذات في سبيل بني النوع والمصالح العامة ، وأن يكون الزعيم خادماً حقاً للجماعة لا قهرماناً وكلاً ومجحفاً سيان منها أكان هذا الاجحاف والشعور مادياً أو معنوياً . وأن يكون أداء النصح له صلة بالضمير والوجدان ، وصلة وثيقة بالله العالم بالمغيبات والواهب المعطي والمنتقم الجبار الرحمٰن الرَّحيم ، والمهيمن المبدع ، يجب أن تكون أعمالنا مقرونة بإيمان وإخلاص ديني وتقوى روحية وعقيدة راسخة ولهذا فنحن بحاجة إلى تهذيب أخلاقي إسلامي رفيع مستمد من روح الإسلام من الكتاب والسنة النبوية وسيرته وسلوكه ، وهداة كقدوة صالحة حكيمة رشيدة كما طرأه الله في كتابه : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ ، وقوله تعالىٰ له : **﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظاً لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾** ، مع العلم أنه الزعيم الروحي والقائد الأعظم بيد نراه بكل خطوة في خطواته يتودد إلى صحبه ويجسون فيه عدى كبر النفس والهمة والجد والاخلاص ومكانة الزعامة أنه يساويهم في كل شيء ويعطف عليهم ويشملهم بأرق إحساساته بكل لين ورحمة ، ولا يجدون فيه ملمساً من الغلظة والفظاظة والكبرياء فهو منبع الخير وواهبه ومعلم الفضائل بنيته وقوله وعمله، هو الأب الرؤوم الحنون ، وصاحب الايثار على نفسه وتلامذته أقربهم إليه أشبههم به ، أولئك الذين نزلت فيهم أرق الآيات لرفع شأنهم وامتداح مقامهم في آيات كثيرة وسور جمّة منها سورة الدهر ، قوله تعالىٰ في الآية ٤ إلى ٢٣[1] .

هذا الإيثار وهذه التقوى وهذا الحب في الله يجب أن يتجلى بها رجال الله المنتخبون من الشعب ، وعندها يأكلون هم والمنتخِبون من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم ونعم السعادة الجنس البشري .

تلك هي المجالس ، وتلك أفرادها ، وتلك مشاوراتهم ونصحهم في

---

(١) قوله تعالىٰ : **﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً * عيناً =**

كل أمر ينصحون لله ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه، ولا يـرجون من أحـد غير الله جزاءً وثواباً .

هكـذا يجب أن يكـون الاعضــاء المنتخَبـون من نــواب وممثلين عن الشعب في الأمـة الإسلاميـة ، وأن يكونـوا حـريصين على أداء الـواجب من جلب الخيـر ودفع الشـر عن مجموع الشعب والشـورى من الأصول المهمـة جداً ، وربما كان أساساً بعد أصـول العقائـد لتشكيل جـامعة بشـرية إنسـانية متناسبة عادلة متزنة برة سعيدة .

وأمـا ذوي الـرأي والحـل والفصـل في المشـاورات فيلزم أن يكـونــوا قسمين قسم دائمي مدى الحياة وهم مراجع التقليد من ذوي الاختصاص من الدرجة الأولى من خيرة الخبراء المتقين ، عليهم دومـاً أن يتفقوا على زعـامة أحـدهم بالنسبـة للعلم والتقـوى والقـدرة على الاجتهـاد ، ورحـابـة الصـدر والادارة الفذة والاحاطة بأمور الفرد والجمـاعة والخـدمة الـدائمة الخـالصة ، ولهم حق الاشراف على الدولة والقول الفصل ولهم وحدهم كـل أربعة سنين من تبـديل الـرئيس من بينهم وان يتضلعـوا عـدا الفقـه بـالسيـاسـة العـالميـة والاقتصاد العالمي والشؤون العامة والخاصة والكـلُّ دائميون،وأعضاء موفقون ينتخَبون كل سنتين وان تكون الدولة اسلامية وللأقليات حق الرأي والتسـاوي في الحقوق ما ساروا مطيعين للقوى التشريعية والتنفيذية .

= يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً * يوفون بالنذر ويخافون يوماً كـان شره مستـطيراً * ويـطعمون الـطعام على حبـه مسكيناً ويتيمـاً وأسيرا * إنمـا نطعمكم لـوجـه الله لا نـريـد منكم جـزاءاً ولا شكـورا . . . ﴾ حتى يقـول في ٢٢ منـه : ﴿ إن هـذا كـان لكم جـزاء وكان سعيكم مشكوراً ﴾ .

الأصل السَّادس[1] ـ الحريات

وهـذه الحـريـات جـاءت صـريحـة في الكتـاب[2] والسنـة[3] (ومنهـا حقوق البشر) :

---

(١) منها الحرية الشخصية للنفس والمال والعرض ، حرية الاجتمـاعات للمشـاورة والمداولة كالأحزاب وغيرها ، والعمل ، والقول والطبع والنشر ، وحرية العقائـد ، وحريـة التعليم ، والتربية ، وحرية المراسلات والمخـابرات والتجـارة والتملك (على شريـطة أن لا يضر بالنفس والغير بفرد أو جماعة)

(٢) امـا في الكتاب فـترى حـريـة العقيـدة في كثيـر من سـوره ، أخص في سـورة الكافرين قـوله تعـالى : ﴿قل يـا أيُّها الكـافرون* لا أعبـد ما تعبـدون* ولا أنتم عابـدون مـا أعبد. . . . . لكم دينكم ولي دين﴾، وقـوله: ﴿لا إكـراه في الـدين. .﴾، والآيـة ١٠ و١١ و١٢ و١٣ من سـورة الحجـرات ، وبهـا تـرى تســاوي البشـر في جميــع حقـوقهم وشؤونهم من أحسـاب وأنسـاب وعقـائـد وأفكـار وأعـظم ميــزة يميـزهم عن بعضهم هي التقوى ام الفضائل ، الداعية لجميع الفضائل وهـدم الرذائـل والموبقـات وهناك فـرق بين العـالم والجاهـل ، قولـه تعالىٰ : ﴿ هـل يستوي الـذين يعلمون والـذين لا يعلمون ﴾ . وسـورة النـور الآيـة ٢٧ قـولـه تعـالىٰ : ﴿ يـا أيُّهـا الـذين آمنـوا لا تـدخلوا بيـوتـاً غيـر بيوتكم. . .الخ) فيهـا حريـة السكن ، وحريـة المشاورة والمشـورة ، وقد مـرّ ذكرهـا في القـرآن والسنة ، وفيهـا تـرى التسـاوي في الحقـوق بين كـافـة الفـرق والعقـائـد والنحل والألـوان والأعراق واللغـات والأزياء والجنسين الـذكر والأنثى وليست هنـاك ميزة تميـزهم سـوى التقوى والعلم بمـا في ذلك ذوي العـدل والبـر والاحسـان والخلق الكـريمـة حيث التقــوى أخص منهـا إذا مــازجت العلم جمعت كـل الفضــائــل كمــا ورد في ســورة الحجرات . =

وهذه الحريات تجمع منذ نزل القرآن وصحبتها سنة رسول الله (ص) في أعماله وأقواله كل المكارم والخلق السامية والعدالة والبر والإحسان ، وأما حقوق البشر التي نُطِق بها أخيراً في هذا القرن فما هي إلَّا بعض ميِّزاتها من العدالة وتساوي الحقوق وما أوجبت من حقوق للفرد وللاجتماع من الحرية الفردية في نفسه وماله ومعاملاته وأقواله وأعماله وما يعتقد ويقول وينشر ويكاتب ويخابر ، وحرية الاجتماع والذهاب والاياب والتساوي في المحاكمات والسكنى والإقامة[٤] ، والمهاجرة والتعليم والمطالعة والبيع والشراء والأكل والشرب (على شرط أن لا يضر بنفسه وغيره) ، فالظلم والضرر بأنواعه سواء كان هذا يمسه أو يمس غيره ممنوع إلَّا إذا قضت العدالة وحكمت الشرّيعة القصاص والجزاء العادل .

ومع هذا فالآية تقول : ﴿ وإن تعفو أقرب للتقوى ﴾ .

وحقوق البشر التي قالها المصلحون أخيراً وهي المأخوذة من ذلك

= (٣) سنة رسول الله (ص) كما وردت في خطبة حجة الوداع ، قوله (ص) : « أيّها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا » ، ويخص حرية النفس والمال ، وذكره الحقوق المتقابلة بين الرجال والنساء ، وإن كل مسلم أخ للمسلم فلا يحل لامرىء من أخيه إلَّا ما أعطاه عن طيب نفس منه . . الخ .

وجاء عنه (ص) في نهج الفصاحة قوله :

٣١٧ ــ أشرف الإيمان أن يأمنك الناس وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك .

٢١٦٦ ــ كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه .

٢٤١٤ ــ ليس منا من غش مسلماً أو ضره أو ما كره . وقوله المسلم من سلم الناس من يده ولسانه

٩٠٩ ــ ان من أعظم الخطايا من اقتطع مال امرىء مسلم بغير حق .

٢١٥٢ ــ كل ذي مال أحق بماله يصنع به ما يشاء .

(٤) راجع الفصل الخاص كتابنا الحكومة العالمية المثلى .

النهج القويم الإسلامي الذي طبقه نبي الإسلام (ص) تطبيقاً عادلاً لم نجده مطبقاً حتى في الدول التي قالت به مثل إنكلترا وفرنسا وأمريكا وغيرها ، أخص عندما نعود لتبعيضها مع البشر في استعمار الشعوب ، وشن الحروب ، والفتك الذريع الذي تقشعر منه الأبدان ، وتمجه الأسماع ، الأعمال الوحشية الهتلرية ، والظلم الفظيع الذي استعملته أمريكا الداعية للحرية بإلقاء القنابل الذرية على هيروشيما ونيازاكي ، وفتكها بالأبرياء من شيوخ وأطفال ونساء وأعمالها الوحشية في كوريا وفيتنام ، وأعمالها في الشرق الأوسط والجاسوسية المقيتة في إيران[1] المستمدة من (C. I. A.) الأمريكية وإقامة الاضطرابات في كافة البلاد منها العربية ، وخلق إسرائيل كبؤرة انتانية تستبيح بواسطتها منابع الثروة النفطية ، وغير النفطية ، بإقامة الحروب المصطنعة بين عشية وأخرى وهذه لبنان الدامية وفلسطين الممزقة وأهاليها السبايا ، وهذه سوريا ومصر والأردن الحيرى ، وتلك تركيا وباكستان المبعثرة المصدعة بأيدي العابثين ، ولا ننسى رئيس وزرائها باكستان بوتو قبل سقوطه وهو يصرخ ان أمريكا تهدده وقد قتلته وعذبته ، وهذه المؤامرات المستمرة في أفريقيا وأمريكا الجنوبية وأوروبا ، فإلى متى وأين الحقوق البشرية المزعومة! وهيهات أن ترضي الشعوب الأمريكية بذلك ، هذه في بلاد الحرية والديمقراطية الأمريكية والرافعة مجسمة الحرية على أشهر مدنها[2] فخراً .

وإنك لترى في الكتاب آيات[3] وفي السنة أحاديث نبوية[4] تعطي

---

(١) الساواك .

(٢) الساحل البحري لمدخل نيويورك .

(٤) قال تعالىٰ : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ ، والآيتين ١٥ و٧٧ من سورة الحج قوله تعالىٰ : ﴿ ما جعل الله عليكم في الدين من حرج ﴾ . وقوله تعالىٰ : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرجها لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا . . . ﴾ الخ . وحتى نجد القرآن ينعت رسوله بحسن الخلق ولين العريكة ، قوله =

الفرد منتهىٰ ما يتوخاه من حرية وتنزع من كاهله كل حمل ينوء به ، كما أن الحيثية عند الأشخاص واعراضهم يجب أن تكون من الحقوق المصانة ، ولا يجوز التعرض إليها بأي نوع من الأنواع العامة والخاصة ، نطق بها الكتاب[5] والسنة[6] النبوية ، وستأتي بصورة مسهبة في الأصول الاجتماعية والأصول الأخلاقية وغيرها وسيأتي ذكرها .

= تعالىٰ في سورة آل عمران/١٥٣ : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك. . .** ﴾ الخ. وجاء في الحديث (٢١٦٠) من أحاديث رسول الله (ص) في نهج الفصاحة قوله (ص) : « كل مشكل حرام وليس في الدين مشكل » .

(١) تجدها في كثير من السور مثل سورة الحجرات الآية : ٦ و٩ و١٠ و١١ و١٢ و١٣ والآية ٥٧ و٥٨ الأحزاب ، قوله تعالىٰ : ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما كسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً** ﴾ .

(٢) وجاء في الحديث في نهج الفصاحة قوله (ص) في الحديث ٩٦٧ : « أهون الربا كالذي ينكح أمه وإن أربىٰ الربىٰ استطالة المرء في عرض أخيه » . وقوله (ص) في الحديث (٢١٦٢) : كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله . والحديث (٢٤١٤) ليس منا من غش مسلماً أو ضرّه أو ماكره . والحديث (٢١٤٤) كف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك ، وفي ٢١٤٦ : كل معروف وصدقة ، وفي (٢١٥٢) : كل ذي مال أحق بماله بماله يصنع به ما يشاء ، وفي (٢١٩٦) : الكلمة الطيبة صدقة .

الأصل السّابع : العلم والعلماء

ونرى كتاب الله قـد أشاد بـالعلم[1] والعلماء والحكمـة[2] والحكماء ، فكـان للعلم المقام الأسمى ، والعلم واسـع الأرجـاء ، لم يحـدد بنـوع ولم يقف عنـد احـداهـا من فقـه وأصـول وحسب بـل العلم اطـلاق على العلوم الفقهية والأدبية والحكمية والطبية الرياضية والكيمـاوية وغيـرها ، ويبحث في الفنون والصناعات والاقتصاد وعلوم النفس وغيرها .

وهذا القرآن نشاهد فيـه آيات تشيـر فيه لعلم الفلك وطـرفاً من فـوائده للبشر وأصول الـوقايـة والصحة ، قـوله : ﴿ كلوا واشـربوا ولا تسـرفوا ﴾ ، وعن الروح[2] ، ويشيد بـالعلم والحكمة ودرجـة أهميتها ، والمقـام الشامـخ

---

(١) الزمر/١٢ قوله تعالىٰ : ﴿ هل يستـوي الذين يعلمـون والذين لا يعلمـون إنما يتـذكر أولـوا الألباب ﴾ ، ﴿ ومن يؤتى الحكمـة فقد أوتي خيـراً كثيراً ﴾ ، ﴿ هـو الـذي جعـل الشمس ضيـاءً والقمـر نـوراً وقـدّره منـازل لتعلمـوا عـدد السنين والحسـاب. . ﴾ الخـه ، يـونـس / ٥ ، وفي سـورة الأنبيـاء/٣٢: ﴿ وهــو الـذي خلق الليـل والنهـار والشمس والقمــر كـل في فلك يسبحــون ﴾ ، وفي سـورة يس : ﴿ والشمس تجــري لمستقـر لها ذلـك تقديـر العـزيـز العليم والقمـر قـدرنـاه منـازل حتى عـاد كـالعـرجـون القديم﴾ .

(٢) قوله تعالىٰ في سورة الإسـراء/٨٤: ﴿ ويسألـونك عن الـروح قل الـروح من أمــر ربي ومـا اوتيتم من العلم إلاَّ قليـلاً ﴾ . والنسـاء/١٦٠ قــولـه تعــالىٰ : ﴿ لكن الـراسخون في العلم منهم والمؤمنـون يؤمنون بمـا أنزل إليـك وما أُنـزل من قبلك والمقيموا الصلاة والمؤتوا الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر. . ﴾الخ . .

لمن أعطيت له[1] .

ويبحث عن البحار[2] وعن الصنائع[3] ، وعن الفصاحة والبلاغة[4] ،

---

(١) قوله تعالىٰ في سورة البقرة/٢٦٩ : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلَّا أولو الألباب ﴾ ، وقوله تعالى في سورة النحل/١٢٥ : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن. . . ﴾ الخ . ، والبقرة/١٥١ : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ ، وقوله في آل عمران/١٦٤ : ﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ ، وسبأ/٦ : ﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾ ، والنساء/١١٣ : ﴿ . . . وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ ، وفي سورة الجمعة/٢ : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. . . ﴾الخ. والإسراء/٣٩ : ﴿ ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة. . . ﴾الخ. والمائدة/١١٠ ، والبقرة/٢٥٢ . وعن العلماء قوله تعالىٰ في سورة العنكبوت/٤٣ : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلَّا العالمون ﴾ ، والآية ٥ من سورة فاطر: ﴿ كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء. . . ﴾الخ .

(٢) قوله تعالىٰ في سورة يونس/٢٢ : ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان. . ﴾ الخ .

(٣) سورة سبأ الآية ١٠ و١١ و١٢ ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوِّبي معه والطير وألَنَّا له الحديد * أن اعمل سابغات وقدر في السرد . . ﴾الخ . ، ﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذنه ربه. . . ﴾ الخ .

(٤) سورة الفرقان ٦٤ قوله تعالىٰ : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ ، وسورة الرحمن من ١ إلى ٤ ، قوله تعالىٰ : ﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان ﴾ ، وسورة العلق ٣ و٤ و٥، قوله تعالىٰ: ﴿اقرأ وربك الأكرم * الذي علّم بالقلم * علّم الإنسان ما لم يعلم﴾.

والشعر والشعراء[1]، وبالتالي ذم الجهل والجهلاء[2] ، ويشير إلى مقام العالم وينته للجاهل[3] .

وأما السنة وما يعود لأحاديث رسول الله (ص) فهي تتجلى في أقواله وأفعاله وفي جميع إشاراته وكتاباته وسلوكه وتعاليمه وسيرته مع القريب والبعيد والكبير والصغير والرجل والمرأة ، وتراها في نواياه ووصاياه، فكان حقاً رسولاً ونبياً وأباً رؤوماً ومعلماً وزعيماً ، قد أشاد وقد أتقن العلم[1]

---

(١) سورة الشعراء / ٢٢٤ إلى ٢٢٨ قوله تعالىٰ : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر انهم في كل واد يهيمون * ويقولون ما لا يفعلون * إلاَّ الذين آمنوا . . . ﴾الخ .

(٢) سورة الأعراف/١٩٩ قوله تعالىٰ : ﴿ خذ العفو وأْمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴾ ، وسورة النحل/١١٩ قوله تعالىٰ : ﴿ ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ ، والفرقان/٦٤ قوله تعالىٰ : ﴿ وعباد الرَّحمٰن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ ، والأنعام/٥٤ : ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة إن من عمل منكم سوءً بجهالة ثم تاب من بعد وأصلح فإنه غفور رحيم ﴾ .

(٣) فاطر ١٩ / ٢٠ قوله تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظل ولا الحرور ﴾ .

من نهج الفصاحة كلمات وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله .

٢٠٢٦ ـ العلم لا يحل منعه .

٣٢٢٢ ـ مداد العلماء أفضل من دم الشهداء .

٢٠٥ ـ فضل العالم على غيره كفضل النبي على امته .

١٩٤ ـ إذا جاء الموت بطالب العلم مات وهو شهيد .

٢٠٣٧ ـ الغدو والرواح في تعليم العلم أفضل عند الله من الجهاد .

٢٠٥٨ ـ فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد .

٢٥٤٦ ـ لا يشبع العالم من علمه حتى يكون منتهاه الجنة .

١٣٠ ـ إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب . =

ووعاه وأشاد به عارفاً وطراه ، ووصى به أُمته وصايا بالغة ، ورفع مقام العلماء رفعة لم تجدها من غيره[1] .

= ٣٢٧ ــ اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد .

٣٢٤ ــ اطلبوا العلم ولو بالصين ، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم .

١٩١٥ ــ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

١٩٠٨ ــ علموا ولا تصغوا فإن المعلم خير من المصغ .

١٢٦ ــ إذا أتى عليَّ يوم لا ازدد فيه علماً يقربني إلى الله تعالىٰ فلا بورك لي في طلوع الشمس ذلك اليوم .

(١) قال رسول الله (ظ) في نهج الفصاحة :

١٤٦٩ ــ خيار امتي علماؤها وخيار علمائها حلماؤها .

١٩٢٩ ــ عالم ينتفع بعلمه خير من ألف عابد .

٣٨٩ ــ ان العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره وان الجهل لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره .

١٥٣٨ ــ خيِّر سليمان بين المال والملك والعلم ، فاختار العلم ، فاعطى الملك والمال لاختياره العلم.

١٤١٢ ــ الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ولا تبالي من أي وعاء خرجت .

٣١٣٨ ــ نوم العالم أفضل من عبادة العابد .

٣١٤٠ ــ نومٍ على علم خير من صلاة على جهل .

٣١٨٤ ــ وقِّروا من تتعلمون منه العلم ومن تعلموه العلم .

١٣٤ ــ العالم يشفع يوم القيامة كالأنبياء .

١٩٤ ــ إذا جاء الموت بطالب العلم مات وهو شهيد .

٢٦٢ ــ ارحموا عالماً ضاع بين جهال ، وعزيزاً ذل وغنياً افتقر .

٤٤٢ ــ أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً .

٤٥٠ ــ اكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله .

١٦٧٣ ــ ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم .

١٩٢٩ ــ عالم ينتفع بعلمه خير من الف جاهل .

٢٠٤٤ ــ العلم ميراثي وميراث الأنبياء من قبلي . =

وحتى قال للمسلمين أن يبدؤا عملهم كل صباح بطلب العلم[1] ، لأن العمل يكون قليل نافع مع العلم ، بينما كثيره بدون علم لا ينفع[2] ، وحتى جعل تعلم العالم وتعليمه من خير الصدقات والنفقات في سبيل

= ١٩٢٩ ــ عالم ينتفع بعلمه خير من ألف عابد .

٤٠١ ــ أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم .

٦٦١ ــ ان الفتنة تجيء فتنسف العباد نسفاً وينجو العالم منها بعلمه .

٨٧٣ ــ ان قليل العمل مع العلم كثير وكثير العمل مع الجهل قليل .

٩٠٦ ــ إن مما يلحق المؤمن عمله وحسناته بعد موته علماً نشره . . .

٢٤١٠ ــ ليس من أخلاق المؤمن التملق ولا الحسد إلاّ في طلب العلم .

٢٤١٨ ــ ليس مني إلاّ عالم أو متعلم .

٢٦١٣ ــ ما استرذل الله عبداً الا خطر عليه العلم والأدب .

٢٦٣٥ ــ ما جمع شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم .

٢٦٣٢ ــ ما تصدق الناس بصدقة أفضل من علم ينشر .

٢٦٣٦ ــ ما خرج رجل من بيته يطلب علماً إلاّ سهّل الله له طريقاً إلى الجنة .

٢٨٢٩ ــ من طلب علماً فأدركه له كفلان فالأجر ومن طلب علماً ولم يدركه كتب له كفل من الأجر .

٢٨٦٤ ــ من طلب العلم تكفل الله برزقه .

٢٢٥٩ ــ لكل شيء طريق وطريق الجنة العلم .

١٨٩٧ ــ طالب العلم بين الجهال كالحي بين الأموات .

١٨٩٩ ــ طالب العلم طالب الرحمة طالب العلم ركن الإسلام .

١٤٨٢ ــ خير الدنيا والآخرة مع العلم وشرها مع الجهل .

١٨٩٨ ــ طالب العلم لله أفضل عند الله من المجاهد في سبيل الله .

(١) قال (ص) في الحديث (٣٧٥) في نهج الفصاحة: «اغدوا عالماً أو متعلماً مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة» . وقال صلى الله عليه وآله في (٣٧٦) : اغدوا في طلب العلم فإن الغدوّ بركة ونجاح .

(٢) قال (ص) في ٣٨٩ : إن العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره وان الجهل لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره .

الله[1] ، ويستدل استدلالاً منطقياً حيث يقول : إن المرء بالعلم يستطيع توقي شر الفتن[2]، بل أزاد (ص) أن فرض على العلماء تعليم الجاهلين به[3].

وعلم الفقه من أعظم علوم الاجتماع والأخلاق والفقيه الواقعي في المجتمع دعامة الخلق الفاضلة وركن من أركان الدين القويم ، فهو المؤدب الاجتماعي ، وبه وبتعاليمه تصد هوى النفس الشريرة ووسوسة الشياطين الخبيثة[4]، ولحسن البيان وفهم الناس أثراً بالغاً وربما كان العيّ خير من بعض الكلام الصادر من الجهلة[5] ، ويشير إلى آداب التعليم والتعلم[6] بالسكينة والوقار وتوقير المعلم والمتعلم ، ويفرض بعد العلم العمل[7] .

وما أعظم ما وصى به (ص) بالنصيحة والإخلاص عند تعليم العلم حيث يقول : إن الخيانة في العلم أشد من الخيانة في المال[8] ، وحقاً

---

(١) والحديث (٤٠١) أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم .

(٢) الحديث ٦٦١ : ان الفتنة تجيء فتنسف العباد نسفاً وينجو العالم منها بعلمه .

(٣) الحديث (٧٦١) ان الله تعالىٰ يسأل العبد من فضله كما يسأل عن فضل ماله . والحديث (٩٠٦) إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً نشره. . . الخ .

(٤) الحديث (٨٩٠) قوله (ص): «إن لكل شيء دعامة ودعامة هذا الدين الفقه»

(٨) الحديث

(٥) الحديث (٩١٦) قوله (ص) : « إن من البيان لسحراً وان من الشعر لحكماً وان من القول عياً وان من طلب العلم جهلاً » ، و٩٢٦ و٩٣٩ منه .

(٦) الحديث (١١٦٠) تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تتعلمون منه .

(٧) والحديث (١١٦١) لن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا بما تعلمون .

(٨) الحديث (١١٧٨) تناصحوا في العلم ولا يكتم بعضكم بعضاً فإن الخيانة في العلم أشد من الخيانة في الحال .

رفـع مقام العلمـاء حتى لتجدهم أوصيـاء الأنبيـاء وورثتهم[1] ، وأُمنـاءه على خلقـه[2] بل وزاد في مقـامهم[3] وأشاد في مهـامهم ، كمـا نجـد عليـاً أميـر المؤمنين ووصي رسول رب العالمين الذي كان قـدوة وإمامـاً بعد رسـول الله لاتباع كتاب الله وسنـة رسولـه ، وباب علم مـدينة رسـول الله[4] والذي قـال عنــه (ص) : علي مني كهـارون من مــوسى ، وإذا كــان رســول الله أبــو الفصـاحة فعلي أبـو البلاغـة ، ولقد أشـاد بالعلم والعلمـاء ورفعهم إلى أجل المناصب ونصح به ووعظ[4] .

---

(١) جـاء في الحديث (٦٥٧) من نهـج الفصاحـة قـولـه (ص) : « إن العلمـاء هم ورثة الأنبياء » .

(٢) والحديث (٢٠١٣) قوله (ص) : « العلماء أُمنـاء الله على خلقه » ، والحـديث (٢٠١٤) قــولـه (ص) : « العلمــاء مصـابيــح الأرض وخلفـاء الأنبيــاء وورثتي وورثــة الأنبيــاء » ، وقـولــه (ص) في الحـديث (٢٠١٥) : « العلمــاء قـامـة والمتقــون ســارة ومجالستهم زيارة » .

(٣) قال رسول الله (ص) : « أنـا مدينـة العلم وعلي بابهـا ومن أراد المدينـة أتاهـا من بابها » .

(٤) قـول علي عليـه السـلام الحـديث (١٣٩) في نهـج البـلاغــة وهـو يخــاطب كميل بن زياد النخعي قائلاً : ـ

يـا كميل بن زيـاد ، إن هذه القلوب أوعيـة فخيرهـا أوعاهـا فـاحفظ عنّي مـا أقـول لك : الناس ثلاث : فعالم ربـاني ويتعلم على سبيل نجـاة وهمج رعـاع اتباع كـل ناعق يميلون مـع كل ريـح ، لم يستضيؤا بنور العلم ، ولم يلجؤا إلى ركن وثيق ، يـا كميـل : العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمـال تنقصه النفقـة والعلم يـزكوا على الانفـاق وصنيع المـال يزول بـزواله ، يـا كميل بن زيـاد ، معـرفـة العلم دين يدان به ، به يكسب الإنسان الـطاعة في حيـاته ، وجميـل الاحدوثـه بعد وفـاته ، والعلم حاكم والمال محكـوم عليه. يـا كميل بن زيـاد ، هلك خزان الأمـوال والعلماء بـاقون مـا بقي الـدهر ، أعيـانهم مفقودة ، وأمثـالهم في القلوب موجـودة ، ها ان هٰهُنـا لعلماً جمـاً وأشـار بيده إلى صـدره عليه السـلام ، لو أصبت لـه حمله ، بلىٰ اصبت لقنا غيـر مأمـون عليـه ، مستعمـلاً آلـة الـدين للدنيـا ، ومستـظهـراً بنعم الله على عبـاده وبحججـه على =

وما أجمل ما وصف به العلم وأجلى حقائقه فقال عليه السلام : « كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلاّ وعاء العلم فإنه يتسع به وكم نصح ودعى سامعيه حول أصول تعلم العلم وكيفية استعماله واتباعه[1] ، والجد في استحصاله[2] ، وان يكون العالم بما علم عاملاً به[3] ، وكيف يتصرف

= أوليائه ، أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في امنائه ، يتقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهه ، لا لاذا ولا ذاك . او متهوماً باللذة سلس القيادة للشهوة ، أو مغرماً بالجمع والادخار ليس من وعاة الدين في شيء أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامليه . . . الخ .

(١) قال عليه السلام في الحديث (٢٦٦) في نهج البلاغة « لا تجعلوا علمكم جهلاً ويقينكم شكاً ، إذا علمتم فاعملوا ، وإذا تيقنتم فاقدموا .

وقال في الحديث (٢٧٦) قطع العلم عذر المعللين (أي من أيقن وعلم فعليه العمل) .

والحديث (٣١٢) قال عليه السلام لسائل سأله عن معضلة : « سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً فإن الجاهل المتعلم شبيه بالعالم وإن العالم المتعسف شبيه بالجاهل .

والحديث (٤) « نعم الدين الرضا ، والعلم وراثة والآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية » .

والحديث (٣١) وهي وصية لابنه الحسن (ع) منها : واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع ، ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلُّمه .

(٢) الحديث (٢٨٠) إذا أرذل الله عبداً حظر عليه العلم . والحديث (٣٥٨) العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل ، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلاّ ارتحل عنه .

(٣) الحديث (٣٦٤) قوله لجابر بن عبدالله الأنصاري : يا جابر قوام الدين والدنيا بأربعة : عالم مستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وجوار لا يبخل بمعروف ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه ، فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم ، وإذا بخل الغني بمعروف باع الفقير آخرته بدنياه .

العالم بعلمه[١] ، وما فرضه على وجوب نشره لأهله[٢] ، ولقد ذم اختلاف العلماء في الفتوى[٣] ، وبين أنواع العلم ودرجاته[٤] ، ويعطي العلم الشرف الأرفع[٥] والمقام الأعلى ، وبالتالي إشادته بطلب الحكمة[٦] .

---

(١) الحديث (٣٧٤) : « لا تقل ما لا تعلم ، بل لا تقل كل ما تعلم ، فإن الله سبحانه قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة » ، الحديث من خطبة له (ع) في العلم والعالم قوله : « فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله ، بل الحجة عليه أعظم والحسرة له ألزم وهو عند الله ألوم».

(٢) الحديث (٤٧٠) « ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا » .

(٣) الحديث (١٨) قوله عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتوى عن الكتاب : ﴿ ما فرّطنا في الكتاب من شيء ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ فيه تبيان كل شيء ﴾ ، وقوله عليه السلام : إن الكتاب يصدّق بعضه بعضاً وانه لا اختلاف فيه لقوله تعالىٰ : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ .

(٤) الحديث (٨٨) : « أوضع العلم ما وقف على اللسان وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان».

(٥) الحديث (١٠٩) : « ولا شرف كالعلم ، ولا عز كالحلم ، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة » .

(٦) الحديث (٧٦) : « خذ الحكمة أنّى كانت ، فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن ». والحديث (١٧) : « الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق » .

الأصل الثامن: السعي والعمل:

قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعى وإن سعيه سوف يرى﴾ النجم/٤٠ و٤١ . ويتم بالسعي والعمل ومتابعة ما بذل بصبر وإرادة وتنظيم وتصميم بصدق وإخلاص في مجهوده وجهاده ، ولم يقف لتنفيذ العلم وكسب التجربة وتوسيع وترسيخ الصناعة والفنون ذات المهارة ، وما يوسع للفرد والمجتمع من الثروة المعنوية والمادية ومنها الاقتصاد والتجارة والبيع والشراء[1] والعقود والبنود .

(١) قال الله تعالىٰ في كتابه الكريم سورة البقرة الآية ٢٨٢ : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأبى كاتب أن يكتب كما علمه الله فيكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يملَّ هو فليملل وليُّه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسئموا ان تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذٰلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى الا ترتابوا إلاَّ أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن تكتبوها واشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فإنه فسوق بكم * واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾ ، والآية ٢٨٣ منه : ﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربّه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم ﴾ .

كما نجد القرآن يبحث عميقاً في مصالح البشر فيمنع الربا[1] لما يعود هذا الأمر من الأضرار على طرفي المعاملة ، وانه فيه من الظلم الفاحش من المرابي حيث لا يقوم بما لديه من أموال بأعمال مولده مثمرة بل العكس يقوم بعمل غير مثمرٍ لنفسه من الناحية العملية ، ومضر بالآخر حيث ينهكه بالاستثمار وربما أدى ذلك إلى خسارة المبلغ ، فأضر بالمعطي والآخذ وحرمان الاثنين من الأعمال المجدية العمرانية أو الزراعية أو الصناعية وغيرها . هذا في الوقت الذي يدعو للإنفاق ومساعدة الفقراء في

= وقال تعالىٰ في سورة النساء : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاَّ أن تكون تجارة عن تراضي منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ . وقال تعالىٰ محذراً البياعين المطففين من الغش والاحتيال وإعطاء المشتري أقل من حقه كما جاء في الآية ٢ و٣ من سورة المطففين : ﴿ ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ ، والآية ٩ و١٠ من سورة الجمعة حيث يدعوا الناس للصلاة بميعادها جميعاً وترك البيع أو اللهو إلاَّ بعد انهاء الفريضة ، قوله تعالىٰ : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكُم إن كنتم تعلمون * فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون ﴾ . وفي ١١ منه : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو من التجارة والله خير الرازقين ﴾ .

(١) قال تعالى في الآيات: ٢٧٥ و٢٧٦ و٢٧٧ و٢٧٨ و٢٧٩ من سورة البقرة، قوله تعالىٰ : ﴿ الذين يأكلون الربى لا يقومون إلاَّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهىٰ فله ما سلف أمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يا أيُّها الذين آمنوا اتّقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ و٢٨٠ منه .

الآيتين ٢٧٥ ومنه. قبلها ثم ترى القرآن يضرب لنا أمثالاً في الأعمال الصالحة وكيف تربو عند الله[1] وبعكسها الأعمال الشريرة. كما يوصي الله أن تكون الأعمال أعمال مجدية وغير مجدية أو ضارة لأن الله يحاسب المرء على عمله فيثيبه في الحسنى ويقاصصه في المضرة[2] كما منع الله الحسد وأمر بالسعي للكسب[3]، والله في كل عمل يقوم به العبد قد وضع له حدود ونواميس ونية المرء دائماً تتبع عمله، والظاهر دليل على الباطن، حتى قال تعالىٰ في محكم كتابه مبشراً ومنذراً عباده في أعمالهم الدنيوية والأخروية[4]، انها ولا شك لتأتي أكلها إن كانت خيراً فخير أو شراً فشر، كما ترى الله عزّ وجلّ يحذر من عواقب الشك ويدعو إلى الإيمان واليقين والأعمال القائمة عليها[5]، وينهي الله نهياً باتاً عن السعي والعمل

---

(١) قوله تعالى في الآية ٢٩ من سورة إبراهيم: ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾، و٣٠ منه ﴿ تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلّهم يتذكرون ﴾، و٣١ منه: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾، وقوله تعالىٰ في الآية ٢٦١ من سورة البقرة: ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾.

(٢) ٣٦ الإسراء قوله تعالىٰ: ﴿ ولا تقفوا ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾.

(٣) النساء/٣٢ قوله تعالىٰ: ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً ﴾.

(٤) ١٩٥ آل عمران: ﴿ فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾.

(٥) قوله تعالى في سورة الحج: ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرفٍ فإن اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾.

الفاسد[1] ، وما أشد جزاء العمل المخرب الفاسد ، وهذا الفاسد جزاءه يتضاعف كلما زاد ضرره ، كما جاء في سورة المائدة ، الآية : قوله تعالىٰ [2] .

والعمل والسعي يختلف جزاءه الدنيوي والأخروي باختلاف نفعه وضرره للفرد والمجتمع فرب عمل نفع أو أضر المرء به نفسه ، أو تجاوز إلى فرد واحد أو عدة أفراد أو قبيلة أو أمة ، أو امتد ضرره إلى امتداد التاريخ تتناقله الأجيال خلفاً عن سلف، وتنتقل المظالم معهم فكل له جزاء وحسابه وأثره.

---

(١) البقرة/٢٠٥ ، قوله تعالىٰ : ﴿ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴾ ، وقوله تعالىٰ في سورة النجم الآيات الثلاثة ٣٩، ٤٠ ، ٤١ : ﴿ وان ليس للإنسان إلاّ ما سعى * وان سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ ، وقوله تعالىٰ في الآية ٣٥ من سورة النازعات : ﴿ يوم يتذكر الإنسان ما سعى ﴾ ، وهذا التذكر قد يكون دنيوياً إن حصلت نتيجته في الدنيا وإلاّ فهو أخروي . وقوله تعالىٰ في سورة طٰه الآية ١٥ : ﴿ لتجزي كل نفس بما تسعى ﴾ ، حتى قال تعالى عن السعي لأجل الآخرة في سورة الإسراء ، الآية ١٩ ، قوله تعالىٰ : ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ .

(٢) الآية ٣٢ من سورة المائدة : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم * إلاّ الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾ .

السعي والعمل في السنة:

ولقد جاءت السنة المأخوذة من أعمال الرسول (ص) وأقواله ونصائحه قواعد وأنظمة متينة هادية للمسلمين في حياتهم ، وقد حث على العمل وعلى أن يجهد الفرد في العمل حتى يدرك الغاية[1] ، ونراه (ص) يدخل بعض أعمال الأفراد في حكم الجهاد من حيث الثواب[2] ، ويوصي بالمداومة على الأعمال النافعة[3] ، كما يوصي بالعمل المفيد الذي يوافق

---

(١) من نهج الفصاحة الحديثة (٤١٧) : « أفضل الناس رجل يعطي جهده » . والحديث (٧٠٩) : « إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا » . والحديث (٧١٩) : إن الله تعالىٰ لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .

(٢) الحديث (٣٧٧) : « ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه في سبيل الله تعالىٰ ، إنما الجهاد من عال والديه وولده فهو في جهاد ومن عال نفسه فكفها عن الناس فهو في جهاد » .

(٢) الحديث (٣٧٧) : « ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه في سبيل الله تعالىٰ ، إنما الجهاد من عال والديه وولده فهو في جهاد ومن عال نفسه فكفها عن الناس فهو في جهاد » . والحديث (٢٢٠٨) : « لأن يأخذ أحدكم حبلاً ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس » ، والمداومة على العمل النافع من التي يحبها الله ورسوله .

(٣) الحديث (٧٣) : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وان قل » .

عليه الدين[1] ، وأن يعمل بنية حسنة ويكون خاتمته خيراً[2] ، وتراه يقسم الأعمال ويذكر المفضلة منها بالنسبة لغيرها ، والتي هي أحب لله ولرسوله ولا شك أنها الأنفع للفرد والمجتمع[3] ، وإذا ما طالعت الأحاديث وجدت أي مجتمع إنساني يدعو له هذا النبي الكريم ، حتى لتراه يربط عمل الرجل إلى نيته وإلى قرينه الذي انتخبه[4] ، ويشترط بالعمل أن يكون نافعاً[6] ، ويقول : إن الحقائق لا بد وأن تكشف[5] ، ويقرن (ص) العمل بالإيمان ، والإيمان بالعمل[7] ، وجعل العمل هو نسب المرء وحسبه كما

---

(١) الحديث (١١١): «اخلصوا أعمالكم لله فإن الله لا يقبل إلاّ ما خلص له».

(٢) الحديث (٣٦٩) : « الأعمال بالنية » ، والحديث (٩٣٧) : « إنما الأعمال بالنيات والخواتيم » ، والحديث (٢٤٦٨) : « لا تعجبون من عمل عامل حتى تنظروا بما يتحتم له » . والحديث (٣٨٧) : « أفضل الأعمال بعد الإيمان التودد إلى الناس » .

(٣) الحديث (٣٦٥) : « أفضل الأعمال ثلاثة : التواضع عند الدولة ، والعفو عند القدرة ، والمعطية بغير منّة » . والحديث (٣٨٦) : « أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضي عنه ديناً » . و(٣٩٠) : « أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس » ، و(٦٢٧) : « إن الرجل ليعمل عمل الجنّة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » .

(٤) الحديث (٦٢٠) : « إن الرجل إذا رضي هَدْيَ الرجل وعمله فهو مثله » . و(١٢٨١) : « ثلاث من كنّ فيه فهي راجعة على صاحبها ، البغي والمكر والنكث » . و(٢٨١٠) : « من أحب عمل قومٍ خيراً كان أو شراً كان كمن عمله » .

(٥) الحديث (١٤٩٤) : « خير العمل ما نفع وخير الهدى ما اتبع » . و(١٧٩٣) : « شتان ما بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره » .

(٦) لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوّة لخرج عمله للناس كائناً ما كان .

(٧) والحديث (٢٥٥٣) : « لا يقبل إيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان » .

جاء في الحديث (٢٨٤٢) : « من أبطأ عمله لم يسرع به نسبه ».

ونـراه (ص) ينصح لمن أراد السلامـة في عمله كيف يعمـل[1] ، ويحـذر كـل الحـذر من العمـل بـدون علم[2] ، ويشيـد بـالعمـل حتى بعـد المـوت[3] ، كما يـدعو بـالتوئـدة والتـدبـر في العمـل ليكـون عـاقبتـه يعـود بالخير[4] ، كما يدعو إلى اتقان العمـل وإتمامـه[5] ، ويرى أن أوسط الأمـور خيرهـا[6] ، ويـوصي (ص) بـالتسـاهـل والسمـاح في الأعمـال مـا أمكن[7] ويوصي بعدم التـأخير في العمـل وما أمكن عـدم تأجيـل عمل اليـوم إلى غدٍ لأن في التـرك آفات ، وفي التـرك غصص ، وربما فـاتت الفرصـة السـانحـة وبعدها الندم حيث لا ينفع النـدم[8] ، وما أبـدع قولـه في الحديث (٢٦٥٦)

---

(١) الحـديث (٣٠٥٣) : « من أراد السلامـة فليحفظ ما جـرى به لسـانه وليخـرس ما انطوى عليه جنانه وليحسن عمله ، وليقصر أمله » .

(٢) الحـديث (٣٠٥٨) : « من عمـل على غيـر علم كـان مـا يفسـد أكثـر ممـا يصلح ».

(٣) الحديث (٣٢١٠) : « يتبع الميت ثـلاثة فيـرجع اثنـان ويبقى واحدة ، فيـرجع أهله وماله ويبقى عمله » .

(٤) الحـديث (١٦٩) : « إذا أردت أمـراً فعليـك بـالتـوئـدة حتى يـريـك الله منـه المخرج » والحديث (١٧١) قوله (ص) : « إذا أردت أن تفعل أمراً فتـدبّر عـاقبتيه ، فـإن كـان خيراً فـامضه وإن شـراً فـانتـه » ، والحـديث (٢٨٤) : « استفت نفسـك وإن أفتـاك المفتون » .

(٥) الحديث (٢٢١) : « إذا عمل أحـدكم عملاً فليتقنـه » . و (٣٢١٧) : « يحب الله العـامل إذا عمـل أن يحسن » كما جـاء : « رحم امرءً عمـل عمل فـأتقنه وفي أخـرى فأتمّه » . و (٢٧١) قوله (ص) : « استتمام المعروف خير من ابتداءه » .

(٦) الحديث (١٤٨) : « خير الأمور أوسطها » .

(٧) الحـديث (١٦٥٥) : « رحم الله عبداً : سمحـاً إذا باع ؛ سمحـاً إذا اشترى ، سمحاً إذا قضى ، سمحاً إذا اقتضى » .

(٨) الحديث (٢٤٣٣) : « لا تدعن حقاً لغدٍ فإن كل يومٍ ما فيه » .

قوله (ص) : « ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله إذا خلوت » . ويريك النتيجة التي تحصل للمرء فهي تنبيك عن خيره وشره[1] ، ويدعو (ص) للعمل بالمعروف والنهي عن المنكر في الحديث ٣٠١٠ قوله (ص) : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

وقد جاء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ما ذكره في نهج البلاغة عن العمل المقرون بالتصميم والإرادة ، وقد أجاد ولا نشك وان كلامه كله حكم مستمدة من الشريعة الغراء ، الكتاب والسنة الغراء ، لأنه نفس رسول الله ، وباب مدينة علمه ، وبمقام هارون من موسى بالنسبة له ، وهو من أهل الكساء الذين طهرهم القرآن في آية الطهارة[2] ، وأذهب عنهم الرجس ، وهو يهيب بالمسلمين ويحذرهم بالعمل قبل فوات الفرصة ، ويحرض الأفراد على الشجاعة الأدبية دون حياء ورهبة لعمل الخير[3] ، وجعل العمل هو حسب المرء ونسبه[4] ويشيد بالعلم المقرون

---

(١) الحديث (٢٨٣١) : « من مات على خيرٍ عَمِلَهُ فأرجو له خيراً ومن مات على شر عمله فخافوا عليه ولا تيأسوا » .

(٢) قوله تعالىٰ : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ .

(٣) قال عليه السلام في ج ٦ الكلمة (٢٠) : « قرنت الهيبة بالخيبة ، والحياء بالحرمان ، والفرصة تمر مر السحاب ، فانتهزوا فرص الخير » . وقال عليه السلام في جـ ٦ الكلمة (٤٣٣) : « ما انقضى النوم لعزائم اليوم » ، وفي (٣٧٩) منه : « من طلب شيئاً ناله أو بعضه » . وقوله عليه السلام : « اضاعة الفرصة غصة » ، وقوله عليه السلام في ح ٦ الكلمة (٢٧٧) : « كل معاجل يسأل الانظار وكل مؤجل يتعلل بالتسويق » .

(٤) قال عليه السلام في جـ ٦ الكلمة (٢٢) : « من أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه » وفي الكلمة (٣٧٨) : « من أبطأ عمله لم يسرع به نسبه » .

بـالعمـل[1] ، ومـا أجمـل مـا وصـف بـه الإسـلام حتى أنهـاه إلى العمـل ، فـالإسلام بنـظره غايـة مـأخـوذة من التسليم بعـد اليقين والتصـديق والإقـرار والأداء بـالعمل[2] ، ويـرى الكسل يـورث الهم[3] ، ويؤيد كلمـة رسول الله والقـرآن في الجهـد والسعي وجهـاد النفس على عمـل الخيـر[4] ، وتـرى البلاغـة في أقـوالـه المستـدلـة على اتبـاع العمـل بـالعلم[5] ، ومن حكمـة المنـطقيـة في العمـل الـدائم والمنقـطع إمـلالاً[6] ، وعنـد تعـارض العمـل الـواجب والمستحب ترك المستحب إن أضـر بالـواجب[7] ، وهو مـا يواقـع المنطق السليم .

---

(١) قـال عليـه السـلام في جـ ٦ الكلمـة (٨٨) : « أوضـع العلم مـا وقف على اللسان (أي لم يتجاوزه) وارفعه ما ظهر في الجوارح والأركان » .

(٢) قال عليه السـلام في جـ ٦ الكلمة (١٢٠): «لا نسبنَّ الإسـلام نسبة لا ينسبهـا أحـد قبلي، فقـال: «الإسـلام هـو التسليم، والتسليم هـو اليقين، واليقين هـو التصـديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء والأداء هو العمل».

(٣) قـال عليه السـلام في جـ ٦ : « من قصّر في العمـل ابلي بالهم ، ولا حـاجـة لله فيمن ليس لله في ماله ونفسه نصيب » .

(٤) قـال عليه السـلام في جـ ٦ الكلمـة (٢٤١) : « أفضـل الأعمـال مـا أكـرهت نفسك عليه » لأن الأجر على قدر المشقة » .

(٥) قـال عليـه السـلام في جـ ٦ الكلمـة (٢٦٦) : « لا تجعلوا علمكم جهـلاً ويقينكم شكاً ، إذا علمتم فاعملوا ، وإن تيقنتم فـاقدمـوا » ، وقال عليـه السلام في جـ ٦ الكلمـة (٣٥٨) : « العلم مقرون بـالعمـل ، فمن علم عمـل والعلم يهتف بـالعمـل فـإن أجـّله وإلاّ ارتحل عنه » .

(٦) قـال عليه السـلام في جـ ٦ الكلمة ٢٧١ : « قليـل تدوم عليـه أرجى من كثيـر مملول منـه » ، وفي جـ ٦ الكلمة (٣٩٥) : « من أومـأ إلى متفاوت خـذلته الحيـل) أي من أراد الكل فاتـه الكل ، فيجب الامتنـاع عن القيام بـأعمال متنـاقضة أو أعمـال متعددة في آن واحد فهذا خلاف التدبير .

(٧) قـال عليه السـلام في جـ ٦ الكلمة (٢٧٢) : « إذا خلت النـوافل بـالفرائض فارفضوها » .

الأصل التاسع : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالوقت من الفروض:

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : هي مجمع الفضائل وكرم الأخلاق وسمو العقل البشري والنزعة الإنسانية الصادقة ، والآباء والشهامة ، ونكران الذات الوحشية البهيمية الأنانية القاسية ، والاندفاع إلى سمو المعنى وهداية العقل والحكمة بشجاعة وبسالة ونبالة وكرم ، واعتناق كل مكرمة والانصياع للضمير الحي ، ونكران العداء والمظالم والتجاوزات سيان منها المادية أو المعنوية بروح العدالة والمساواة والبر والإحسان والتقوى ، تلك التي تحمل روح الدين الإسلامي من الكتاب والسنة ، وهنا ونحن نذكر ما ورد من الكتاب والسنة النبوية وما ورد في نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي عليه السلام نجلب نظر القارىء الكريم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما هو الدعوة لكل خير والابتعاد عن كل شر ، ويشمل جميع الأصول الداعية لذلك ، أخص ما مرّ وما سيأتي في الأصل الأخلاقي وغيره ، وبهذا الأصل (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) تقوم دعائم الحقوق البشرية وكل مقومات الحياة السعيدة .

قال الله تعالىٰ في الآية ١٠٦ من آل عمران ، يطري بها الأمة الإسلامية بقواعدها المتينة وروحها الأخلاقية والإنسانية الرفيعة بقوله تعالىٰ : ﴿ **كنتم خير أُمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون** ﴾ ، ويأمر الله بكتابه المجيد الناس لاعتناق مبادىء

الإسـلام بقولـه تعـالىٰ في الآيـة ١٠٤ من آل عمـران : ﴿ **ولتكن منكم أمـة يـدعون إلى الخيـر ويأمـرون بـالمعـروف وينهـون عن المنكـر وأولئـك هم المفلحون** ﴾ .

ويفـرق الكتاب بين المعـروف وآمريـه والمنكر والنـاهين عنه ، فيقـول في سـورة النحل الآية ٩٠ قولـه تعالىٰ : ﴿ **إن الله يـأمر بـالعدل والإحسـان وإيتـاء ذي القـربىٰ وينهىٰ عن الفحشـاء والمنكـر والبغي يعـظكم لعلّكم تـذكـرون** ﴾ ، وتـرى في الآيـة ٢٦٧ من سـورة البقـرة كيف أن الموبقات والمنكـرات من وساوس الشيـطان ، والنفس الأمارة بـالسـوء قـولـه تعـالىٰ : ﴿ **الشيطان يعدكم الفقـر ويأمـركم بالفحشـاء والله يعدكم مغفـرة منه وفضـلاً والله واسـع عليم** ﴾ ، وقولـه تعـالىٰ في سـورة النـور الآيـة ٢١ : ﴿ **يـا أيُّهـا الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فـإنه يـأمر بالفحشاء والمنكـر ، ولولا فضـل الله عليكم ورحمته مـا زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم** ﴾ .

فهنـاك بين النـاس حـزبين فمنْهم من يتبـع أوامـر الله ودعـوتـه إلى الخير ، ومنهـم من يتبع دعـوات الشيطان إلى عمـل المنكرات[1] . كمـا ورد ذلـك في كتاب الله ، فـالمؤمنون يتبعـون أوامـر الله[2] والكفـار والمنـافقـون

---

(١) الآيـة ٦٧ من سـورة التـوبـة : ﴿ **المنـافقـون والمنـافقـات بعضهم من بعض يأمرون بـالمنكر وينهـون عن المعروف ويقبضـون أيديهم نسـوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفـاسقـون** ﴾ ، ٦٨ منـه : ﴿ **وعـد الله المنـافقين والمنـافقـات والكفـار نـار جهنم خـالدين فيهـا هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم** ﴾ . وقـولـه تعـالىٰ في الآيـة ٧١ من سـورة التوبـة : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنـات بعضهم أوليـاء بعض يـأمـرون بـالمعـروف وينهـون عن المنكر ويقيـوم الصـلاة ويؤتـون الـزكـاة ويـطيعـون الله ورسـولـه أولئـك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ .

(٢) سـورة النحل الآيـة ٩٠ : ﴿ **إن الله يأمـر بالعـدل والإحسان وإيتـاء ذي القربى وينهى عن الفشاء والمنكر والبغي بعضكم لعلكم تذكرون** ﴾ .

يتبعـون أوامـر الشيـطان وخـطواتـه ، وكـل سيلقى جـزاءه الـدنيـوي والأخروي[1] ، وترى أن الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر في القـرآن من الأصـول الأولى التي يرسـل الله أولي العزم من رسله لإقـامتهـا ، وأخص مـا ورد عن رسـول الله محمد (ص) قـوله تعـالىٰ في سورة الأعـراف : ﴿ **الذين يتبعـون الـرسـول النبي الأمي الـذي يجدونـه مكتـوبـاً عنـدهم في التـوراة والإنجيـل يأمـرهم بـالمعـروف وينهـاهم عن المنكـر ويحـل لهم الـطيبـات ويحـرم عليهم الخبـائث ويضـع عنهم اصرهم والاغـلال التي كـانت عليهم فـالذي آمنـوا وعزروه ونصـروه واتبعـوا النـور الـذي أنـزل معـه أولئـك هم المفلحـون** ﴾ ، وترى من فحـوى الآية أنهـا موجهـة إلى اليهـود والمسيحيين أولئك الذي غيـروا وبدلـوا واتّبعوا خـطوات الشيطان بـاتباع المنكـر ، وعدم الأمـر بالمعـروف ، وهذا مـا نصت عليـه الآيـات أخص ٨٢ و٨٣ من سـورة المائدة[2] .

---

(١) آل عمـران الآية٢١ قـولـه تعـالىٰ : ﴿ **إن الـذين يكفـرون بـآيـات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ .

(٢) والآيتين : ٧٨ و٧٩ من سورة المائدة : ﴿ **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصـوا وكانـوا يعتدون* كانـوا لا يتناهـون عن منكر فعلوه لبئسما ما كانـوا يفعلون** ﴾ . فقد كـانوا يعملون المـوبقات وهم يـطلقون على أنفسهم أهل الكتاب دون أن يتحاشوا من اتيان أي موبقة من الموبقات من ظلم واعتداء على الأنفس والأمـوال وحتى كانـوا من ألدّ أعـداء الأنبياء ، وكـل من يعـظهم بـذلـك ولا يتحاشون من أكبـر الجرائم حتى قتـل الأنبياء والمؤمنين الآمرين بالمعـروف والناهين عن المنكر .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السنة

جاء في نهج الفصاحة عن رسول الله (ص) في الحديث (١٣٣٨) قوله (ص) : ـ

« الجهاد أربعة : ١) الأمر بالمعروف ، ٢) والنهي عن المنكر ، ٣) والصدق في مواطن الصبر، ٤) وشنآن (تنفر من) الفاسق .

فنرى حسب السنة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الجهاد الوارد الواجب على المسلمين ، وسترى في الموارد الآتية أثره الأساسي في إقامة الإسلام والحياة العادلة الإنسانية وسمو الخلق والتقوى ، وقد جعل رسول الله (ص) الأمر بالمعروف كفاعله[١] ، كما جعل كل معروف صدقة ، ولو قالها ولم يفعلها بنفسه[٢] ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأصول والأركان الضرورية في الحياة ، والفروض الواجبة الإسلامية لإقامة الفضائل وتشييد العدالة والبر والإحسان ، وكل المكرمات ومنع وصد الرذائل والموبقات وحدِّها ومتى فقدت تسلط أهل المنكر وساد الفساد وفشى الظلم واختفت العدالة ، وهي التي صرح بها رسول الله (ص) في أحاديثه[٣] ، وأكد عليها ، بل جعل الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) قوله (ص) في نهج الفصاحة الحديث (١٠٤٨) : « الآمر بالمعروف كفاعله » .

(٢) الحديث (٢١٤٦) : « كل معروف صدقة » . وأيضاً قوله (ص) في الحديث (٢٧٣٧) : « مروا بالمعروف وإن لم تفعلوه وانهو عن المنكر وإن لم تجتنبوه كلّه » .

(٣) الحديث (٢٢١٨) : « لتُأمرنّ بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطنّ الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » .

المنكر سمة خاصة للمسلم ، وإن لم يرعها فليس بمسلم [1] .

ويوصي (ص) أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر فذاً حنوناً ذو بر وإحسان وتقوى ، وان يكون أمره هذا صادراً من مصدر معروف غير منكر ، غير ذي غلظة وكبرياء، يستنكر لهجته السامعون [2] ، لذا نراه (ص) يحسب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من أفضل المسلمين وخيرتهم [3] ، ويرى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي وحدها الفضيلة ممّا تشتمل عليها الحياة [4] ، ويرى متى توقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غشيت الناس الجهل وموبقات الحياة [5] [6] ، ولذا أمر (ص) أمراً قاطعاً بذلك وقال في الحديث (٣٠١٠) من نهج الفصاحة : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » ، والأخيرة قال عنها وأكدها في حديثه (١٠٨٣) : « يحسب المرء إذا رأى منكراً لا يستطيع له تغييراً ان يعلم الله تعالىٰ أنه له منكر » (أي الانكار بالقلب) .

---

(١) الحديث (٢٤١٦) : « ليس منّا من لا يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » .

(٢) الحديث (٢٨٤٤) : « من كان آمراً بمعروف فليكن أمره ذلك بمعروف » .

(٣) الحديث (١٤٩٩) : « خير الناس أقرؤهم في دين الله وأتقاهم لله ، وآمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرحم » .

(٤) الحديث (١٦٠٢) : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاّ أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر » .

(٥) الحديث (٢٠٣٢) : « متى غشيتكم سكرتان : سكرة حب العيش ، وحب الجهل ، فعند ذلك لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر » .

(٦) الحديث (٢١٤٥) : « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلاّ أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكر الله تعالىٰ » .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
عن أمير المؤمنين علي (ع) في نهج البلاغة

وهو يؤيد كلام الله وسنة رسوله بفصاحة وبيان بليغ وحكمة يأخذ بمجامع قلوب المؤمنين .

من نهج البلاغة الحديث (٣٦٧) عن أبي جحفة قال : سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول : إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد والجهاد بأيديكم ، ثم بألسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قلب فجعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه .

والحديث (٣٦٥) منه : وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبدالرحمن بن أبي ليلى الفقيه ، وكان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الأشعث ، انه قال فيما كان يحض به الناس على الجهاد : إني سمعت علياً رفع الله درجته في الصالحين وأثابه ثواب الشهداء والصديقين يقول يوم لقينا أهل الشام :

أيُّها المؤمنون : إنه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرىء ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتلكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين .

والحديث (٣٦٦) منه : وقال عليه السلام في كلام آخر له يجري هذا المجرى (وهو يجاري حديث رسول الله صلى الله عليه وآله) ٣٠١٠ من نهج الفصاحة : فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه ، فذلك المستكمل لخصال الخير ، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده ، فذلك مستمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة ، ومنهم المنكر بقلبه وتارك بيده ولسانه، فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاثة وتمسك بواحدة ، ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الأحياء ، وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلاَّ كنفثة في بحر لجى ، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق ، وأفضل من ذلك كلمة عدل عند إمام جائر .

ومن الخطبة القاصعة : وان عندكم الأمثال من بأس الله وقوارعه وأيامه ووقائعه ، فلا تستبطؤا وعيده جهلاً بأخذه وتهاوناً ببطشه ويأساً من بأسه ، فإن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلاَّ لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلعن الله السفهاء ركوب المعاصي ، والحلماء لتركهم التناهي .

ومن الخطبة ١٥٥ قوله (ع) : لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به .

والحديث (٣٠) في الجهاد قال (ع) : والجهاد منها على أربع شعب ، على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصدق في المواطن ، وشنأن الفاسقين ، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين ، ومن نهىٰ عن المنكر أرغم أنوف المنافقين ، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ومن شنىء الفاسقين وغضب لله ، غضب الله له وأرضاه يوم القيامة .

الأصل العاشر: الجهاد

وأمّا الجهاد وهو على نوعين : فالأول وهو الجهاد الأكبر ، وفيه جهاد النفس لاتباع الخير والابتعاد عن الشر أو بالأحرى اتباع المعروف بالنسبة للنفس وسوقها للفضائل والامتناع عن المنكر لمنعها عن الرذائل ومنها نشر الإصلاح في الأقربين الأباعد كما أمر الله وحد وقمع بذور الفساد ، قلباً ولساناً وعملاً .

والقسم الثاني وهو الجهاد للدفاع المسلح تجاه الغاصبين والمعتدين والظالمين كما أمر الله ورسوله ، وفي هذا نزلت آيات محكمات ويترتب عليه جزاء دنيوي وأخروي ، إما إلى النعيم وإما إلى الجحيم ، ذاك في الآخرة . وأما في الدنيا فلكل حكمه وقصاصه في الأموال والأنفس أو كلاهما[1] .

وترى الآيات القرآنية آمرة بالجهاد بالترغيب والترهيب أمراً المعروف ونهياً عن المنكر لقمع المفاسد والفتن والشرك والكفر والنفاق والقضاء على الرذائل والموبقات وصد كيد الأعداء وعدواتهم ، أولئك الذين يحاربون

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦ قوله تعالىٰ : ﴿ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين ﴾ .

وسورة التوبة الآية ١٩ قوله تعالىٰ : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ ، آل عمران/ ١١٦ قوله تعالىٰ : ﴿ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ﴾ ، و١٦ و٨٩ التوبة .

الدين الإسلامي الحنيف ويريدون نشر مظالمهم ونشر مفاسدهم الاجتماعية بكل الوسائل الممكنة ، وأشد بإقامة حرب شعواء ضد المسلمين ، لذا نرى الآية القرآنية من سورة التوبة ٤١ قوله تعالىٰ : كيف يدعو المسلمين ويهيب بهم : ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ .

ويختلف المسلمون إيماناً وجهاداً ، فمنهم الذين قد آمنوا إيماناً ملكهم وأخلصوا لله ومنهم المترفون أولي الطول لا يريدون أن يتجاوز إيمانهم عن الأقوال ، بل ولما يدخل الإيمان بعد في نفوسهم ، وفيهم من يخفي الكفر ويظهر الإيمان ، وهم المنافقون . والله سبحانه وتعالىٰ يعلم

= وقوله تعالىٰ : ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبرو ، إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ النحل/١١٠ منه : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ العنكبوت ، وقوله تعالى في سورة الأنفال/٧٣ ٧٢ : ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض. . . ﴾ ، والبقرة/٢١٥ نفس المعنىٰ ، وبراءة/٢٠ .

وقوله تعالىٰ من سورة الحجرات /١٥ منه : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابو وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ .

وقوله تعالىٰ في سورة التوبة/٧٣ منه : ﴿ يا أيُّها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ ، ومثله الآية ٩ من سورة التحريم ، وقوله تعالىٰ لنبيه أيضاً في سورة الفرقان الآية ٥٢ : ﴿ فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً ﴾ .

وقوله تعالىٰ في سورة النساء/٩٥ : ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة. . ﴾ الخ . وقال تعالىٰ في سورة محمد الآية ٣١ : ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾ .

سرهم وجهرهم ويعلن لرسوله الحقائق ويفضحهم في آياته بقوله تعالىٰ في الآية ٨٧ من سورة التوبة والآيات ٤٤ و٨٢ منه ، فالآية ٨٦ : ﴿ وإذا نزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ﴾ ، والآية ٤٤ و٤٥ منه : ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين * إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون * ولو أرادوا الخروج لاعدّوا له عدةً ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾ .

وحقاً مثل هؤلاء المتشككين ممن لا زالوا في ريبهم والمنافقين إنما هم علّة التثبيط والخمول والفساد لذا نزلت الآية (٤٧) : ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاً خيالاً ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين ﴾ ، والآيات ٤٨ إلى ٧٠ والآية ٨٠ من قوله تعالىٰ : ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ﴾ ، إلى الآية ٩٧ .

والجهاد في سبيل الله عند الضرورة الإسلامية من أعظم الأعمال التي يدعوا إليها القرآن ويقدمها على كثير من الحسنات كما ورد في الآية ٢٤ من سورة التوبة ، قوله تعالىٰ : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبُّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ .

ويحذر القرآن المسلمين وهم يجاهدون الكفار والمنافقين أن يتوددون إليهم ويسرُّون إليهم بالمحبة إذ إن ذلك ما هو إلاّ نفاق لا يوافق الشريعة ، ويخالف أمر الله ورسوله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لذا قال الله سبحانه عزّ وجل في كتابه المجيد في سورة الممتحنة الآية ١ : ﴿ يا

أيُّها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم المودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإيّاكم ان تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل » .

وحتى نزلت في الجهاد والترغيب فيه أحسن الآيات وعدّ الله هذا الجهاد للأفراد كمعاملة تجارية يربحون فيها الدنيا بالنصر والفتح ان اخلصوا وصبروا وثبتوا ويدركون فيها الفوز الأخروي بالخلود في الجنة والسعادة الأبدية فيها ، قوله تعالىٰ في سورة الصف الآيات ١٠ إلى ١٥ : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾[1] .

ولم يكن الجهاد بالسيف فقط فكل مجهود يبذله المرء للأمر بالمعروف والدفاع عن المنكر والنهي عن الموبقات والوقوف لصد الرذائل فهو يعتبر جهاداً ، وربما بذل الطرف الآخر مجهوداً مقابلاً فهو جهاد معكوس لصد المعروف ، ونشر المنكرات كما ورد في سورة العنكبوت الآية ٧ قوله تعالىٰ : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فانبؤكم بما كنتم تعملون ﴾ وكما جاء في الآية ١٤ من سورة لقمان قوله تعالىٰ : ﴿ وإن جاهداك أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليَّ . . . ﴾[2] الخ .

---

(١) الآيات من ١١ ـ ١٤ من سورة الصف قوله تعالىٰ : ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذٰلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظي * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين * يا أيُّها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرايل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾ .

الجهاد في السنة : وكلما مر وذكرنا أن الجهاد نوعين : جهاد النفس وجهاد الغير ، ومما جاء في نهج الفصاحة[1] في جهاد الغير قد يدرك المرء أعظم درجات الجهاد في كلمة الحق[2] ، وأعظم الجهاد جهاد النفس[3] وحراسة الإسلام المادية والمعنوية[4] .

---

(١) هنا ترى الله يحفظ كفاية لمكارم الأخلاق وسمو المعنى حفظ كرامة الآباء رغم إتيان الرذيلة تجاه أولادهم فإن الله يوصي الأولاد رغم عدم اطاعتهما لما يدعوانه من المنكرات أن يحتفظ الولد تجاههما بالمعروف والإحسان لمقام الأبوة الشامخ بالنسبة للأبناء .

(٢) أحاديث رسول الله (ص) في الجهاد من نهج الفصاحة :

١٣٢٩ ــ الجنة تحت ظلال السيوف .

٢٢٥٠ ــ لقيام الرجل في الصف في سبيل الله عز وجل ساعة أفضل من عبادة ستين سنة .

١٢٤٢ ــ ثلاثة من قالهن دخل الجنة : من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد (ص) رسولاً ، والرابعة لها فضل كما بين السماء والأرض وهي الجهاد في سبيل الله عز وجل .

١٦١٩ ــ ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله لا يناله إلاَّ أفضلهم .

(٣) قال رسول الله (ص) من نهج الفصاحة :

٣٩٤ ــ أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .

٣٩٥ ــ أفضل الجهاد من أصبح ولم يَهِم بظلم أحد .

٦٨٥ ــ إن الله اطلع على أهل بدر وقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

٣٩٧ ــ أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه .

١٣٦٤ ــ حرم على عينين أن تنالهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس الإسلام وأهله من الكفر .

٧١٠ ــ ان الله كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال ، فمن صبر منهن ايماناً واحتساباً كان لها مثل أجر الشهيد .

١٢٤١ ــ ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف .

الأصل الحادي عشر: حسن الانتخاب

وهو الأصل الذي يشمل الفكرة في الموارد التعليمية من درس وكتاب وراديو وتلفزيون والقول فيما يتكلم ويكتب وينشىء ، والعمل فيما يعمله من مهنة وصنعة وتجارة وسفرة ، وأفراد وجمعات يعاشرهم ، وعقيدة وأحزاب وجمعيات يحضرها وينتمي إلى بلاد يختارها مسكناً دائماً أو مؤقتاً بقصد التمتع والاستجمام ، أو الاستطلاع والاكتشاف . وكل ذلك يدل على مدى ما يحمله من صفة ذهنية وعقلية وخبرة ، ومنها أي عقيدة ودين منتخب ، وحتى في الأكل والشرب والبيع والشراء ، وكل شيء فيه حسن وقبيح حتى أنواع السمر والابتعاد عمّا يضر كالقمار ومثله في الشرب الابتعاد عن المسكرات والمخدرات ، وكلما يضر . لذا قال الله تعالىٰ : **﴿ وبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾** ، وقال تعالىٰ في كتابه : **﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ إنا هديناه النجدين ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾** . وقوله تعالىٰ : **﴿ وليس للإنسان إلَّا ما سعى وإن سعيه سوف يرى ﴾** ، أي مقدار السعي ونوع السعي أهو خير أم شر .

وقال الحكماء: الكلام صفة المتكلم، كما وأن العمل صفة العامل.

ولكل نية وقول وعمل وسلوك ميزان معلوم ودرجة من الخير والشر والحسن والقبيح ، يدركه العقل السليم ، الذي يوجد في الإنسان كموهبة

إلهية ، كما وهب الله لكل فرد قدرة إرادية يحكم بها تصميمه وتنظيمه وعلى قدر تنفيذها وتوجيهها يدرك السعادة والشقاء الدنيوي والأخروي .

كما قام رجال الفكر من حكماء وعلماء وقادة ومجربين وأنبياء وأئمة لنشر نصائح وحكم ومآثر وأقوال لإرشاد الغافلين ، ومعونة العقلاء المدبرين وتوضيح المحامد من المفاسد والفضائل من الرذائل ، سيان منها في الأقوال أو الأفعال كلما مر أعلاه لهداية الناس ، فنرى القرآن مثلاً يعتبر ظلم النفس له قصاص ، وجزاء يؤاخذ عليه المرء في شتى الشؤون حتى في محل السكنى والإقامة ، وانتخاب الوطن الأصلح كما ورد في القرآن الكريم الآية ، قوله تعالىٰ : ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قال فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قال أولم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً** ﴾ .

وجاء عن رسول الله (ص) قوله من نهج الفصاحة :

١١١٦ ــ البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيثما أصبت خيراً فأقم .

١١٩٠ ــ تهادوا تزدادوا حباً وهاجروا تورثوا أبناءكم مجداً وأقبلوا الكرام عثراتهم .

وقال الإمام علي عليه السلام في جـ ٦ الكلمة (٤٣٤) من نهج البلاغة : « ليس بلد بأحق بك من بلد ـ خير البلاد ما حَمَلَكَ » ، و(١١١٦) : واسكن الأمصار العظام فإنها جماع المسلمين .

وعلى المرء الاطلاع والعلم فيما يختاره للفكر والقول والعمل ومما يعود عليه في الحاضر والمستقبل من الخير ويبتعد عن الشر ، وعلى قدر ذلك تعرف أفكاره ونواياه وأقواله وأعماله لصفة قائمة فيه ، وراثياً ومكتسبة علماً وتجربة من التربية والمحيط ، فإن قال عرف من قوله مكنوناته من الثروة العلمية وما يحمله من الخبرة والحكمة والإرادة والهمة أو السذاجة المبتذلة أو الجهالة المحتملة ، وفي صنعه أو عمله يعرف منه مدى مهارته وخطره وإحاطته وقدره ، ومن انتخابه للمعاشرة والمجالسة والمسكن والمسلك وصديقه ورفيقه وكتبه وخطبه نقف على آراءه وأفكاره وصفاته وأطواره .

الأصـل الثاني عشـر: الاعتـدال

والاعتدال أصل اجتماعي إنساني أمر به الله في كتابه ورسول الله في سنته وسيرته والأئمة في وصاياهم ، والحكماء في أقوالهم وأعمالهم ، والاعتدال في كل شيء من مستلزمات الاستقرار والسلام ، فالبدن المعتدل في مزاجه هو البدن الصحيح السالم من العوارض والأمراض والنفس المعتدلة في سلوكها والمقتصدة في أفكارها وأقوالها وأعمالها هي السعيدة المتنعمة ، والمجتمع المعتدل في عواطفه وميوله المعتدل بين العقل والشهوات تتجلى له الحقائق ويهنأ في عيشه ، والاعتدال في جميع الموارد الطبيعية (الفيزيائية والكيماوية) هي المنتجة للمواد المستقرة ، فإذا اختل الاعتدال تشابكت وتضاربت وتخاصمت وانفجرت واختلت وبعثت بالدمار والخسران والحروب والنكران ، أو اختلت وانهدمت وانعدمت حتى يتغلب القوي على الضعيف ، ذلك هو أصل في الماديات والمعنويات ، وذلك هو حكم القانون الطبيعي المنبعث من منبع الحكمة والمعرفة من الله المبدع الحكيم .

قال الله تعالىٰ في سورة الإسراء/٢٩ : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً** ﴾ ، وفيها أهم أمر اقتصادي يلزم أن يسلكه الفرد والجماعة لضمان حياته الاقتصادية .

وقال تعالىٰ في ١١٠ منه : ﴿ **... ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً** ﴾ .

وقوله تعالىٰ في سورة لقمان ١٨ منه : ﴿ **ولا تصعّر خدّك للناس ولا تمشي في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختالٍ فخور** ﴾ .

ولا يقصد في هذه الآية التواضع لا أبداً فالتواضع مستحسن وإنما يمنع التذلل المبتذل والتكبر المستهجن ، ويدعوِ إلى الاعتدال والمجاملات والآداب الحافظة لعزة المرء وكرامته والتآلف .

وقوله تعالىٰ في سورة لقمان ١٩ منه : ﴿ **واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ .

وفي هذه الآية التي يدعو الناس إلى الأدب والتربية الرفيعة يوجهه إلى التعادل والحد الوسط حتى في سيره وسيرته وصوته وحديثه والقاءه أفعاله وأقواله على الأبصار والأسماع مما يكسبه الالفة والمحبة والاحترام .

وجاء في السنة من أحاديث رسول الله (ص) قوله :

١٤٨١ ــ خير الأمور أوسطها .

٥٤١ ــ أمر بين أمرين وخير الأمور أوسطها .

١٦٤٩ ــ رحماء امتي أوساطها .

٢٦٠١ ــ ما عال من اقتصد .

٢٦٠٨ ــ ما أحسن القصد في الغنى ، ما أحسن القصد في الفقر ، وأحسن القصد في العبادة .

٢٧٥٤ ــ من قدر رزقه الله ومن بذَّر حرمه الله .

٢٩٣٩ ــ من اقتصد اغناه الله ومن بذَّر أفقره الله ومن تواضع رفعه الله ومن تجبّر قصمه الله .

١٢٩٠ ــ ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الغنى والفقر ، والعدل في الغضب والرضا .

٤٣٧ ــ أكبر امتي الذين لم يعطو فيبطروا ولم يُقتر عليهم فيسألوا .

١٠٤٥ ــ أيها الناس عليكم بالقصد عليكم بالقصد ، فإن الله تعالىٰ لم يَمَلَّ حتى تَمَلُّوا .

وما أبدع ما قاله الإمام محمد الباقر لابنه جعفر بن محمد الصادق حفيد رسول الله (ص) قوله :

« يا بني خذ الحسنة من بين السيئتن » ، فما زاد سيئة وما نقص سيئة ، والاعتدال وحده هو الحسن .

وما أبدع من قال : لا تكن رطباً فتعصر أو يابساً فتكسر .

ومن وصايا أمير المؤمنين علي عليه السلام لمالك الأشتر قوله : وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق .

وقال عليه السلام في نهج البلاغة جـ ٦ الكلمة ١١٣ هلك فيَّ رجلان محب غالٍ ومبغض قالٍ .

وقال عليه السلام : أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما .

فالحد الوسط في كل شيء هو حد الاعتدال الذي يجب أن يكون قاعدة في السلوك الاجتماعي الإنساني ؛ حتى في الحب والبغض ، فالغلو في الحب منقصة كما أن الغلو في الكراهية مشينة ، مهما داخلك في الحب من الإعجاب والإجلال والإكرام فلا تغالي فالغلو سيئة ، ولا تقلوا قلواً فاحشاً مهما داهمك من النكران والكراهية والصدمة ، فالقلوّ سيئة واتخذ في الحب والبغض حداً وسطاً ، فعساك اضطررت يوماً ما من نقد من أحببت وعندها يشملك قول القائل : من مدح وذم فقد كذب مرتين ، أو بالعكس قد وجدت مدح من ذممت ولم تكن أبقيت لوصمه من قبل محلاً للمدح فيشملك نفس المعنىٰ (من ذم ومدح فقد كذب مرتين) ، والقصد لا يوقعك في الخطيئة والاعتدال فيه خلاصك دائماً من السيئة ووضعك في الطريق الوسط الطريق الصائب .

الأصل الثالث عشر: اغتنام الفرصة

هذا البحث ضروري ودقيق ، ومن الموارد الاجتماعية البالغة في الأهمية لتقدم الحياة وبلوغ الأهداف وتحقيق الأمنيات وإدراك الأماني الصالحة وتجنب المواقف العارضة الخبيثة الطالحة ، إذْ رُبَّ إهمال أو كسل خيّب أملاً أو آمال يومية ، أو أسبوعية ، أو شهرية ، أو سنوية ، أو مدى الحياة . فقد تؤاتي المرء فرص مادية أو معنوية في حياته مختلفة من دراسية أو تجارية أو اقتصادية أو رابطة جنسية أو سياسية وغيرها تفتح له باباً لسعادة مؤقتة قصيرة أو مديدة أو دائمة أو تسد له باباً أو أبواباً من المحن والكروب ، تلك التي أدرك وتحقق خيرها وأحرز ووثق توقي شرها ، وهذه الفرص مهما كانت صغيرة أو ضعيفة أو كبيرة وقوية مؤقتة قصيرة أو طويلة أو دائمة وجب اغتنامها إتياناً للخير ونفعاً ودفعاً للشر ، وما أحلىٰ ما قاله الشاعر حين قال :

اغتنم الأوقات فالوقت فرص   ولا تجيء في أخريات من قنص

فلحظة وربما أقل من عشر الثانية إن اغتنم الفرد الفرصة وهو أمام خصمه اللدود المبارز له في القتال وأسرع بالمبادرة لضرب خصمه وأرداه قتيلاً سلَّم نفسه من القتل والاندحار والفوز بالحياة ، وتخلص من الموت وإلاّ تغلب خصمه عليه باللحظة وكسب كأس الغلبة ، وهكذا في كل شيء ترى الإهمال والكسل والتباطىء والنوم ولو لثواني يخسر فيها المرء صفقته الرابحة للوصول إلى بُغيته .

ولعمـري تتجلى تلك حتى في حيـاة كـافـة الأحيـاء ، فكم شـاهـدت خصمين من الحيوانات متكافئين في القوة سبق بها أحدهما الآخر في لحظة أقل من ثانيـة ، وتغلب على خصمه . قتلك حيتـان تريـد أن تلتهم الواحـدة الأخرى ، فالبادئة الأولى والمسددة مسبقاً التهـام رأس الأخرى هي الفـائزة . انظر إلى بعض الحيّات السامة كيف تبعث برأسها بصـورة خاطفـة إلى حيوان أو إنسان لتوجيـه عضة سـامة لـه لترديـه ، وإذا بالصيـاد الماهـر يتغلب عليها والقبضة على رقبتها ، وليس دوماً الهجوم هو الفاتح ، لا ورُبَ أن يفوز المرء ويتخلص بـاغتنام الفـرصة وتجنب الخـطر ولو بـأقل من دقيقـة فيفارق محـل وضع القنبلة قبل انفجـارها أو إبـطال عملها ولـو بثانيـة ، وعندهـا النجاة من الدمار الحتمي ، وقد يمكن توقف حرب طاحنـة كالحـروب العالميـة باغتنـام فـرصة منـطقية ومبـادرة إنسانيـة ومجابهـة سلمية لتـوجيه وجهـة الحـرب إلى سـلام ، والخصـام إلى وئـام ، أو بـالعكس ، ولا شـك وان الـرأي والحـزم والإرادة دائماً دخيلة في المرء العـاقل ، لا بـل حتى في الحيوانـات العجماء بما يحملنه من غريزة ، ولا يفـرق الإنسان العـاقل عن الحيـوانات إلاّ قـدرته العقليـة وحكمته وبصيـرته وتـدبيره ، التي إذا مـزجت باغتنـام الفرصـة زمانـاً ومكاناً والمنـاسبة المـطلوبة أعـطت بدرجـة تلك المناسبـة ثمارهـا . واغتنام الفرصة مادية ومعنوية ، فالحداد يضع الحديـدة في النار لتلين وتصبـح سهلة للطرق كلما كانت الحرارة شديدة والطرق فنياً ومتناسباً وكلما اغتنم الفـرصة وأسرع بلغ مراده حتى أصبح عمله مضرب مثل مادي ٍ بل وتتخذ هذه التجربة حتى في الموارد المعنوية فقال :

اضرب حديداً حامياً لا خير فيه إن برد

وأما الموارد المعنـوية ومنهـا الموارد الأدبيـة كمقابلة زعيم ٍ أو أديب أو حكيم أو شخصية مرموقة أو استـاذ واقناعـه أدبياً ، والقـاء خطابـه ، أو بحث علمي أو أدبي أو القيـام بأمـر تمثيلي يرفـع مقام المـرء في المجتمع ، يجب القيام بها قياماً مليئاً بالشجـاعة الأدبيـة دون أن تأخـذ المرء ذكـراً أو أنثى أي

حياءٍ أو أدنى هيبة أو رهبة ودونما تململ أو ثبوط أبداً أو أي تأخير أو تقديم غير مناسب زمني أو لوضع غير متناسب في الحركات أو السكنات أو الهيكل أو اللباس أو غير ذلك أي يجب لمن أراد بلوغ الهدف رعاية الفرصة في كل صغيرة وكبيرة .

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام كلمته الحكمية الخالدة في نهج البلاغة : ــ

قرنت الهيبة بالخيبة ، والحياء بالحرمان ، والفرصة تمر مر السحاب ، فانتهزوا فرص الخير . نعم كما مرَّ يجب ألاَّ يفوتنا إننا دوماً علينا أن نغتنم فرص الخير إيجاباً وسلباً في الإقدام والإحجام ، يجب اغتنام الفرصة أينما قصدنا أن يكون قصدنا فيه الخير الخاص والعام . وإذا حقاً أردنا إدراك المرام أن يكون سعينا دوماً مقروناً بالحزم والإرادةن والشجاعة والنبالة ، وأن تكون كل هذه الصفات الرفيعة من المثل والخلق السامية مكنونة في سويداء القلب كي يكون عملنا خالصاً نقياً واقعياً .

قال علي عليه السلام : الظفر بالحزم ، والحزم بإحالة الرأي ، والرأي بتحصين الأسرار . ومن أسرار النجاح لاغتنام الفرصة رعاية كل جوانبها ، كأن تغتنم الفرصة ، وتعمل مريداً ولو تطلب الشيء من غير أهله أو تسدي المعروف إلى غير أهله ، لا على حد قول علي عليه السلام أيضاً : « فوت الحاجة أهون من طلبها من غير أهلها » ، وقوله عليه السلام : إضاعة الفرصة نغصة ، وهذه النغصة قد تكون صغيرة أو كبيرة ، سطحية أو عميقة ، فقد تفوت المرء الفرصة ليوم أو أسبوع ، وبإمكانه إعادة الكرَّة وتجديد الهمّة واغتنام فرصة أخرى ، وكلما كانت هذه الفرصة قصيرة كان وقعها ونغصتها أقل وبالعكس وأشدها وأعمقها متى وجدنا فوت الأمر للأبد ، وضياع الفرصة مدى العمر ، ولهذا على المرء أن يكون دوماً واعياً أخص في الأنواع الأخيرة ، فقد يكسل أو يهمل أو يأخذه الحياء أو الهيبة أو التردد لأمد قصير ،

وحتى لحظة، وإذا بفوات الفرصة إلى الأبد أو عودتها بعد الأتعاب والأزمان الطويلة ، فالهيبة والترديد غالباً ما تجلب للمرء ندماً وغصة ، لذا نرى الإمام علي عليه السلام يقول : إذا هبت أمراً فقع فيه فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه ، وقال الله في العزيمة والعمل في الآية ١٥٩ آل عمران : ﴿ **فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين** ﴾ ، ويريد بذلك التعبير عن آية أخرى هي الآية ٣٩ و٤٠ من سورة النجم : ﴿ **وليس للإنسان إلاّ ما سعى * وإن سعيه سوف يرى** ﴾، وهذا السعي يقصد به نوعه الايجابي والسلبي المقرون بالفرصة السانحة من الزمان والمكان ، وعلى قدر هذا السعي ونوعه سوف يرى نتيجته على قدر بذله وحزمه حتى لترى الحزم والعزم من أجل ما يطرى به الله خلقه ، وهذا يدخل في جميع شؤونه الدنيوية والأخروية ، فالمرء مهما كان مادياً أو معنوياً ، مؤمناً أو ملحداً سينال من سعيه على قدر حزمه وعزمه .

قال الله في محكم كتابه الآية ١٧ لقمان : ﴿ **يا بني أقم الصلاة وأْمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** ﴾ ، ومن الفرص السانحة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلمة حق عند إمام جائر ، مثل كلمة مؤمن آل فرعون في نبي الله موسى وأخيه هارون مدافعاً عنهم في الآية القرآنية حينما أرادوا الفتك بهما قائلاً إن قال خيرٌ فقد يصيبكم منه خيرٌ وبذلك وقف حائلاً في فرصة مناسبة دون الفتك بموسى وأخيه .

وكما أشاد رسول الله بكلمة حق تقال عند إمام جائر في الحين المناسب وانها تساوي أعظم درجات الجهاد .

وهذه الفرصة تشتد نغصتها متى أحجم المرء عن أمر وهو يعلم خيره من شره ، وعلى هذا قال علي عليه السلام : لا تجعلوا علمكم جهلاً ويقينكم شكاً إذا علمتم فاعملوا وإذا تيقنتم فاقدموا ، حقاً إن كلام الملوك ملوك الكلام، وما أعذب هذه المقولة وأعظم حكمتها، وقد تكون نغصة

الجاهل بالاحجام عن الأمر، وفوت الفرصة أقل جداً عن عـالم بالأمـر ويقينه به، وبعد ذلك احجامه اهمالاً أو كسلاً أو تردداً، حتى تفوته الفرصة وعنـدها يصـطدم بأشـد أنواع النـدم ، وبعد النغصـة المرة وآلامهـا، نعم من الخـرق المعاجلة قبل الإمكان، كما أن من الخرق الأناة بعـد الفرصـة من حكم نهج البلاغة حتى ليوجب علينا الحـزم والعزم أن نتخـذ الأهبة والحـذر مقدمـاً من فـوات الفرص علينـا والعمل على تعيين الـوقت بدقـة ، وحذف كـل أمر قـد يؤدي إلى فـوات تلك الفرص ، من إهمـال وكسـل ونـوم أو القيـام بـأعمـال وأفعال وأقوال تنسينا أو تحول دون قيامها بوقتها وقـد تكون سكرةُ نوم تجلب لنـا أعظم الغصص على حـد قول رسـول الله (ص) في الحديث (١٨٥٧) : « الصبحة (نوم الصبح) تمنع الـرزق » ، وقولـه (ص) : « إيّاك وخصلتين : الضجـر والكسـل فـإنـك إن ضجـرت لم تصبـر على حق وإن كسلت لم تؤد حقاً» . . وقول علي عليه السلام : «ما انقـض النوم لعزائم اليوم» .

وما أجمل قول رسول الله (ص) الحديث (٢٨٧٨) : «من فتح لـه باب من خير فالينتهزه فإنه لا يدري متى يغلق عنه» ، وهذا الحديث يريد به اغتنـام الفرصة لعمل الخير قبل فواتها، وغلق الباب المرجو وإدراك الخير ، ويوضح رسول الله (ص) في الحديث التالي « الجد عند سنوح الفرصة وعـدم التعلل والتباطؤ للأعمال السانحة التسويف والتماهل كما يفعله الكثيـر من طلبة علم وتجارة أو أعمال إصلاحية وعمرانية أو علمية أو غيرهـا بقولـه (ص) الحديث (١٠٠٦) : « إيّاك والتسويف بالملك فإنك ليومك ولست بما بعد ، فإن يـك في غـدٍ لـك فكن في الغـد كمـا كنت في اليـوم ، وإن لم يكن غـد لـك لم تندم . وقال (ص) الحديث (١٢٠٥) : « التسويف (الإهمال) شعار الشيطان يلقيه في قلوب المؤمنين» والحقيقة ان الإنسان في بعض الأحيان طلباً للراحة يسوق نفسه ويستميلهـا للإهمـال والإبطاء أي التسـويف حتى تفوتـه الفرصـة السانحة، أو كالطالب يحيل مطالعة درسه ليـوم غدٍ أو يعلل نفسـه بالمـطالعة طلباً للراحة حتى تتراكم عليه الدروس أو تحول دون قيامه بـالواجب الحتمي لنجاحه بالفرصة المناسبـة فيزيـد خوفـه وإرهاقـه كلما تـراكمت عليه وعنـدها

الندم حيث لا ينفع وبعدها الهوة والسقوط وتأخره في آخر السنة وعند الامتحان وتقدم الآخرين عليه وعندها الغصة والندم حيث لا ينفع الندم ، والجد بالجد والحرمان بالكسل .

وقد يخدع المرء نفسه أحياناً خداعاً فيؤل الحديث والكلام طبق هواه لا عقله، قال رسول الله (ص) الحديث (١٢٠١) : « التأني من الله والعجلة من الشيطان » ، وقوله (ص) الحديث (١٢٠٨) : « التوئدة في كل شيء خير إلاّ في عمل الآخرة » ، وقوله (ص) : « من تأنى أدرك ما تمنّىٰ » ، وهذا ليس معناه ترك الواجب أو عدم اغتنام الفرصة والتسويف وإنما معناه الواقع ، المثابرة والاستمرار على بلوغ الغاية ودون تركها، وربما قصده التوئدة في عمل لم يتحقق خيره وشره ، أو عمل قد يكون عاقبته شراً ، أو لعمل يقوم به الإنسان مدفوعاً بالأنانية ، أو الغيرة، أو الطمع ، أو الحماقة ، أو نزعة عصبية لا يدري ما تؤل إليه عاقبتها ، وكثيراً ما تكون شراً ، لهذا وفي كثير من الموارد التي يندفع بها المرء اندفاعاً بالموارد الماضية غير واثق من نجاح عمله أو يعمل في ضرر خاص أو عام ، أو عمل انتقامي أو أمثال ذلك فخير له الاحجام والتأني وعدم النزعة العمياء والحملة الحمقاء ، فهنا الصبر والأناة خير وهنا كما قال (ص) الحديث (١٢٠١) : « التأني من الله والعجلة من الشيطان » ، ومن الموارد التي يجب رعايتها دوماً بعض الأحاديث النبوية الحكمية كقوله (ص) : « اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» إذ في كل هذه المناسبات الخمسة فروض وواجبات ، دينية وأخلاقية واجتماعية ودنيوية وأُخروية يجب القيام بها من قبل الفرد دون تسويف وإهمال وإلاّ فانتهز الفرصة من كسب ، وعلم ، وتجربة ، وصحة ، وثقافة، ومعروف ، وكسب أحبّة وأصدقاء ، وانتخاب المحيط الأحسن والمعشر الأحسن وانتخاب الأحسن لعشرة ومسكن وغير ذلك .

وعلى هذا على المرء أن يكون حذراً حازماً مجداً يقظاً للسرعة إلى

كسب الخير وتجنّب الضرر قبل فوات الفرصة وبعدها الغصَّة ، فالامتنـاع عن إتيـان الشر من التـطبع على مـا يجلب الشر لـه ولمحبيه من العـادات السيئة والمخدرات والمسكرات والقمار والسهر في المـلاهي والحانـات ، ومحلات الفحشـاء وغيرهـا ، وترك مـا فيه الخيـر والصلاح وبعـدها من حيث لا ينفـع الندم .

الأصل الرابع عشر: التساهل

لبسط المحبة والوداد واتقاء العداء والخصومة والتفرقة وما ينتج منها من وهن وضعف ومحنة والتساهل إحدى الأصول الإسلامية الاجتماعية في الكتاب والسُنّة ، تجده في المعاملات والمعاشرات والأحكام وفي كل شيء ، وكثيراً ما يتقرب من العفو والبر والإحسان والصدقة رفقاً بالأفراد والمجتمعات وجلباً للمحبة والتودد ، وهو مظهر بارز لمكارم الأخلاق الذي قام الدين على أساسه كما قال (ص) : « أرسلت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وسوف نؤيد أقوالنا بما ورد في الكتاب الكريم من الآيات وما يتبع ذلك من الأحاديث النبوية الأكيدة ، وهذا كله يؤيد العقل الحكيم والمنطق السليم ، وهكذا نبدأ بالآيات القرآنية المجيدة قوله تعالىٰ في : —

١ — البقرة/١٨١ قوله تعالىٰ : ﴿. . . يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر. . . ﴾ .

٢ — الحج/٧٧ قوله تعالىٰ : ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج. . . ﴾.

٣ — الفرقان/٦٤ قوله تعالى : ﴿وعباد الرَّحمٰن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ .

٤ — الفرقان/٧٢ قوله تعالىٰ : ﴿ والذين لا يشهدون الزور وإذا مرّو باللغو مرو كراماً ﴾ .

٥ ـ النحل/١٢٥ قوله تعالىٰ: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾، و١٢٦ منه: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾.

٦ ـ الإسراء/٥٣ قوله تعالىٰ: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزع بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً﴾.

٧ ـ الأنعام/١٠٨ قوله تعالىٰ: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبؤهم بما كانوا يعملون﴾.

٨ ـ التوبة/٦ قوله تعالىٰ: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾.

٩ ـ الأنفال/٦١ قوله تعالىٰ: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾.

١٠ ـ الأعراف/٣٢: ﴿قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾.

١١ ـ الحجرات/١١ و١٢ منه: ﴿يا أيُّها ٱلَّذِين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسىٰ أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسىٰ أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * يا أيُّها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً...﴾، وكذلك الآية ١٣ منه تشمل البشر كله.

١٢ ـ النور/٢٧ و٢٨ فيما يخص حرية المساكن وآداب المعاشرة.

١٣ ـ فصلت/٣٣ قوله تعالىٰ: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾.

14 ـ فصلت/٣٤ : ﴿ ولا تستوي الحسنة والسيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم ﴾ . هذه الآية أصل اجتماعي بحد ذاتها، و٣٥ و٣٦ منها .

١٥ ـ آل عمران/ قوله تعالىٰ : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم . . . ﴾ الخ .

١٦ ـ إبراهيم / ٢٤ ، قوله تعالىٰ : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة . . . ﴾ الخ .

١٧ ـ وقوله تعالىٰ : ﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة . . ﴾ الخ . . و٢٦ ، وهكذا من زرع حصد من نوع زرعه ، فازرعوا الطيبات واجتنبوا الخبائث في النية والقول والفعل ، وازرعوا الحب في النفوس لتجدوا المحبة والسعادة .

التساهل وما جاء في السنة منه قولاً وعملاً :

أما عملاً فهو كثير جداً ، ونذكر أشهرها وأكبرها وهي يوم فتح مكة ، والقبض على زمام النفوس ، والأموال ، لألد أعداء الإسلام الذين حاربوه وقتلوا أشهر المهاجرين وغير المهاجرين المسلمين ، وفعلوا ما فعلوا قبل الهجرة وبعدها ، ولم يؤلوا جهداً من العداء والشقاق والنفاق بقصد قتل نبي الإسلام والمسلمين المؤمنين ومحو اسم الإسلام ، ولم يألوا جهداً في إثارة الفتن والحروب وزعزعة هذا الكيان من محاربة الله ورسوله ، وفي الساعة التي أمكن الله رسوله منهم وكانوا في قبضته وكان بإمكانه القضاء المبرم عليهم باسم الشرك والمحاربين والمفسدين في الأرض وهم حقاً البؤرة الانتانية المثيرة للأحقاد والفتن من أمويين وفي رأسهم أبو سفيان وألد خصوم الإسلام وبني هاشم وأخص رسول الله ، ورغم كل ذلك فقد غلبت الرحمة على النقمة ، والعفو والغفران على العقاب والقصاص ، وإذا برسول الله (ص) يقول كلمته العامة في العفو العام على الخاص والعام بقوله : إذهبوا فأنتم الطلقاء .

وهذا الإسلام ومن دخله جب ما قبله ، وأصبحوا ولمحض ما أعلنوه لساناً بكلمة الإسلام متساوون أمام الله ، وكان حقاً يوماً مشهوداً ، وحقاً كانت الآية الشريفة : ﴿ **ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ ، وساد الفتح والنصر بيد هناك الفئة المنافقة والنفوس الرجسة رغم العفو والرحمة ، كانت تتغلغل في قلوبهم أصول الشرك والخصام والأحقاد حتى ظهرت بعد السنين الطوال ، وكانت علة العلل في ضعف الإسلام ، ولا ينسب هذا أبداً ضعفاً للإسلام وتساهله إذ الشدة كانت تخلف أشد من ذلك كما خلفت لما أبداه أعداء الإسلام المنافقون عند استلامهم مقاليد الأمور بعد رسول الله تلك التي خلقت الفتن ومزقت الإسلام إلى طوائف ومذاهب متناحرة ، ولو استمروا على العطف والرحمة

التي أرادها رسول الله (ص) والتساهل الذي أمر به وأرادها لأهل بيته لما بلغ الضعف بالأمة الإسلامية مما هي عليه اليوم ، ولم يجد الإسلام رفقاً بعد رسول الله (ص) إلاّ في حادث واحد ، وحرب واحدة ، هي حرب الجمل التي قامت على يد الناكثين الذين بايعوا خليفة رسول الله وأثاروها حرباً شعواء عليه بيد يوم تغلبه في حرب الجمل ، أعاد عهد رسول الله ومنع تعقيب الفارين وأعلن العفو العام في البصرة على خلاف ما فعله معاوية وبنو أمية في فتوحهم للبلاد الإسلامية كإباحة المدينة وضرب بيت الله والفتك بالصحابة المقربين بيد معاوية بن أبي سفيان.

ولا ننسى رسول الله (ص) ومعاملته مع كثير من الأسرى تلك المعاملة الحسنة منها إعادة ما سلب من ابنة حاتم الطائي باعتبار أن أباها المشرك كان كريماً يحب مكارم الأخلاق ، فكان هذا العفو والبر من أقوى الدواعي لإخلاص آل طي للإسلام ومثله علي ومعاملته مع أهل اليمن بعد أن عجز غيره من ذلك . ولا ننسى معاملة خالد ابن الوليد يوم أرسله رسول الله إلى القبائل وقتله الذريع وسلبه حتى استعاذ رسول الله من فعله ، وطلب غفران الله وأرسل علياً عليه السلام لإرجاع ما سلب وإعطاء الفدية عمّن قتل ظلماً بيد خالد .

هذه هي السيرة الصالحة التي سار عليها رسول الله (ص) وعلي عليه السلام ، وعلى خلافه سار أغلب الخلفاء الذين شغلوا منصب الخلافة ظلماً وزوراً ، فكان سبباً لقيام الظلم والضغائن والفرق والمذاهب ، وأدناه نذكر كثير من الأحاديث النبوية المأثورة في التساهل من نهج الفصاحة قوله (ص) والكلام صفة المتكلم ، وأشهر ما جاء في الحدود الفقهية :

٨٥ ـ أحب الله تعالىٰ عبداً سمحاً إذا باع ، وسمحاً إذا اشترى ، وسمحاً إذا قضى ، وسمحاً إذا اقتضى .

٤٥٩ ـ ألا أخبركم بمن يحرم عليه النار غداً ، على كل هين لين ، قريب ، سهل .

٧٤٨ ــ إن الله تعالىٰ يحب السهل الطليق (الحر).

١٣٦٣ ــ حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس .

١٩٥٧ ــ علموا ويسّروا ولا تعسّروا ، وبشروا ولا تنفروا ، وإذا غضب أحدكم فليسكت .

١٤٩٨ ــ لا سهل إلاّ ما جعلت سهلاً .

٢٩١١ ــ من كان سهلاً هيناً ليناً حرمه الله على النار .

٣٢١٣ ــ يسّروا ولا تعسروا .

٢٢٧ ــ إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه .

٣٠٧ ــ أشرف الإيمان أن يأمنك الناس وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك .

١١٥٥ ــ تعافوا تسقط الضغائن بينكم .

٢٠٠٩ ــ العفو أحق ما عمل به .

١٨ ــ أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخصم (أي اللجوج المخاصم العنود) .

٤٨ ــ اتّقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنها ليس دونها حجاب .

٢٨٩٤ ــ من نفّس عن غريمه أو محى عنه كان في ظل العرش يوم القيامة .

٥٩٦ ــ من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر .

٩٩٨ ــ من زنى خرج منه الإيمان فإن تاب تاب الله عليه .

٧٥٠ ــ أحبب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً وأحسن مجاورة جارك تكن مسلماً .

٣٠٤٩ ــ من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار.

٢٧٨٨ ــ من انظر معسراً ووضع عنه أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلاّ ظله .

٣٠٥٧ ــ من حرم الرفق فقد حرم الخير كله .

٢٨٨٥ ــ من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له .

٣٠٦١ ــ من لا أدب له لا عقل له .

٢٨٨٣ ــ من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة .

٢٨٤٩ ــ مدارات الناس صدقة .

٢٧٥٧ ــ من لا يقبل العذر من متنصل صادقاً كان أو كاذباً لم ينل شفاعتي .

١٥١٣ ــ خير دينكم أيسره .

٢٨٦٠ ــ من أقال نادماً بيعة اقاله الله عثرته .

٢٧٦٣ ــ من قتل عصفوراً عبثاً جاء يوم القيامة وله صراخ عند العرش ربي سل هذا فيم قتلني من غير منفعة .

٢٧٧٨ ــ من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه ملأه الله أمناً وإيماناً .

١٧٦ ــ إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان .

١٨٦ ــ إذا أم أحدكم فليخفف . . . الخ . (يعني إذا كان إماماً في الصلاة فليخفف في صلاته ليسهل على المصلين ذوي الحاجة قضاء حوائجهم وله ان صلى منفرداً أن يطيل ما شاء) .

٢٥٠٨ ــ لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار .

١١٩ ــ ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن الإمام لئن يخطىء في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة .

١٢٠ ــ ادرؤا الحدود بالشبهات ، واقبلوا الكرام عثراتهم إلاَّ في حد من حدود الله .

وتكاد تكون في الكلمة (١١٩ و١٢٠) ميلاً فقهياً اجتماعياً قائماً بنفسه ، وهذا الأصل واسع الأرجاء في كافة الموارد الاجتماعية الأدبية والتربوية والمجاملات العائلية والسلوك والمعاملات وحتى في القوانين الجزائية والسياسية ، وعليها تقوم أسس كثير من التساهل في الحياة ، ورفع كثير من المشاكل العسرة والحرج .

ومن التساهل : هناك أقوال أئمة الإسلام ، وأقوال الحكماء والخبراء .

قال الإمام أمير المؤمنين علي في عهد مالك الأشتر : والناس إما أخ لك في الدين أو شبيه لك في الخلق ، هنا يقصد تساوي الرعية في الحكم والعفو والبر والإحسان وفَضَّل الصلح إن طلب خصمه الصلح هذا على أن لا يفارقه الحذر والحنكة .

وغاية ما يؤخذ على التساهل أن لا يؤخذ الحد الأقصى ان سبب ذلك ضرراً لذا يشار إلى ذلك بالحد الوسط الذي سوف يشير إليه هنا بعد ذكر بعض الموارد التي يلزم فيه التساهل والأخذ باللين عندما تخوننا القوة .

لذا قال الحكيم : ما يؤخذ باللين لا يؤخذ بالقوة ، ليس من الحنكة أن تستعمل القوة إذا كنت وبإمكانك إنهاء الأمر باللين دون أن تسبب ضرراً على النفس وعلى الغير ، وهذا من نوع العلاج إذا حسن العلاج ما أفاد دون أن يسبب ضرراً ، وهذا أمر تربوي ان يحاول الفرد والجماعة أمام الخصم فرداً كان أو جماعة أن يفضى الخصام والنزاع وكل مشكلة ما أمكن بالهدوء والتوئدة واللين ، أخص إذا كانت بسيطة وتحتاج إلى تروي بسيط وتفكير وتدبير ، وربما كانت القوة والتهور وعدم التعقل بها خلق مشاكل كبيرة قد لا يمكن إصلاحها ، وأبسط الأمور إذا التف خيط متجمعاً على نفسه فليس من المنطق أن تسحب رأس الخيط دون تدبير ، إذ قد تشكل في الخيط على هذه الشاكلة عدة عقد قد يعسر عليك أو يطول الوقت لحلها بينما لو بحثت عن المداخل مثل حصول العقد لفككتها دون مشكلة ، والأحوال الاجتماعية قد يحصل منها مشاكل أهم وأهم ولطالما وجدنا الحروب الطاحنة سببها تهور من فر أو بضعة أفراد فأدت إلى مجازر وأهوال ، وعليه حسب قول الأطباء ألكي لا يكون إلاَّ كعلاج آخر لذا جاء في المثل (آخر الدواء ألكي) ، والرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول ولها المكان الثاني ، وعلى هذا الأساس جاء المثل ، يلعب الجاهل بنفسه كما يلعب العدو بعدوه ، فالذي لا يتقي النار والأخطار والضواري والأوباء والعادات السيئة من قمار ومسكرات ومخدرات وما تسبب له ولغيره شتى

الأضرار دون أن يدبِّر الأمر ويحسب لعاقبته حساباً ، وقد وجد أن سكوتاً واعراضاً بسيطاً أو كلمة طيبة أو تحية وابتسامة كم غيرت من العداء صداقة ووقفت عارضاً دون وقوع مصائب وبالعكس .

كم تسببت من الويلات والمجازر لسبب تافه وتهور أو تعصب جاهل أو نعرة وعزة بالاثم .

والحقيقة إن في كل الأمور يلزم التروي والسلوك الوسط في جميع الأمور، كما قال الإمام محمد الباقر لولده جعفر الصادق سليل خاتم المرسلين، وسيد الوصيين، حين قال: خذ الحسنة من بين السيئتين، فمن زاد كانت سيئة ومن انقص كانت سيئة، وقد قال الله سبحانه وتعالىٰ في كتابه: **﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾**. وقال في محكم كتابه: **﴿ولا تجعل يدك إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾** ، مع العلم أن الكرم من مكارم الأخلاق بل للكرم حد والأقربون أولى بالمعروف ، والمرء نفسه أقرب لنفسه ويليه أبويه وأولاده واخوته وزوجه وهلم جرا وليس من الحكمة أن يبذل المرء بما يملك حتى يقعد محسوراً معدماً ، بيد هناك أمور كلها خير كالعفو بعد المقدرة والبذل دون ضرر ، وما أجمل كلمة رسول الله حين يقول :

إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم والأخلاق منبع السعادة والمسرة والهناء والالفة ، فالابتسامة والكلام العذب والمساعدة والإصلاح بين متخاصمين ، وإغاثة المنكوب والنصيحة والإرشاد والسعي لعمل الخير الذي هو كفاعله ، وجميع طرق البر والمساعدة والتساهل واللين في المعاملة والمعاشرة كل هذه تقي المرء من الأشرار وتخلق له جواً من المودة والاحترام والالفة والانسجام ما لا يساويه مال ولا ثراء لخلق روح البهجة ، والطمأنينة والسلام والسكينة والقضاء على الحزازات الدقيقة .

الأصل الخامس عشر:
﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾
كما جاء في الآية ١٩٥ من سورة البقرة

قال الله تعالىٰ : ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ .

وقوله تعالى في سورة البقرة الآية: ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ إنا هديناه النجدين ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ .

والغاية من : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ :

وهذا الأصل من الأصول المهمة المتشعبة المؤثرة في صحة الجسم للفرد والمجتمع من الناحية المادية والمعنوية ، يدخل في أصول الوقاية وأصول الصحة وأصول العلاج .

فهناك كثير من العاهات والامراض والمصائب يتعرض له الفرد والجماعة من أمراض: ١) بدنية ، و٢) وأمراض عقلية ، ٣) وأمراض نفسية ، ٤) وأمراض اجتماعية ، ولكل منها منابع ومصادر ، ولكل منها أخطار وعوارض قريبة وبعيدة ، خفيفة وشديدة ، كما لكل منها طرقاً للوقاية وطرقاً للعلاج ، ولا شك أن الوقاية خير من العلاج ، إذ في كثير منها بوقاية بسيطة وعناية خفيفة يمكن تجنب أعظم الكوارث والويلات ، سيان منها الفردية والجماعية دون أن تكلفنا تكاليف باهظة أو تحملنا آلام وآثام ،

وهي مضمونة بينما العلاج بعد الإصابة ليست مضمونة دائماً ، فقد يأتي ذلك بعد فوات الأوان وفوات الفرصة ، وبعد تكبد أشد الآلام وأعظم الخسائر ، وقد تخلف الموت أو الدمار الكلي أو الجزئي أو التشويه أو النقص .

١) فالأمراض كما مرّ أعلاه إما بدنية ولها علماؤها المتخصصون في الوقاية ، وأصولها ورعاية الزمان والمكان ، والأفراد ، والعدة والعدد لها ، كما لها علماءها المتخصصون بأصول حفظ الصحة وتنمية البدن وحفظه صحيحاً قوياً سليماً منذ النشأة الأولى وقبلها وبعدها ، وقولنا قبلها لما للوراثة من الأثر الفعّال ، وهذا يشمل كل الأحياء من النباتات والأحياء جميعاً ، وأخص الإنسان المقصود هنا بالذات ، وأخيراً العلاج بعد الاصابة ، وكم هناك من متخصصين في كل جزء من البدن ، وكل عاهة ومرض وما يحتاجه من علاج عملي أو عقاري أو غيره .

٢ ــ وهناك أمراض عقلية وراثية أو مرضية أو منشأها إصابات عضوية مادية وهذه العضوية إما صدمات مادية أو منشأها عادات عقارية أو غير عقارية كالمخدرات ، وكلما يشوش على سيطرة العقل السليم وسلامته وكماله .

٣ ــ أو نفسية تلك التي يبحث عنها علم النفس أمثال الهستيريا والنورستينيا والقلق التي منشؤها امساك أو افراط في الأمور الجنسية أو الخوف والهلع والصدمات النفسية المزعجة وربما المفرحة أيضاً الخارجة عن نطاق الاعتدال .

٤) أو أمراض اجتماعية من التربية والمحيط من عقائدية تشمل مجموعة المعتقدات الدينية والمذهبية والفلسفية والحزبية وكلما يشمل الحياة الاجتماعية الأخلاقية والأدبية والعلمية والاقتصادية والسياسية والتربوية وكلما يؤثر على سلوك الفرد تجاه نفسه وغيره ، ومنها العادات والاستمتاعات المشينة في الأكل والشرب والاعتيادات ، من الاعتياد على

المشروبات الكحولية والمواد المخدرة ، وشبه المخدرة ، والقمار والانخراط في الجمعيات الهدامة لتهريب المواد المخدرة الممنوعة ، والجمعيات السرية المخربة والسهرات المضرة بالصحة والسلوك كل تلك هي أمراض والكل يجب اتخاذ وقايتها والقيام بكل يلزم لتهيئة الجو الصحي للفرد والمجتمع لتقويته المادية والمعنوية تجاه طردها وبالتالي معالجتها بكل الوسائل والاخصائيين لانقاذ الأبدان والجماعات من ويلاتها أخص ما تنطبق عليها الآية القرآنية المارة الذكر: ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ وهي تعني الوقاية كما تعني العلاج قبل استفحال الأمراض الماضية .

كما نجد في الكتاب والسنة أن الظلم ممنوع بالنسبة للنفس والغير ، للفرد وأشد منه للمجتمع وحتى يصل الظلم للمجتمع ما تنطبق عليه الآيات القرآنية الثلاثة . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وأخرى هم الفاسقون ، والثالثة هم الظالمون . كما يشمل بث الفساد ومحاددة الله التي في الآية جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم ﴾ سورة المائدة ٣٧ منه ، فمحاربة الله هو مخالفته في بث الفساد والأضرار الجماعي المادي والمعنوي .

وإذ قلنا المادي والمعنوي فهو يجمع طية كلما يسبب الدمار والمصائب للأحياء أخص منها بني البشر ، وكل مضر فهو يلزم وقايته أولاً ومعالجته بسرعة وبكل الوسائل الممكنة بعد الإصابة به ، وسنذكر على ما شرحناه سابقاً بعض الأدواء أدناه .

العــلاج :

١ ــ منـع مجموع المـواد الكحوليـة على اختـلاف أنـواعهـا تلك التي يسكـر كثيرهـا تمتع قليلهـا حتى على أي سبيل من حفـلات وأعياد وغيـرهـا منعـاً باتـاً لما لهـا من الاغراء والاعتيـاد وما تسببـه من الاضرار الـوراثيـة في النسـل والآثـار المقيتـة المشينـة على الجهـاز العصبي والقلب والجهـاز الهضمي والكبـد وغيرهـا ، وما تجـره من التبلبـل والفحشـاء والجـرائم وقـد أجمع علماء الطب والاجتماع على ضررها الأكيـد . ومثلها المـواد المخدرة التي تسبب الاعتيـاد وعمق أثرهـا على الأجهزة الـرئيسية ونتـائجها الـوخيمـة وعـواقبهـا المؤلمـة على صحـة الإنسـان وتسببهـا مختلف العلل المـاديـة والمعنـويـة ، وقـطع دابـر أولئـك الأفـراد والجمـاعـات التي تسعى لنشـرهـا لمقـاصـد اقتصـادية أو اجتمـاعية وغيـرهـا واعتبـارهـا واعتبـارهم ممن تـنطبق عليهم الآيـات لمنعها وأن يـطبق على متعاطيهـا ونشرهـا الآية ٣٧ من سـورة المائدة ، عقاباً صارماً ذلك وقايـة وعلاجـاً طبياً ونفسيـاً بصورة جـدية واقعيـة وبصـرامـة ، تحت نـظر أخصـائيين في الـطب والعلوم النفسيـة وعـلوم الاجتماع .

٢ ــ قطع دابر الأسلحـة الكيماويـة والفيزيـائية والميكـانيكية والحيـوية أخص المكـروبية والـذرية والاشعـات المختلفة وكلمـا يوجب تـدميراً للفـرد والجماعة وحصرها في قبضة أيادي حـديديـة تقاصص الأفـراد الحاملين لهـا والجمـاعات الـذين يتخذوهـا أداة لبسط القـدرة والنفـوذ واخضـاع الآخـرين بالقهر والغلبة ومعاقبة الجماعات والشركـات الناشـرة والمنتجة لهـا باسم بث الفسـاد في الأرض ومحـاربـة الله ورسله الـداعين للسـلام والأمـان وقـطع دابـرهم طبق الآيـات المتصـرمـة أخص ٤٤ مـائـدة والآيـات الثـلاثـة : (١) ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فـأولئك هم الكـافرون ﴾ . (٢) الفـاسقون . (٣) الظالمون . وقوله تعالىٰ : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ .

٣ ـ الحد من نشر العقائد الفاسدة من أي طريق ومهما كانت تلك التي تخلق التشتت والنفاق والضعف وبث التفرقة والبغضاء بين الأفراد والجماعات وتخلق من النوع البشري دون جدوى أعداء متناحرين متخاصمين بغية أغراض وعصبيات تسبب الفساد والتخريب.

٤ ـ رعاية الأوضاع الاجتماعية بما فيها السياسية والاقتصادية والمنع من السيطرة على الثروات والأسواق بشتى الوسائل سيان منها القهر والغلبة أو الحيلة والمكر وتسخير العقول والنفوس والسير خلاف العدالة الإنسانية وخلق الفتن والقلاقل وايجاد أدواء وضغوط على نواحي من هذا الجسم للمجتمع الإنساني دون حساب انه إذا أُصيب عضو منه أنت مجموع أعضاءه الأخرى ولا تقر إلّا بقراره .

٥ ـ قطع دابر الفقر كحد أدنى والتضخم كحد أعلى واتخاذ الجاده الوسطى وأن يشمل ذلك جميع أجزاء الجسم للمجتمع الإنساني بحد سواء .

٦ ـ قطع دابر الجهل بنشر المعارف والتربية الصحيحة والعلوم الموسعة للعقول البشرية ومعلوماته مقرونة بالفضيلة وسمو الأخلاق وقطع دابر العلوم والدعايات والباعثة على بلبلة الأفكار والحوار والمخاصمات والمشاحنات والعصبيات المؤدية للتفرقة وبالتالي للضعف والهوان وتعويضها بالمجالات الثقافية والأعمال الرياضية الباعثة على الاستجمام والتمتع ومبادلة المشاعر ونشر المحبة والوداد والالفة .

٧ ـ الاهتمام بالصحة الفردية والجماعية والوقاية من مختلف الأمراض المار ذكرها ، وأما المصابين فالقيام بمعالجتهم المعالجة الفعالة بالسرعة الممكنة والدقة الفائقة تحت نظر الاخصائيين بتلك الأدواء .

٨ ـ نشر الحقائق وتطبيق الحقائق ونشر العدالة وتطبيقها وفرض المساواة وتطبيقها على كل نواحي الحياة والأفراد والمجتمعات هذا إلى

نشر الفضيلة وبدء التربية الصالحة للأجيال القادمة وراثياً في آباء وأمهات المستقبل بالسلوك الحسن والاجتناب مما يسبب لهم أمراض عقلية أو بدنية تناسلية أو نفسية أو عادات وأي شيء آخر ينتقل وراثياً للأبناء ، ودور الحمل التغذية والتربية الصالحة أخص للأم لما لها من الأثر المباشر على حياة الطفل وبعد الولادة التغذية والتربية الصالحة ويليها دور الحضانة والمحيط الصالح للتربية والاختلاط ويليها المدرسة والاجتماع والاختلاط الصالح كل ذلك لتنشئة جيل صالح سعيد بعيد عن الفقر والجهل والأوباء المادية والمعنوية وحياة سعيدة صالحة تحت إدارة حكومة صالحة واحدة ساهرة يقضه مدبره حكيمه تحس بالمسؤولية الذاتية كمسؤولية الفرد المثقف العاقل العالم على مصالحه الفردية .

الأصل السَّادس عشر: رعاية الآداب والمعاشرة[1]:

وتهـذيب النفس ذاتها ثم صلتهـا مـع ربِّهـا والمقـدسين طبق الأصـول الخمسة للدين الإسلامي (التوحيد والنبوة والإمامة والعدل ويـوم القيامـة) ، وتهـذيبها وإشـادتها بـالفروض الثمـانية : (الصـلاة والصيام والحـج والزكـاة والخمس والجهـاد والأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر) ، وتهـذيب النفس وصلتها بربهـا والقديسين بـاعتراف آيـة الولايـة : ﴿ **إنما وليكم الله ورسـوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾ .

أدائها الواجبات والآداب العائلية والإنسانية بالسلوك السـويِّ بين الآباء والأبناء وبين الزوجين ، بين الأخوة والأخوات بين الأقـرباء والأرحـام الأقرب فـالأقرب وبين الأصـدقاء والجيـران ، وبين الأقويـاء والضعفاء ومنهم المـرأة واليتيم والأقليـات المنكـوبين والجهـلاء الضـالين والفقـراء المعـوزين والمعلولين العاجزين .

والتهـذيب هـذا لـه جـانبـان مـادي ومعنـوي ، وفي المـادي يـدخـل التهـذيب المادي وفي المعنـوي التهذيب الأخـلاقي على حد قـولـه (ص) : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » .

فخيـر أنواع التـربية والتهـذيب هو التلقين والتفكيـر الـذاتي في المثـل والإنسـانيـة العليـا ومكـارم الأخـلاق وحث النفس على الفضيلة والاصغـاء للضمير الحي والوجدان الناصح الأمين والمنطق السليم .

---

(١) والحق يمكن ادخال هذا الباب في الأصل الأول أي الأخلاق .

ولقد مرّ وذكرنا الأصول الدينية والفروض الثمانية وأثرها على تهذيب النفس وتربية الذات وتلقينها بأرفع مكارم الأخلاق والتقوى وتزكية الروح وآدابها بالنسبة لخالقها والتقرب إليه بالطاعة والامتثال بالتواضع ونكران الذات المتكبرة ، وكفها عن الانصياع لشهواتها والاعتداء على حقوق الآخرين والتقرب للمبدأ الأعلى بنهج السلوك السويّ .

وقد ذكرنا مواضيع منها في الكتاب والسنة ، وسنذكر نبذاً منها فيما يخص آداب الزوجين والآباء والأمهات مع أولادهم وبالعكس ، والآداب بين الأخوة والأرحام والأصدقاء ، وسائر الناس والآداب بين المعلم والمتعلم ، وآداب المعاشرة بين الأقوياء والضعفاء ومنهم الأطفال والنساء والمعلولين والمساكين والجهلاء أي ضعفاء العقل والتجربة ، والمنبوذين والمحرومين وأولئك الذين أصبحوا أسارى لغيرهم وأرقاء لعاداتهم المستهجنة كمدمني الخمور والمخدرات والقمار والأعمال الشريرة المستقبحة ، تارة مساعدتهم بالمال وأخرى بالنصيحة وثالثة بتوجيههم عملياً ، والقيام بالخدمات الخاصة والعامة ليتب الإصلاح بالقول والعمل والخطابة والكتابة والنشر والوعظ والإرشاد .

الأبوين : قال الله تعالىٰ في سورة الإسراء/٢٣ ؛ ودعاء السجاد الخاص بالأب تجاه الأولاد والآخر الخاص بالأولاد تجاه الأب كما ورد في الصحيفة السجادية .

قال تعالىٰ : **﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلاّ إياه * وبالوالدين إحساناً * أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ﴾** ، و٢٤ منه : **﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾** ، انظر إلى هذه الرقة في الوصية بالأبوين وانظر إلى هذه الآداب الإنسانية الدقيقة للأولاد وكيفية معاملتهم لأبويهم مع ذكر العلة الموجبة لهذه المعاملة .

أمـا ما ورد في السنـة النبويـة بالأبـوين فهو مفصـل شـأن السنـة دومـاً تفصـل المجمل في الكتـاب ويضع الأم في المـرتبـة الأولى قبـل الأب ، ثم يجـل مقام الأب وتـراه يجلهما ويـوصي بهمـا بعـد إطـاعـة الله والتـودد إليـه فيقول في الأم :

١٣٢٨ ــ الجنة تحت أقدام الأمهات .

١٩٥٥ ــ إذا دعاك أبواك فأجب أمك .

٢٩١٧ ــ من قبل بين عيني أمه كان له ستراً من النار .

٥٤٦ ــ أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب .

٧٧٨ ــ يوصي الله بالأم ثلاثاً وبالأب مرتين ثم يوصي بالأقرب فالأقرب .

١٦٦٥ ــ رضا الرب في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما .

٢٥٤ ــ أربع لا يرون الجنة ونعيمها ، مـدمن الخمر ، وأكـل الربـا ، وأكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه .

١٠٨٦ ــ بر الوالدين يجزىء عن الجهاد .

٧٠ ــ أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها ثم بـر الوالـدين ثم الجهاد في سبيل الله .

١٠٢ ــ احفظ در أبيك لا تقطعه فيطفىء الله نورك .

١٨٩٥ ــ طاعة الله طاعة الوالد ومعصية الله معصية الوالد .

١٢٥٩ ــ دعاء الوالد لولده كدعاء النبي لأمته .

٥٥٨ ــ أنت ومالك لأبيك .

٤٢٣ ــ إن الـرجـل لتـرفـع درجتـه في الجنـة فيقـول أنـا لي هـذا؟ فيقـال باستغفار والديك لك .

٧٥٥ ــ إن الله يزيد في عمر الرجل ببره لوالديه .

١٦٦٦ ــ رغم أنفـه (ثـلاثـاً) من أدرك أبـويـه عنـده الكبـر ثم لم يـدخـل الجنة .

٢٠٠٤ ــ العبد المطيع لوالديه ولربه في أعلى عليين .

٢٦٢٥ ــ ما برّ أباه من شد إليه الطرف بغضب . و ٢٦٧٦ .

الأصل السابع عشر

وأخيراً طالع بدقـة أدعية السجـاد عليه السـلام ، فهي أعظم الـدروس الأخلاقية السامية والحاوية أصول وفروع الإسلام .



فهرس المحتويات

صدر حديثاً

الحدائق الناضرة الجزء ٢٥:

وهـو يكمل المجمـوعـة البـالغـة ٢٤ جـزءاً لمؤلفهـا الفقيـه المحدث الشيخ يـوسف البحراني، مـطبوع طبعـة جديـدة منقحة ومصححـة ومجلدة تجليـد فـاخـر، قيـاس الكتـاب ٧٠ × ١٠٠ الكتاب يبلغ ٦٩٦ صفحة.

مفاتيح الجنان:

صـدرت طبعة جـديدة مـزيدة ومنقحـة من مفاتيـح الجنـان للشيخ عباس القمي، والمجلد يحوي إضافـة إلى مفاتيـح الجنان كتاب الباقيـات الصالحـات المجلد يقع في ٨٦٢ صفحـة طباعـة ممتازة ومجلدة تجليد فاخر قياس ٧٠ × ١٠٠.

الحكومة العالمية المثلى جزء ٢:

الجـزء الثاني من مـوسوعـة الدكتـور جـواد جعفـر الخليلي «المصلح المنتـظر» الكتـاب يقـع في ٢٢٤ صفحـة من الـورق الممتاز مجلدة تجليد فني فاخر. القياس ٧٠ × ١٠٠.

مفاتيح الجنان:

طبعة جديدة من كتاب مفاتيح الجنان والباقيات الصالحات للشيخ عباس القمي، منقحة ومصححة وبقياس ٥٧ × ٨٢ في ٨٦٢ صفحة من ورق الشاموا الفاخر والتجليد الممتاز.

نظرية التطور الدارونية
خرافة باسم العلم؛

كتاب قيم يبحث في نقض نظرية دارون والتي حيكت باسم العلم، كتاب يقع في ٣٢٠ صفحة، قياس ٧٠ × ١٠٠ مغلفة تغليف فني بالسلوفان.

حقوق النساء في الإسلام:

كتاب يبحث في أحوال المرأة وحقوقها وواجباتها في الإسلام، كتاب قيم يهم كل آنسة وسيدة في مجتمعنا الحاضر الكتاب يقع في ٢٢٤ صفحة، قياس ٧٠ × ١٠٠، غلاف فني.

القرآن ومعرفة الطبيعة:

بحث في التصور القرآني الأصيل عن الطبيعة والكون، ويظهر آثار عظمة الخالق، الكتاب في ١٦٨ صفحة قياس ٧٠ × ١٠٠، غلاف فني.

ديوان المعاني:

طبعة جديدة مزيدة ومنقحة من «ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري في مجلدين تجليد فني فاخر قياس ٧٠ × ١٠٠.





